بسم الله الرحمن الرحيم

٦٤ ـ كتاب المغازي

١ ـ باب غَزوة العُشَيرة، أو العُسَيرة

قال ابنُ إسحاقَ «أولُ ما غزا النبيُّ ﷺ الأبْواء، ثم بُواطَ، ثم العُشَيرة»

٣٩٤٩ ـ عن أبي إسحاق كنتُ إلى جنبِ زيد بن أرقمَ، فقيل له: كم غزا النبيُّ ﷺ من غزوة؟ قال: تِسعَ عشرةَ. قال: كم غَزَوتَ أنت معه؟ قال: سبعَ عشرةَ. قلتُ: فأيُّهُمْ كانَتْ أوَّلَ؟ قالَ العُشَير. أوِ العُسَيرة. فذكرتُ لقتادةَ فقال: العُشَيرة».

[الحديث ٣٩٤٩ - طرفاه في: ٤٤٠٤، ٤٤٧١]

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب المغازي. باب غزوة العشيرة):
مكانها عند منزل الحج بينبع، ليس بينها وبين البلد إلا الطريق. وخرج في خمسين ومائة وقيل مائتين، واستخلف فيها أبا سلمة بن عبد الأسد.

والمراد بالمغازي هنا ماوقع من قصد النبي ﷺ الكفار بنفسه أو بجيش من قبله، وقصدهم أعم من أن يكون إلى بلادهم أو إلى الأماكن التي حلوها حتى دخل مثل أحد والخندق.

قوله (قال ابن إسحاق أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة)
قال: وهي أول غزوات النبي ﷺ خرج من المدينة في صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا، فوادع بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وادعه رئيسهم مجدي بن عمرو الضمري ورجع بغير قتال، قال ابن هشام: وكان قد استعمل على المدينة سعد بن عبادة اهـ. وليس بين ما وقع في السيرة وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحق اختلاف، لأن الأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما سته أميال أو ثمانية.

قوله (تسع عشرة) كذا قال ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل، لكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون وإسناده صحيح وأصله في مسلم، فعلى هذا ففات زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلهما الأبواء وبواط، وكأن ذلك خفي عليه لصغره.

٢ ـ باب ذكرِ النبيِّ ﷺ من يُقتَلُ ببَدْر

٣٩٥٠ ـ عَنْ أبي إسحاق قالَ حدَّثني عمرُو بن مَيمون أنهُ سمعَ عبدَ اللّهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللّهُ عنهُ حدَّثَ «عَنْ سعدَ بن مُعاذٍ أنَّهُ قالَ: كانَ صَديقاً لأميةَ بن خَلَف، وكان أميةُ إذا مرَّ بالمدينة نزلَ على سعدٍ، وكان سعدٌ إذا مرَّ بمكةَ نزلَ على أميةَ. فلما قَدمَ رسولُ اللّهِ ﷺ المدينةَ انطلَقَ سعدٌ مُعتمِراً، فنزلَ على أميةَ بمكةَ، فقالَ لأميةَ: انظُرْ لي ساعةَ خلوةٍ

لعلّي أن أطوفَ بالبيت، فخرجَ به قريباً من نصفِ النهار، فلقِيَهما أبو جهلٍ فقالَ: يَا أبا صفوانَ، من هذا معَك؟ فقال: هذا سعدٌ، فقال له أبو جهل: ألا أراكَ تطوف بمكة آمناً وقد أوَيتُم الصُّبَاةَ وزعمتم أنكم تنصرُونَهم وتُعِينونَهم، أما واللّه لولا أنكَ مع أبي صَفوانَ مَا رجَعتَ إلَى أهلك سالما فقالَ لهُ سعد - ورفَعَ صوتَهُ عليه -: أما واللّه لئن مَنَعتَني هذا لأمنعنَّكَ ما هو أشدُّ عليكَ منه: طريقَكَ على المدينة، فقال له أمية: لا تَرفعْ صوتكَ يا سعدُ على أبي الحكم سيدِ أهل الوادي، فقال سعدٌ: دَعْنَا عنكَ يا أمية، فو اللّهِ لقد سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول إنهم قاتِلوك. قال: بمكةَ؟ قال: لا أدري، ففَزِع لذلكَ أميةُ فزعاً شديداً. فلما رجعَ أمية إلى أهله قال يا أمّ صفوانَ، ألم تَري ما قال لي سعدٌ؟ قالت: وما قالَ لك؟ قالَ: زعمَ أنَّ محمداً أخبرهم أنهم قاتليَّ. فقلت له: بمكة؟ قال لا أدري. فقال أميةُ: واللّه لا أخرجُ من مكةَ. فلما كان يومُ بدرٍ استَنْفَرَ أبو جهلٍ الناسَ قال: أدركوا عيركُمْ. فكَرِهَ أميةُ أن يَخرُجَ، فأتاهُ أبوجهلٍ فقال يا أبا صفوان إنكَ متى ما يَراكَ الناسُ قد تخلّفتَ وأنتَ سيدُ أهل الوادي تخلّفوا معك. فلم يَزَلْ به أبو جهلٍ حتى قال: أما إذ غلبْتني فو اللّه لأشتَرِيَنَّ أجود بعير بمكة، ثُمَّ قال أمية: يا أمَّ صفوانَ جهِّزيني، فقالت له: يا أبا صفوانَ وقد نَسِيتَ ما قال لك أخوكَ اليَثْرِبيُّ؟ قال: لا، ما أريدُ أن أجوزَ معَهم إلا قَريباً. فَلَمَّا خَرَجَ أميةُ أخذ لا يتركُ منزِلاً إلا عَقَلَ بعيرَه، فلم يزَلْ بذلكَ حتى قتلَه اللّهُ عَزَّ وجَلَّ ببَدر».

قوله (باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر) أي قبل وقعة بدر بزمان، فكان كما قال، ووقع عند مسلم من حديث أنس عن عمر قال: «أن النبي ﷺ ليرينا مصارع أهل بدر يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى، وهذا مصرع فلان، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود» الحديث.

قوله (على أبي الحكم) هي كنية أبي جهل، والنبي ﷺ هو الذي لقبه بأبي جهل.

قوله (فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنهم قاتلوك) والمراد المسلمون، أو النبي ﷺ، وذكره بهذه الصيغة تعظيما.

قوله (ففزع لذلك أمية فزعا شديدا) بين سبب فزعه في رواية إسرائيل ففيها «قال: فوالله ما يكذب محمد إذا حدَّث».

قوله (فلما كان يوم بدر) زاد إسرائيل «وجاء الصريخ»، وعرف ان اسم الصريخ ضمضم بن عمرو الغفاري، وذكر ابن إسحق بأسانيده أنه لما وصل إلى مكة جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وصرخ: يا معشر قريش أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد، الغوث الغوث.

قوله (أدركوا عيركم) أي القافلة التي كانت مع أبي سفيان.

قوله (وأنت سيد أهل الوادي) أي وادي مكة، قد تقدم أن أمية وصف بها أبا جهل لما خاطب سعدا بقوله «لا ترفع صوتك على أبي الحكم وهو سيد أهل الوادي» فتقارضا الثناء وكان كل منهما سيدا في قومه.

قوله (فلم يزل به أبو جهل) بين ابن إسحق الصفة التي كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأي نفسه في ترك الخروج من مكة فقال: «حدثني ابن أبي نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع على عدم الخروج، وكان شيخا جسيما، فأتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة حتى وضعها بين يديه فقال: إنما أنت من النساء، فقال: قبحك الله ». وكأن أبا جهل سلط عقبة عليه حتى صنع به ذلك، وكان عقبة سفيها.

قوله (لأشترين أجود بعير بمكة) يعني فأستعد عليه للهرب إذا خفت شيئا.

وفي الحديث معجزات للنبي ﷺ ظاهرة، وما كان عليه سعد بن معاذ من قوة النفس واليقين. وفيه أن شأن العمرة كان قديما، وأن الصحابة كان مأذونا لهم في الاعتمار من قبل أن يعتمر النبي ﷺ بخلاف الحج، والله أعلم.

٣ ـ باب قصة غزوة بدر

وقول الله تعالى /١٢٣ - ١٢٦ آل عمران/ {ولقد نَصركم الله ببدرٍ وأنتم أذِلة، فاتقوا الله لعلكم تَشكرون، إذ تقولُ للمؤمنين ألن يَكفيَكم أن يُمِدكم ربُّكم بثلاثة آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلين. بلى إن تَصبروا وتَتَّقوا ويأتوكم من فَورِهم هذا يُمددكم ربكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسوِّمين، وما جَعلهُ الله إلا بُشْرى لكم ولتَطْمئنَّ قلوبكم به، وما النصرُ إلا مِن عندِ الله العزيز الحكيم، لِيَقطعَ طرَفاً من الذين كفروا أو يَكبِتهم فينقَلبوا خائبين}

وقالَ وحشِيٌّ: قَتلَ حمزةُ طعيمةَ بن عديِّ بنِ الخيار يومَ بدر

وقوله تعالى /٧ الأنفال/: {وإذ يَعِدُ كم الله إحدى الطائفَتين أنَّها لكم} الآية

٣٩٥١ ـ عَنْ عبدِ الرحمن بنِ عبدِ الله بنِ كعبٍ أن عبدَ الله بن كعبٍ قالَ: «سمعتُ كعبَ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: لم أتخلَّفْ عن رسولِ اللهِ ﷺ في غزوةٍ غزاها إلا في غزوةِ تبوكَ؛ غير أني تخلَّفتُ عن غزوةِ بَدرٍ ولم يُعاتَبْ أحدٌ تخلفَ عنها، إنما خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ يُريد عِير قريش، حتى جمعَ الله بينهم وبينَ عدوِّهم على غير مِيعاد».

قوله (ببدر) هي قرية مشهورة. ويقال بدر اسم البئر التي بها، سميت بذلك لاستدارتها أو ل ﷺفاء مائها فكان البدر يرى فيها.

قوله (وأنتم أذلة) أي قليلون بالنسبة إلى من لقيهم من المشركين، ومن جهة أنهم كانوا

مشاة إلا القليل منهم، ومن جهة أنهم كانوا عارين من السلاح وكان المشركون على العكس من ذلك، والسبب في ذلك أن النبي ﷺ ندب الناس إلى تلقي أبي سفيان لأخذ ما معه من أموال قريش، وكان من معه قليلا فلم يظن أكثر الأنصار أنه يقع قتال فلم يجز معه منهم إلا القليل، ولم يأخذوا أهبة الاستعداد كما ينبغي، بخلاف المشركين فإنهم خرجوا مستعدين ذابين عن أموالهم.

قوله {وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} هذه الآية نزلت في قصة بدر بلا خلاف، بل جميع سورة الأنفال أومعظمها نزلت في قصة بدر، وسيأتي في تفسير قول سعيد بن جبير «قلت لابن عباس سورة الأنفال قال نزلت في بدر» والمراد بالطائفتين العير والنفير، فكان في العير أبو سفيان ومن معه كعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وما معه من الأموال، وكان في النفير أبو جهل وعتبة بن ربيعة وغيرهما من رؤساء قريش مستعدين بالسلاح متأهبين للقتال، وكان ميل المسلمين إلى حصول العير لهم، وهو المراد بقوله {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} والمراد بذات الشوكة الطائفة التي فيها السلاح.

٤ ـ باب قول الله تعالى:

{إذ تستغيثون ربَّكم فاستَجابَ لكم أني مِمدكم بألفٍ منَ الملائكةِ مُردِفين، وما جَعلهُ اللهُ إلا بُشرَى ولتطمئنَّ به قُلوبُكم، وما النصرُ إلا من عندِ الله، إنَّ الله عزيز حكيم، إذ يُغَشِّيكمُ النُّعاس أمَنَةً منه، وينزِّلُ عليكم من السماءِ ماءً ليُطهركم به، ويُذهِبَ عنكم رجزَ الشيطان، وليربط على قلوبكم ويثبِّت به الأقدام، إذ يوحي ربُّك إلى الملائكةِ أني مَعكم فثَبِّتوا الذين آمَنوا سألقي في قُلوبِ الذينَ كفروا الرُّعبَ، فاضربوا فَوقَ الأعناقِ واضربوا منهم كلَّ بَنان، ذلك بأنهم شاقُّوا اللهَ ورسولَه، ومَن يُشاقِقِ اللهُ ورسوله فإنَّ اللهَ شديدُ العِقاب}.

٣٩٥٢ ـ عن طارقِ بن شهابٍ قال: «سمعتُ ابنَ مسعودٍ يقول: شَهِدتُ من المقدادِ بن الأسودِ مشهداً لأن أكون صاحِبهُ أحبُّ اليَّ مما عُدِلَ به: أتى النبيَّ ﷺ وهو يَدعو على المشركينَ فقال: لا نقولُ كما قال قومُ موسى {اذهَبْ أنتَ وربُّك فقاتلا} ولكنّا نقاتلُ عن يَمينكَ وعن شمالكَ وبين يَديكَ وخَلْفَك. فرأيتُ النبيَّ ﷺ: أشرق وجهُهُ وسرَّه، يَعني قولَه».

[الحديث ٣٩٥٢ - طرفه في: ٤٦٠٩]

٣٩٥٣ ـ عَنْ عكرِمَةَ عنِ ابن عبَّاسٍ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ: اللَّهُمَّ إني أنشُدُكَ عهدكَ ووعدك. اللهم إن شئت لم تُعبَدْ، فأخذ أبو بكرٍ بيدهِ فقال: حَسبك. فخرج وهو يقول: {سَيُهزَمُ الجمعُ ويُولون الدُّبر}.

قوله (مما عدل به) أي وزن أي من كل شيء يقابل ذلك من الدنيويات، وقيل من الثواب، أو المراد الأعم من ذلك، والمراد المبالغة في عظمة ذلك المشهد، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائنًا ماكان لكان حصوله له أحب إليه.

قوله (عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ) هذا من مراسيل الصحابة فإن ابن عباس لم يحضر ذلك، ولعله أخذه عن عمر أو عن أبي بكر، ففي مسلم. عن ابن عباس قال: «حدثني عمر: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مد يديه، فلم يزل يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه» الحديث، وعن سعيد بن منصور قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه، فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته: اللهم لا تودع مني، اللهم لا تخذلني، اللهم لا تترني، اللهم أنشدك ما وعدتني». وعند ابن إسحق أنه ﷺ قال: «اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني».

قوله (اللهم إني أنشدك) أي أطلب منك. وعند الطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: «ما سمعنا مناشداً ينشد ضالةً أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر: اللهم إني أنشدك ما وعدتني» قال السهيلي: سبب شدة اجتهاد النبي ﷺ ونصبه في الدعاء لأنه رأى الملائكة تنصب في القتال، والأنصار يخوضون غمار الموت، والجهاد تارة يكون بالسلاح وتارة بالدعاء، ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش لأنه لا يقاتل معهم فلم يكن ليريح نفسه، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء.

قوله (اللهم إن شئت لم تعبد) في حديث عمر «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، ولاستمر المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة.

قوله (فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك) زاد في رواية مسلم المذكورة «فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عزوجل {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم} الآية فأمده الله بالملائكة» اهـ .

قال الخطابي لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال؛ بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول

مشهد شهده، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقب بقوله «سيهزم الجمع» انتهى ملخصا.

٥ ـ باب * ٣٩٥٤ ـ «عنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين} عن بدرٍ والخارجون إلى بدرٍ».

[الحديث ٣٩٥٤ طرفه في ٤٥٩٥]

٦ ـ باب عدةِ أصحابِ بدر

٣٩٥٥ ـ عن أبي إسحاقَ عنِ البراءِ قال: «استُصغرتُ أنا وابن عمر....»

[الحديث ٣٩٥٥ – طرفه في: ٣٩٥٦]

٣٩٥٦ ـ عن البراء قال «استصغرت أنا وابن عمر يومَ بدرٍ، وكانَ المهاجِرونَ يومَ بدرٍ نيِّفًا على ستين، والأنصارُ نيِّفا وأربعينَ ومائتين».

٣٩٥٧ ـ عَنْ أبي إسحاق قالَ: «سمعتُ البراءَ رضيَ الله عنه يقول حدَّثني أصحابُ محمدٍ ﷺ ممن شهدَ بدراً أنهم كانوا عدَّةَ أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهرَ: بضعةَ عشرَ وثلاثمِائةٍ. قال البراءُ: لا والله ما جاوزَ معهُ النهرَ إلا مُؤمن»

[الحديث ٣٩٥٧ – طرفاه في: ٣٩٥٨، ٣٩٥٩]

٣٩٥٨ ـ عَنِ البراء قال: «كنا أصحابَ محمدٍ ﷺ نتحدَّثُ أنَّ عِدَّةَ أصحاب بدرٍ على عدَّةِ أصحاب طالوتَ الذين جاوَزُوا معه النهرَ، ولم يُجاوِزَ معهَ إلا مؤمنٌ، بضعةَ عشرَ وثلاثِمائة».

٣٩٥٩ ـ عنِ البراء رضي اللهُ عنهُ قالَ: «كنا نتحدَّثُ أنَّ أصحابَ بدر ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ بعدَّةِ أصحاب طالوتَ الذين جاوَزوا مَعهُ النهرَ، وما جاوَزَ معه إلا مؤمن».

قوله (باب عدة أصحاب بدر) أي الذين شهدوا الواقعة مع النبي ﷺ، ومن ألحق بهم.

قوله (استصغرت) ومراد البراء أن ذلك وقع عند حضور القتال فعرض من يقاتل فرد من لم يبلغ، وكانت تلك عادة النبي ﷺ في المواطن، وسيأتي بيان ذلك في غزوة الخندق[١] إن شاء الله تعالى.

قوله (أجازوا[٢]) وفي رواية إسرائيل التي بعدها «جاوزوا».

قوله (لا والله) وقد ذكر الله قصة طالوت وجالوت في القرآن في سورة البقرة، وذكر

(١) كتاب المغازي باب / ٢٩ ح ٤٠٩٧ – ٣ / ٣١٢
(٢) رواية الباب واليونينية "جازوا"

أهل العلم في الأخبار أن المراد بالنهر نهر الأردن، وأن جالوت كان رأس الجبارين، وأن طالوت وعد من قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويقاسمه الملك فقتله داود، فوفى له طالوت وعظم قدر داود في بني إسرائيل حتى استقل بالمملكة بعد أن كانت نية طالوت تغيرت لداود وهَمَّ بقتله فلم يقدر عليه، فتاب وانخلع من الملك وخرج مجاهدا هو ومن معه من ولده حتى ماتوا كلهم شهداء.

٧ ـ باب دُعاءِ النبيِّ ﷺ على كفَّارِ قُريش:

شيبةَ وعُتبةَ والوَليدِ وأبي جهلِ بن هشامٍ، وهَلاكِهم

٣٩٦٠ ـ عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «استقبَلَ النبيُّ ﷺ الكعبةَ فدَعا على نَفَرٍ من قريش: على شيبةَ بن ربيعةَ، وعُتبةَ ابن ربيعةَ، والوَليد بن عتبة، وأبي جهلِ بن هشام، فأشهَدُ بالله لقد رأيتُهم صرْعَى قد غَيَّرتهم الشمسُ، وكان يوماً حاراً».

قوله (وأبي جهل بن هشام وهلاكهم) المراد دعاؤه ﷺ السابق وهو بمكة، وقد مضى بيانه في كتاب الطهارة، وأورده في الطهارة لقصة سلى الجزور ووضعه على ظهر المصلي فلم تفسد صلاته، وقوله في هذه الرواية «فأشهد بالله» أي أقسم، وإنما حلف على ذلك مبالغة في تأكيد خبره (قد غيرتهم الشمس) أي غيرت ألوانهم إلى السواد، أو غيرت أجسادهم بالانتفاخ، وقد بين سبب ذلك بقوله «وكان يوما حارا».

٨ ـ باب قتلِ أبي جهلٍ

٣٩٦١ ـ عَنْ عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ أتى أبا جهل وبهِ رمَقٌ يوم بدرٍ فقالَ أبو جهل: هل أعمَدُ مِن رجُل قَتلتُموه».

٣٩٦٢ ـ عن أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: مَنْ يَنْظرُ ما صَنَع أبو جهل؟ فانطلَقَ ابنُ مسعود فوجَدَهُ قد ضربَهُ ابنا عَفراء حتى بَردَ، قالَ: أأنت أبو جهل؟»قال فأخذَ بلحيتهِ قال: وهل فوقَ رجل قَتلتموه؟ أو رجُلٍ قتلَه قَومه»؟

[الحديث ٣٩٦٢ - طرفاه في: ٣٩٦٣، ٤٠٢٠]

٣٩٦٣ ـ عنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ بدر: من ينظر ما فعل أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برَد، فأخذَ بلحيتهِ فقال: أنتَ أبا جهل؟ قال: وهل فوقَ رجُل قتلهُ قومُه؟ أو قال: قَتَلتموه».

٣٩٦٤ ـ عنْ صالح بن إبراهيمَ عن أبيه عن جَدِّهِ فِي بدرٍ. يعني حديثَ ابنَي عَفراء

قوله (عن عبد الله) هو ابن مسعود.

قوله (أنه أتى أبا جهل) وبه رمق، كأن أبا جهل قد ضرب في المعركة بالسيوف حتى خر

صريعا كما سيأتي بيانه .

قوله (فقال أبو جهل هل أعمد) قيل معناه هل زاد على سيد قتله قومه قاله أبو عبيدة. ويؤيده ماوقع في حديث أنس بعده بلفظ، وهل فوق رجل قتلتموه.

قوله (أنت أبا جهل) كذا للأكثر، والمستملي وحده «أنت أبو جهل»، وفي حديث ابن عباس عند ابن اسحق والحاكم «قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق، فوضعت رجلي على عنقه فقلت: أخزاك الله يا عدو الله، قال: وبما أخزاني؟ هل أعمد رجل قتلتموه» قال وزعم رجال من بني مخزوم أنه قال له «لقد ارتقيت يارويع الغنم مرتقى صعبا» قال: «ثم احتززت رأسه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: هذا رأس عدو الله أبي جهل، فقال: والله الذي لا إله إلاهو؟ فحلف له» وفي زيادة المغازي «فحلف له، فأخذ رسول الله ﷺ بيده ثم انطلق حتى أتاه فقام عنده فقال: الحمد لله الذي أعز الإسلام وأهله ثلاث مرات».

٣٩٦٥ ـ عَنْ عليٍّ بن أبي طالب رضيَ اللّهُ عنهُ أنه قالَ: «أنا أولُ مَن يجثو بينَ يدَيِ الرحمنِ للخُصومَةِ يوم القيامة». وقال قَيس بن عُباد وفيهم أنزِلت {هذانِ خَصمانِ اختَصَموا في ربهم} قال: هُم الذين تَبارَزوا يومَ بدر، حمزةُ وعلي وعُبَيدة أو أبو عُبَيدةَ - بنُ الحارثِ وشيبة بنُ ربيعةَ وعتبة بن ربيعةَ والوَليدُ بن عتبة».

[الحديث ٣٩٦٥ - طرفاه في: ٣٩٦٧، ٤٧٤٤]

٣٩٦٦ ـ عنْ أبي ذَرٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «نزَلت {هذانِ خَصمانِ اختصموا في ربِّهم} في ستة مِن قريش: عليٌ وحمزةَ وعبَيدةَ بن الحارثِ وشيبةَ بن ربيعةَ وعُتبةَ بن ربيعة والوَليدِ بن عُتبةَ».

[الحديث ٣٩٦٦ - أطرافه في: ٣٩٦٨، ٣٩٦٩، ٤٧٤٣]

٣٩٦٧ ـ عن قَيسِ بنِ عُباد قال: قالَ عليٌ رضيَ اللّهُ عنه: فِينا نزَلت هذه الآية {هذانِ خَصمانِ اختصَموا في ربِّهم} / الحج:١٩/

٣٩٦٨ ـ عَنْ قَيسِ بن عُبادٍ «سمعتُ أبا ذَرّ رضيَ اللّهُ عَنْهُ يُقسمُ: لنزلَتْ هؤلاء الآياتُ في هؤلاء الرَّهطِ الستة يومَ بدرٍ...» نحوه

٣٩٦٩ ـ عَنْ قَيْس بن عُباد قال: «سمعتُ أبا ذَرٌ يُقسِمُ قَسَما إنّ هذهِ الآيةِ {هذانِ خَصمانِ اختصَموا في ربهم} نزلَتْ في الذينَ برزُوا يومَ بَدرٍ: حمزةَ وعلي وعُبَيدةَ بنِ الحارث، وعتبةَ وشيْبةَ ابني ربيعة والوَليدِ بن عتبةَ».

٣٩٧٠ ـ عَنْ أبي إسحاق سأل رجُلٌ البراء وأنا أسمعُ قال أشَهِدَ عليٌ بدراً؟ قال: بارزَ وظاهرَ».

قوله (من يجثو) أي يقعد على ركبتيه مخاصما، والمراد بهذه الأولية تقييده بالمجاهدين

من هذه الأمة، لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام.

قوله (في ستة من قريش) يعني ثلاثة من المسلمين من بني عبد مناف: اثنين من بني هاشم، وواحد من بني المطلب، وثلاثة من المشركين من بني عبد شمس بن عبد مناف.

قوله (علي وحمزة) أي ابن عبد المطلب بن هاشم وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

قوله (و شيبة بن ربيعة) أي ابن عبد شمس، وعتبة هو أخوه، والوليد بن عتبة ولده.

وذكر ابن إسحق أن عبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة كانا أسن القوم، فبرز عبيدة لعتبة، وحمزة لشيبة، وعلي للوليد، ثم اتفقا فقتل علي الوليد، وقتل حمزة الذي بارزه، واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة فمات منها لما رجعوا بالصفراء، ومال حمزة وعلي إلى الذي بارز عبيدة فأعاناه على قتله، وفي الحديث جواز المبارزة خلافا لمن أنكرها كالحسن البصري، وشرط الأوزاعي والثوري وأحمد وإسحق للجواز إذن الأمير على الجيش، وجواز إعانة المبارز رفيقه، وفيه فضيلة ظاهرة لحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم.

٣٩٧١ ـ عَنْ صالح بن إبراهيمَ بن عبد الرحمنِ بن عوف عن أبيهِ عن جَدِّهِ عبد الرحمنِ قال: «كاتبتُ أميةَ بنَ خَلفٍ، فلما كان يومَ بدرٍ - فذكرَ قَتْلَهُ وقَتلَ ابنه- فقال: بلال: لانجوتُ إن نجا أُميَّةُ».

٣٩٧٢ ـ عنْ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُ «عنِ النبيِّ ﷺ أنهُ قرأ {والنجم} فسجَدَ بها وسجدَ من معَهُ، غيرَ أنَّ شيخاً أخذ كفًا من ترابٍ فرفَعهَ الى جَبهتهِ فقال: يكفيني هذا. قال عبدُ اللهِ: فَلقَد رأيتهُ بعدُ قتلَ كافراً».

٣٩٧٣ ـ عَنْ عروةَ قال: كان في الزُّبيرِ ثلاثُ ضربَات بالسيف إحداهنَّ في عاتقه قال: إن كنتُ لأدخِلُ أصابعي فيها. قالَ: ضُرِبَ ثنتين يومَ بدر، وواحدة يوم اليرموك. قال عُروة: وقال لي عبدُ الملكِ بن مروانَ حين قُتِلَ عبد الله بن الزُّبير: يا عروةُ هل تَعرِفُ سيفَ الزُّبير؟ قلت: نعم. قال: فما فيه قلتُ: فَلَّةٌ فُلَّها يومَ بدر، قال: صدقت «بهنَّ فُلولٌ من قراع الكتائبِ» ثمّ رَدَّهُ على عروةَ. قال هِشامٌ: فأقَمناهُ بيننا ثلاثةَ آلاف، وأخذه بعضُنا ولوددتُ أني كنت أخذتُه».

٣٩٧٤ ـ عنْ هشامٍ عن أبيه قال: «كان سيفُ الزُّبيرِ مُحلى بِفضة، قال هِشامٌ: وكانَ سيفُ عُروةَ محلى بِفضَّة».

٣٩٧٥ ـ عَنْ هشامِ بن عروة عن أبيه «أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالوا للزُّبير يومَ اليَرموكِ: ألا تَشدُّ فنشد معك؟ فقال: إنى إن شَدَدتُ كذَبتم. فقالوا: لا نفعلُ، فحملَ عليهم حتى شقَّ صفوفهم، فجاوَزَهم وما معهُ أحد، ثم رجَع مُقبلا، فأخذوا بلجامهِ، فضربوه ضربتين

على عاتِقه بينهما ضربةٌ ضربها يوم بدر، قال عروة: كنت أُدخِل أصابِعي في تلكَ الضَّرباتِ ألعبُ وأنا صغير، قال عروة وكان معَه عبدُ الله بن الزُّبيرِ يومئذٍ، وهو ابنُ عَشرِ سنين، فحملَه على فَرَس ووكَّل به رجلا».

قوله (ضرب ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك)، ووقعة اليرموك كانت أول خلافة عمر بين المسلمين والروم بالشام سنة ثلاثة عشر وقيل سنة خمسة عشر، واليرموك موضع من نواحي فلسطين، ويقال إنه نهر، والتحرير أنه موضع بين أذرعات ودمشق كانت به الواقعة المشهورة، وقتل في تلك الوقعة من الروم سبعون ألفا في مقام واحد، لأنهم كانوا سلسلوا أنفسهم لأجل الثبات، فلما وقعت عليهم الهزيمة قتل أكثرهم، وكان اسم أمير الروم من قبل هرقل باهان، وكان أبو عبيدة الأمير على المسلمين يومئذ، ويقال أنه شهدها من أهل بدر مائة نفس والله أعلم.

قوله (ووكل به رجلا) لم أقف على اسمه وكأن الزبير آنس من ولده عبد الله شجاعة وفروسية فأركبه الفرس وخشي عليه أن يهجم بتلك الفرس على مالا يطيقه فجعل معه رجلاً ليأمن عليه من كيد العدو إذا اشتغل هو عنه بالقتال، وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير أنه كان مع أبيه يوم اليرموك، فلما انهزم المشركون حمل فجعل يجهز على جرحاهم، أي يكمل قتل من وجده مجروحا، وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره.

٣٩٧٦ ـ عن قَتادةَ قال: «ذكرَ لنا أنَس بن مالكٍ عن أبي طلحةَ أن نبيَّ الله ﷺ أمرَ يومَ بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صَناديدِ قريشٍ فقُذِفوا في طَوِيّ من أطواءِ بدر خَبيثٍ مُخْبِث. وكان إذا ظَهرَ على قومٍ أقامَ بالعَرْصة ثلاثَ ليالٍ. فلما كان ببدرٍ اليومَ الثالثَ أمرَ براحِلتهِ فشُدَّ عليها رحلُها، ثم مَشى واتَّبَعهُ أصحابه وقالوا: ما نرَى يَنطلِقُ إلا لبعضِ حاجته، حتى قامَ على شَفَةِ الركيِّ، فجعلَ يُناديهم بأسمائهم وأسماءِ آبائهم: يافلانُ ابنَ فلان، ويا فلان ابنَ فلان، أيسرُّكم أنكم أطعتمُ الله ورسوله؟ فانا قد وَجدْنا ما وعدنا ربُّنا حقًا، فهل وَجدْتم ما وعدَ ربُّكم حقًا. قالَ فقالَ عمرُ: يا رسولَ اللهِ، ما تُكلمُ من أجسادٍ لا أرواحَ لها، فقال رسولُ الله ﷺ: والذي نَفْسُ مُحمدٍ بيده، ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم» قال قَتادة: أحياهُمْ الله حتى أسمعَهُم قوله، تَوبيخاً وتَصغيراً ونَقيمة وحَسرةً ونَدَما.

٣٩٧٧ ـ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا {الَّذينَ بَدَّلوا نعمةَ الله كفراً} قالَ: هم واللهِ كفّارُ قريش. قال عمرٌو: هم قُريش، ومحمدٌ ﷺ نعمةُ الله. {وأحَلُّوا قومَهم دارَ البَوار} قال: النارَ يومَ بدر

[الحديث ٣٩٧٧ - طرفه في: ٤٧٠٠]

٣٩٧٨ ـ عَنْ هشام عن أبيهِ قال: «ذُكِرَ عندَ عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها أن ابنَ عمرَ رَفَعَ إلى النبيِّ ﷺ: إنَّ الميِّتَ يُعذَّبُ في قبرِهِ ببكاء أهله. فقالت: وَهِلَ، إنما قالَ رسولُ اللّه ﷺ: إنَّه ليُعذَّبُ بخطيئته وذَنْبه، وإنَّ أهلَه ليَبكونَ عليه الآنَ».

٣٩٧٩ ـ قالَتْ «وذلك مثل قوله: إنَّ رسولَ اللّه ﷺ قام على القَليبِ وفيه قتلى بدرٍ منَ المشركين فقال لهم، ما قال: إنهم ليسمعون ما أقول، إنما قال: إنهم الآنَ لَيعلمون أن ما كنتُ أقول لهم حق. ثم قرأتْ /النمل:٨٠/: {إنكَ لا تُسمِعُ الموتى، وما أنت بمسمعٍ مَن في القبور} يقول: حينَ تبوَّءوا مقاعِدَهم منَ النار».

٣٩٨٠، ٣٩٨١ ـ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللَّهُ عنهما قالَ «وقفَ النبيُّ ﷺ على قليبِ بدر فقال: هل وَجدْتم ما وَعدَ ربُّكم حقاً؟ ثم قال إنهم الآنَ يسمعون ما أقول. فذُكِرَ لعائشةَ فقالت: إنما قال النبيُّ ﷺ: إنهم الآنَ لَيعلمون أن الذي كنتُ أقول لهم هو الحق. ثم قرأتْ {إنكَ لا تُسمعُ الموتى} حتى قرأتِ الآيةَ».

قوله (بأربعة وعشرين رجلا من صناديد) جمع صنديد بوزن عفريت وهو السيد الشجاع.

قوله (على شفة الركى) أي طرف البئر.

قوله (وهل) أي غلط وزنا ومعنى.

قوله (إن الميت ليعذب[١] في قبره) الحديث تقدم شرحه في الجنائز[٢].

قوله (يقول حين تبوءوا مقاعدهم من النار) القائل «يقول» هو عروة، يريد أن يبين مراد عائشة فأشار إلى أن إطلاق النفي في قوله {إنك لا تسمع الموتى} مقيد باستقرارهم في النار، وعلى هذا فلا معارضة بين إنكار عائشة وإثبات ابن عمر كما تقدم توضيحه في الجنائز، لكن الرواية التي بعد هذه تدل على أن عائشة كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها إن الحديث إنما هو بلفظ «إنهم ليعلمون» وأن ابن عمر وهم في قوله «ليسمعون» قال البيهقي: العلم لا يمنع من السماع والجواب عن الآية أنه لا يسمعهم وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة، قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن، لأن قوله تعالى {إنك لا تسمع الموتى} لا ينافي قوله ﷺ «إنهم الآن يسمعون»

(١) رواية الباب واليونينية "يعذب" بدون "لام" التأكيد.
(٢) كتاب الجنائز باب / ٣٢ ح ١٢٨٨ - ١ / ٧٤٦

لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك. وأما جوابها بأنه إنما قال إنهم ليعلمون فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها، وقال السهيلي ما محصله: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي ﷺ، لقول الصحابة له «أتخاطب أقواما قد جيفوا؟ فأجابهم» قال: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بآذان رءوسهم على قول الأكثر أو بآذان قلوبهم، قال: وقد تمسك بهذا الحديث من يقول: إن السؤال يتوجه على الروح والبدن، ورده من قال: إنما يتوجه على الروح فقط بأن الإسماع يحتمل أن يكون لأذن الرأس ولأذن القلب فلم يبق فيه حجة، قلت: إذا كان الذي وقع حينئذ من خوارق العادة للنبي ﷺ حينئذ لم يحسن التمسك به في مسألة السؤال أصلا.

٩ ـ باب فضلِ مَن شهدَ بَدراً

٣٩٨٢ ـ عَنْ حُميدٍ قال سمعت أنساً رضيَ اللهُ عَنْهُ يقول «أُصيبَ حارِثَةُ يومَ بَدر وهوَ غلامٌ، فجاءت أمُّه إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرَفتَ منزلةَ حارِثَة مني، فإن يَكنْ في الجنَّةِ أصبرْ وأحتسبْ، وإن تكُنِ الأخرَى ترَ ما أصنعُ. فقالَ: وَيَحكِ أو هَبِلْتِ أوَ جَنَّةٌ واحدةٌ هي؟ إنها جِنانٌ كثيرة؛ وإنهُ في جنةِ الفِردَوس».

٣٩٨٣ ـ عَنْ علي رضيَ اللهُ عنهُ قال: «بَعثَني رسولُ اللهِ ﷺ وأبا مَرْثدٍ والزبيرَ -وكلنا فارسٌ- قال: انطلقوا حتى تأتوا رَوضةَ خاخ فإن بها امرأةً منَ المشركين معها كتابٌ من حاطِبِ بن أبي بَلْتَعةَ إلى المشركين. فأدركناها تَسيرُ على بَعير لها حيثُ قال رسولُ اللهِ ﷺ، فقلنا: الكتاب فقالت: مَا مَعَنَا كتاب، فأنخناها، فالتمسْنا فلم نَرَ كتابًا، فقلنا: ما كذبَ رسولُ اللهِ ﷺ، لتُخرجِنَّ الكتابَ أو لنجرِّدنَّكِ، فلما رأتِ الجِدَّ أهوَت إلى حُجْزَتها -وهي محتجِزةٌ بكساء- فأخرجَتْه. فانطَلقنا بها إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: عمر يارسولَ الله، قَد خانَ اللهَ ورسولَه والمؤمنين، فدَعني فلأضرِب عنقَه، فقال النبيُّ ﷺ: ما حَمَلَكَ عَلَى مَا صنعتَ؟ قال حاطب: واللهِ ما بي أن لا أكونَ مؤمنا بالله ورسولِه ﷺ، أردتُ أن تكون لي عندَ القوم يدٌ يدفعُ الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابِكَ إلا له هناك من عشيرتِه من يدفَعُ اللهُ به عن أهلهِ وماله. فقال النبيُّ ﷺ، صَدَق، ولا تقولوا لهُ إلا خيرا، فقال: عمر إنه قد خانَ اللهَ والمؤمنين، فدَعني فلأضرِبْ عُنُقَه، فقال: أليسَ من أهل بَدر؟ فقال: لعلَّ اللهَ اطلعَ على أهل بدر فقالَ: اعملوا ما شئتم فقد وجبَتْ لكم الجنة -أو فقد غَفَرتُ لكم- فدمعَت عينا عمر وقالَ: اللهُ ورسولُه أعلم».

قوله (باب فضل من شهد بدرا أي مع النبي ﷺ من المسلمين مقاتلا للمشركين، وكأن المراد بيان أفضليتهم لامطلق فضلهم.

قوله (أصيب حارثة يوم بدر) هو ابن سراقة بن الحارث بن عدي الأنصاري بن عدي بن النجار، وأبوه سراقة له صحبة واستشهد يوم حنين.

قوله (هبلت) بضم الهاء أي ثكلت وهو بوزنه، وقد تفتح الهاء يقال هبلته أمه. وسيأتي شرح القصة في فتح مكة مستوفى

١٠ ـ باب * ٣٩٨٤ ـ عنْ أبِي أسيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «قالَ لنَا رسولُ اللهِ ﷺ يَوْم بدر: إذا أكثبوكم فارموهم، استَبْقوا نَبلكم».

٣٩٨٥ ـ عن أبي أسيدٍ رضي اللهُ عنه قال: «قال لنا رسولُ اللهِ ﷺ يوم بدر: إذا أكْثبوكم -يعني أكثروكم- فارموهم، واستَبْقوا نَبلكم».

قوله (إذا أكثبوكم) أي إذا قربوا منكم.

قوله (فارموهم واستبقوا نبلكم) قال الداودي معنى قوله «ارموهم» أي بالحجارة لأنها لا تكاد تخطئ إذا رمى بها في الجماعة، قال، ومعنى قوله «استبقوا نبلكم» أي إلى أن تحصل المصادمة، كذا قال. وقال غيره: المعنى ارموهم ببعض نبلكم لا بجميعها، والذي يظهر لي أن معنى قوله «واستبقوا نبلكم» لا يتعلق بقوله «ارموهم وإنما هو كالبيان للمراد بالأمر بتأخير الرمي حتى يقربوا منهم، أي أنهم إذا كانوا بعيدا لا تصيبهم السهام غالبا، فالمعنى استبقوا نبلكم في الحالة التي إذا رميتم بها لا تصيب غالبا، وإذا صاروا إلى الحالة التي يمكن فيها الإصابة غالبا فارموا.

٣٩٨٦ ـ عَنْ أبي إسحاق قالَ سَمِعْتُ البَراءَ بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهما قال «جعَل النبيُّص علي الرماةِ يوم أحدٍ عبدَ الله بن جُبَير، فأصابوا منّا سبعين، وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه أصابوا منَ المشركين يومَ بدرٍ أربعين ومائةً: سبعين أسيراً، وسبعين قتيلا. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحربُ سِجال».

٣٩٨٧ ـ عَنْ أبي مُوسى -أراه عن النبيِّ ﷺ- قال: «وإذا الخيرُ ما جاءَ الله به من الخير بعدُ، وثوابُ الصدقِ الذي آتانا بعدَ يوم بدر».

٣٩٨٨ ـ عن عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ قال: إني لَفي الصفِّ يومَ بدرٍ إذ التَفتُّ فإذا عن يميني وعن يَساري فَتَيانِ حديثا السنِّ. فكأني لم آمَنْ بمكانهما، إذ قالَ لِي أحدُهما سراً من صاحبه: يا عَمِّ أرني أبا جهل، فقلت: يا ابنَ أخي وما تصنَعُ به؟ قال: عاهدتُ الله إن رأيته أن أقتُلَه أو أموتَ دونَه، فقال لي الآخرُ سراً من صاحبِه مِثلَه قال: فما سرَّني أني بين رجلَين مكانَهما، فأشرتُ لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرَين حتى ضرَباه، وهما ابنا عَفراء».

٣٩٨٩ ـ عنْ أبي هريرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ قال: «بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ عَشرةً عَيْناً

وأمّرَ عليهم عاصمَ بن ثابت الأنصاريَّ جدَّ عاصمِ بن عمرَ بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدةِ بين عُسفان ومكةَ ذُكروا لحيٍّ من هُذَيل يقال لهم بنو لِحيانَ، فنَفَروا لهم بقريبٍ من مائة رجلٍ رامٍ، فاقتصُّوا آثارهم حتى وَجدوا مأكلهم التمرَ في منزلٍ نزلوه، فقالوا: تمرُ يَثرب، فاتَّبعوا آثارهم. فلما حسَّ بهم عاصمٌ وأصحابُه لجأوا الى مَوضعٍ. فأحاطَ بهم القومُ فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم، ولكمُ العهدُ والميثاق أن لا نقتلَ منكم أحداً. فقالَ عاصمُ بن ثابت: أيها القومُ، أما أنا فلا أنزِل في ذِمةِ كافر، ثمَّ قال: اللهمَّ أخبِرْ عنّا نبيَّك ﷺ، فرمَوهم بالنبل فقتَلوا عاصما، ونزَل إليهم ثلاثةُ نفر على العهدِ والميثاق، منهم خُبَيبٌ وزيدُ بنُ الدَّثِنَة ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتارَ قسيِّهم فربطوهم بها، قال الرجلُ الثالث: هذا أوَّل الغَدر، والله لا أصحبُكم، إن لي بهؤلاء أسوة -يريدُ القتلى- فجرَّروهُ وعالجوه، فأبى أن يصحبَهم. فانطُلقَ بخبيبٍ وزيدِ ابنِ الدَّثِنَة حتى باعوهما بعدَ وقعة بدر، فابتاعَ بنو الحارثِ بن عامر بن نوفَل خُبَيباً - وكان خبيبٌ هو قتلَ الحارثَ بن عامرٍ يومَ بدر- فلبثَ خبيبٌ عندَهم أسيراً حتى أجمعوا قتلَه، فاستعارَ من بعض بنات الحارثِ موسى يستحدُّ بها، فأعارَتْه، فدَرجَ بُنيٌّ لها وهي غافلةٌ حتى أتاهُ، فوجدَتْهُ مُجلِسَهُ على فخذِهِ والموسى بيده. قالت: ففزِعْت فَزعةً عرفَها خُبيب، فقال: أتخشَيْنَ أن اقتُلَه؟ ما كنتُ لأفعلَ ذلك. قالتْ: واللهِ مَا رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خُبَيب، والله لقد وجَدتُه يوماً يأكلُ قِطفاً من عِنبٍ في يدِه وإنه لموثقٌ بالحديد، وما بمكةَ من ثمرة. وكانت تقول: إنهُ لَرزْقٌ رزَقه الله خبيباً. فلما خرجوا بهِ من الحرَم ليقتُلوه في الحِلِّ قال لهم خبيبٌ: دعُوني أصلِّي ركعتَين، فتركوهُ فركع ركعتَين فقال: والله لولا أن تحسبوا أنَّ ما بي جَزَعٌ لَزِدْت، ثم قال: اللهُمّ أحصِهم عَدداً، واقْتُلهم بدَدا، ولا تُبق منهم أحداً، ثمَّ أنشأ يقول:

فلستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلماً ... على أي جنبٍ كان لله مَصْرَعِي

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يَشـأ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلوٍ مُمزَّعِ

ثم قام أليهِ أبو سِرْوَعة عُقبةُ بن الحارث. فقتله وكان خبيبٌ هو سَنَّ لكلِّ مسلمٍ قُتِل صبراً الصلاةَ. وأخبرَ -يعني النبيُّ ﷺ - أصحابه يوم أصيبوا خبرَهم. وبَعثَ ناسٌ من قريشٍ الى عاصم بن ثابت حين حُدِّثوا أنه قتل أن يؤتَوا بشيء منه يُعرف -وكانَ قتلَ رجلا عظيمًا من عظمائهم- فَبعثَ اللهُ لعاصم مثلَ الظُّلةِ منَ الدَّبْر فحمَتْهُ من رُسُلهم، فلم يَقدروا أن يَقطعوا منه شيئاً». وقال كعبُ بن مالك «ذكروا مُرارةَ ابن الرَّبيع العَمْرِيَّ وهلال ابن أميَّة الواقفيَّ رجُلَين صالحينَ قد شَهِدا بدراً».

٣٩٩٠ ـ عَنْ نافعٍ «أنَّ ابنَ عمَرَ رضيَ اللهُ عَنهُمَا ذُكِرَ له أن سعيدَ ابن زيد بن عمرو

ابن نفيل -وكان بَدريّاً- مَرِض في يوم جمعة، فركبَ إليهِ بعد أن تعالى النهارُ واقتَربَتِ الجمعة، وتركَ الجمعةَ».

٣٩٩١ ـ عَن عُبَيدِ الله بن عبدِ الله بن عُتبةَ «أنَّ أباهُ كتب إلى عمرَ بن عبدِ الله بن الأرقم الزُّهريِّ يأمرهُ أن يدخُلَ على سُبَيعةَ بنتِ الحارثِ الأسلمية فيسألها عن حديثها وعن ما قال لها رسول الله ﷺ حينَ استَفْتَتْهُ. فكتب عمرُ بن عبد الله بن الأرقم إلى عبدِ الله بن عتبةَ يخبِرهُ أن سُبَيعةَ بنتَ الحارث أخبرَته أنها كانت تحتَ سعدِ بن خولةَ - وهو من بني عامرِ بن لُؤَيّ وكان ممن شهدَ بدراً -فتُوُفِّيَ عنها في حَجَّة الوداع وهي حامِل، فلم تنشَبْ أن وضَعَت حملَها بعدَ وَفاته، فلما تَعَلَّت من نِفاسِها تجمَّلتِ للخُطّاب، فدخلَ عليها أبو السَّنابل بنُ بَعْكَك -رجلٌ من بني عبدِ الدار- فقال لها: مالي أراكِ تجمَّلت للخُطّاب ترَجّين النكاحَ؟ فإنَّكَ والله ما أنت بناكحٍ حتى تمرَّ عليكِ أربعةُ أشهر وعشر. قالت سُبَيعةُ: فلما قال لي ذلك جَمعت عليَّ ثِيابي حين أمسيَتُ وأتَيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فسألتُه عن ذلك، فأفتاني بأني قد حَللتُ حينَ وضعتُ حَملي، وأمرني بالتزوُّج إن بدا لي».

[الحديث ٣٩٩١ - طرفه في: ٥٣١٩]

الحديث الخامس حديث أبي هريرة في قصة أصحاب بئر معونة وسيأتي شرحه بتمامه في غزوة الرجيع، والغرض منه هنا قوله فيه (وكان قد قتل عظيماً من عظمائهم) فإنه سيأتي التصريح بأن ذلك كان يوم بدر.

١١ ـ باب شهود الملائكة بَدراً

٣٩٩٢ ـ عَن مُعاذِ بن رفاعة بن رافع الزُّرَقيِّ عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر- قال: «جاءَ جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ فقال: ما تَعدُّونَ أهلَ بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين -أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة».

[الحديث ٣٩٩٢ - طرفه في: ٣٩٩٤]

٣٩٩٣ ـ عَنْ مُعاذِ بن رِفاعةَ بن رافع، وكان رفاعة من أهل بدرٍ وكان رافع من أهلِ العقبة، فكان يقول لابنه: ما يَسرُّني أني شهدتُ بدراً بالعقبة، قال: سألَ جبريلُ النبيَّ ﷺ .... بهذا».

٣٩٩٤ ـ عن يحيى سمع معاذَ بن رِفاعةَ «أنَّ مَلَكا سأل النبيَّ ﷺ، وعن يحيى أنَّ يزيدَ بن الهاد أخبرَهُ أنه كان معه يومَ حدَّثَهُ مُعاذُ هذا الحديث فقال يزيد «فقال مُعاذُ إن السائلَ هو جبريلُ عليه السلام».

٣٩٩٥ ـ عَنْ عَكرمة عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما «أن النبيَّ ﷺ قال يوم بدر: هذا

جبريلُ آخذ برأسِ فرَسِه عليهِ أداةُ الحرب».

[الحديث ٣٩٩٥ - طرفه في: ٤٠٤١]

قوله (باب شهود الملائكة بدرا) وأخرج يونس بن بكير في زيادات المغازي والبيهقي من طريق الربيع بن أنس قال: «كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة من قتلى الناس بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل وسم النار»، وعند مسلم من حديث ابن عباس «بينما رجل مسلم يشتد في إثر رجل مشرك إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس، الحديث وفيه «فقال النبي ﷺ: ذلك مدد من السماء الثالثة».

قوله (بدرا بالعقبة) أي بدل العقبة، يريد أن شهود العقبة عنده أفضل من شهود بدر،.

ساق الإسماعيلي لفظ يزيد من طريق محمد بن شجاع عنه بلفظ «أن ملكا من الملائكة أتى رسول الله ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال يحيى بن سعيد: حدثني يزيد بن الهاد أن السائل هو جبريل، والذي يظهر أن رافع بن مالك لم يسمع من النبي ﷺ التصريح بتفضيل أهل بدر على غيرهم فقال ما قال باجتهاد منه، وشبهته أن العقبة كانت منشأ نصرة الإسلام وسبب الهجرة التي نشأ منها الاستعداد للغزوات كلها، لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله أعلم.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم.

١٢- باب - ٣٩٩٦- عن أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «ماتَ أَبُو زيدٍ ولم يتركْ عَقِبًا، وكان بدرياً».

٣٩٩٧ - عَنِ ابن خَبّابٍ «أن أبا سعيدِ بن مالكٍ الخُدريَّ رضيَ اللّه عنه قَدِمَ من سفرٍ، فقدَّمَ إليه أهلهُ لحماً من لُحوم الأضحى فقال: ما أنا بآكلِهِ حتى أسألَ. فانطلقَ إلى أخيهِ لأمهِ وكان بَدرياً قتادةَ بنِ النُّعمانِ فسأله فقال: إنهُ حدث بعدك أمرٌ نقضٌ لما كانوا يُنهونَ عنه من أكلِ لحوم الأضحى بعدَ ثلاثةِ أيام».

[الحديث ٣٩٩٧ - طرفه في: ٥٥٦٨]

٣٩٩٨ ـ عن هشام بن عُروةَ عن أبيه قال: «قال الزُّبيرُ: لقيتُ يومَ بدرٍ عُبيدةَ بن سعيدِ بن العاص وهو مُدَجَّجٌ لا يُرَى منه إلاّ عَيناهُ وهو يُكنى أبا ذاتِ الكَرِش فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملتُ عليه بالعَنَزةِ فطعَنْتهُ في عينهِ فمات، قال هشامٌ: فأُخبرتُ أنَّ الزُّبيرَ قال: لقد وضَعتُ رِجلي عليه ثمَّ تمطَّأتُ فكان الجَهدَ أن نَزعتُها وقد انثنى طرَفاها، قال عروة: فسألهُ إيَّاها رسولُ الله ﷺ فأعطاهُ، فلما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ أخذَها، ثمَّ طلبها أبوبكر فأعطاهُ، فلما قُبِضَ أبوبكرٍ سألَها إياه عمرُ فأعطاهُ إياها، فلما قُبِضَ عمرُ أخذَها، ثمَّ طلبها عثمانُ منه فأعطاه إيَّاها، فلما قُتِلَ عثمانُ وقعَتْ عندَ آل عليٍّ فطلبَها عبدُ الله بن الزُّبير، فكانت عندَهُ حتى قُتِلَ».

٣٩٩٩ ـ عَنْ أبي إدريسَ عائذُ الله بن عبدِ الله أنَّ عُبادةَ بن الصامت -وكان شَهِدَ بدراً- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «بايعوني».

٤٠٠٠ ـ عَنْ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النبيِّ «أن أبا حذَيفة - وكان ممن شهد بدراً مع رسولِ الله ﷺ - تبنَّى سالماً وأنكحَهُ بنتَ أخيه هنداً بنتَ الوَليد بن عتبة - وهو مولى لامرأةٍ منَ الأنصار- كما تبنى رسولُ الله ﷺ زيداً، وكان من تَبنَّى رجلاً في الجاهلية دَعاهُ الناسُ إليه، ووَرِثَ من ميراثه، حتى أنزلَ الله تعالى /الأحزاب:٥/: {ادعوهم لآبائهم}، فجاءت سَهلةُ النبيَّ ﷺ ...» فذكر الحديث.

[الحديث ٤٠٠٠ - طرفه في : ٥٠٨٨]

قوله (مدجج) أي مغطي بالسلاح ولا يظهر منه شيء.

٤٠٠١ ـ عن الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذٍ قالت« دخَلَ عليَّ النبيُّ ﷺ غداةَ بُنِيَ عليَّ، فجلسَ على فِراشي كمجلِسك مني، وجُوَيرياتٌ يَضرِبنَ بالدُّفِّ يندُبنَ مَن قُتِلَ من آبائهنَّ يومَ بدر، حتى قالت جاريةٌ: وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدٍ، فقال النبيُّ ﷺ: لا تقولي هكذا وقولي ما كنتِ تقولين».

[الحديث ٤٠٠١ ـ طرفه في:٥١٤٧]

٤٠٠٢ ـ عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «أخبرني أبو طلحة رضيَ الله عنه صاحبُ رسول الله ﷺ - وكان قد شَهد بدراً مع رسولِ اللهِ ﷺ - أنه قال: لا تَدخلُ الملائكةُ بيتا فيه كلبٌ ولا صورة يريدُ التماثيلَ التي فيها الأرواح».

٤٠٠٣ ـ عن عليٍّ رضي الله قال: «كانت لي شارفٌ من نَصيبي منَ المغنم يومَ بدرٍ، وكان النبيُّ ﷺ أعطاني ممّا أفاءَ الله عليه منَ الخُمُسِ يومَئذٍ؛ فلما أردت أن أبتني بفاطمةَ عليها السلام بنتِ النبيِّ ﷺ واعَدتُ رجلاً صَوّاغًا في بني قَينقاعَ أن يَرتحل معي فنأتِيَ

بإذْخِرٍ فأردتُ أن أبيعهُ منَ الصَّوَّاغينَ فنستعينَ به في وَليمةِ عُرسي، فبينا أنا أجمعُ لشارِفيَّ من الأقتابِ والغرائرِ والحِبالِ، وشارِفايَ مُناخانِ إلى جنبِ حُجرةِ رجلٍ منَ الأنصار، حتى جمعتُ ما جمعت، فإذا أنا بشارفيَّ قد أُجِبَّتْ أسنِمَتهما، وبُقِرَت خَواصِرُهما، وأُخِذَ من أكبادهما، فلم أملكْ عينيَّ حين رأيتُ المنظرَ قلتُ: من فَعل هذا؟ قالوا: فعلهُ حمزةُ بن عبدِ المطَّلبِ وهو في هذا البيتِ في شَرْبٍ من الأنصار، وعندَهُ قَيْنَةٌ وأصحابهُ، فقالت في غِنائها «ألا يا حمزة للشُّرُف النِّواء» فوثبَ حمزةُ إلى السيف فأجَبَّ أسنِمتَهما وبقَرَ خواصِرَهما وأخذَ من أكبادِهما، قال عليٌّ: فانطلقْتُ حتى أدخُلَ على النبيِّ ﷺ وعندَهُ زيدُ بن حارثةَ، وعرَف النبيُّ ﷺ الذي لقيتُ، فقال: مالك؟ قلتُ يا رسولَ الله مَا رأيتُ كاليوم، عدا حمزةُ على ناقتيَّ فأجَبَّ أسنِمتَهما وبقرَ خواصرِهَما، وها هو ذا في بيت معهُ شَرْبٌ، فدعا النبيُّ ﷺ بردائه فارتدى، ثمَّ انطلقَ يَمشي واتَّبَعْتُه أنا وزيدُ بن حارثةَ حتى جاءَ البيتَ الذي فيهِ حمزةُ، فاستأذن عليه، فأذنَ له، فطفقَ النبيُّ ﷺ يَلُوم حمزةَ فيما فعلَ، فإذا حمزةُ ثَمِلٌ محمرَّةٌ عيناهُ، فنظرَ حَمْزَةُ إلى النبيِّ ﷺ ثمَّ صعَّد النظر: فنظرَ إلى رُكبتهِ، ثُمَّ صعَّد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عَبيدٌ لأبي؟ فعرفَ النبيُّ ﷺ أنَّه ثَمِلٌ، فَنكصَ رسولُ الله ﷺ على عَقِبَيهِ القهقَرَى، فخرجَ وخَرجنَا معَهُ».

قوله (يندبن من قتل من آبائي[1]) كان الذي قتل ببدر ممن يدخل في هذه العبارة ولو بالمجاز أبوها وعمها عوف أو عوذ ومن يقرب لهما من الخزرج كحارثة بن سراقة، وقولها «يندبن» الندب دعاء الميت بأحسن أوصافه، وهو مما يهيج التشوق إليه والبكاء عليه، والدف معروف وداله مضمومة ويجوز فتحها، وفيه جواز سماع الضرب بالدف صبيحة العرس، وكراهة نسبة علم الغيب لأحد من المخلوقين.

٤٠٠٤ ـ عن ابن معقلٍ أنَّ عليًا رضيَ اللهُ عَنْهُ كبَّرَ على سهلِ بنِ حُنَيْفٍ فقالَ: إنَّهُ شهدَ بدراً».

٤٠٠٥ ـ عَنْ سالِمِ بنِ عبدِ الله أنَّهُ سمعَ عبدَ الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا يُحدِّثُ أن عُمَرَ بن الخَطَّابِ حين تأيَّمتْ حَفصةُ بنت عمر من خُنَيس بن حُذافة السَّهميِّ -وكان من أصحابِ رسولِ الله ﷺ قد شهدَ بدراً - تُوفِّيَ بالمدينة، قال عمرُ: فلقيتُ عثمان بن عفَّانَ، فعرضْتُ عليه حفصةَ فقلت: إن شئتَ أنكَحْتُكَ حفصةَ بنتَ عمر؛ قال: سأنظرُ في أمري، فلبثتُ ليالي، فقال: قد بَدالي أن لا أتزوَّج يومي هذا، قال عمرُ: فلقيتُ أبا بكرٍ فقلتُ: إن شئتَ أنكَحْتُكَ حفصةَ بنتَ عمر، فصَمتَ أبو بكر فلم يَرجعْ إليَّ شيئاً، فكنتُ عليهِ أوجدَ منِّي على عثمان، فلبِثتُ لياليَ ثمَّ خَطبَها رسولُ الله ﷺ فأنكحتُها إيَّاه، فلقيني أبو بكرٍ فقال: لعلكَ وَجَدْت عليَّ حين عرضْتَ عليَّ حفصةَ فلم أرجعْ إليك قلتُ: نعم، قال: فإنَّه لم

(١) رواية الباب واليونينية [أبائهن]

يَمْنَعني أن أرجعَ إليك فيما عرضتَ إلا أنّي قد علمت أنّ رسولَ الله ﷺ قَدْ ذكرَها، فلم أكُنْ لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركَها لقبِلْتُهَا».

[الحديث ٤٠٠٥ - أطرافه في: ٥١٢٢، ٥١٢٩، ٥١٤٥]

٤٠٠٦ - عَنْ عبدِ الله بنِ يزيد سمعَ أبا مسعودٍ البدريَّ عن النبيِّ ﷺ قال: «نَفَقَةُ الرّجل على أهلهِ صدَقة».

٤٠٠٧ - عنِ الزُّهريِّ «سمعت عروةَ بن الزُّبيْرِ يُحدِّثُ عمرَ بن عبدِ العزيز في إمارتِه أخّرَ المغيرةُ بن شُعْبَةَ العَصْرَ وهو أميرُ الكوفةِ، فدخلَ أبو مسعودٍ عقبةُ بن عمروٍ الأنصاريُّ جدُّ زيدَ بن حسنٍ شهدَ بدراً فقال: لقد علمتَ نزلَ جبريلُ فصلَّى، فصلَّى رسولُ الله ﷺ خمسَ صلواتٍ ثم قال: هكذا أُمِرْتُ، كذلك كان بَشيرُ بن أبي مسعودٍ يحدِّثُ عن أبيهِ».

٤٠٠٨ - عَنْ أبِي مسعودٍ البدريِّ رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: الآيتانِ من آخر سورة البقرةِ من قرأهُما في ليلةٍ كفتَاهُ، قال عبدُ الرحمنِ: فلقيتُ أبا مسعودٍ وهو يطوفُ بالبيت، فسألته، فحدَّثنيه».

[الحديث ٤٠٠٨ - أطرافه في: ٥٠٠٨، ٥٠٠٩، ٥٠٤٠، ٥٠٥١]

قوله (كبر على سهل بن حنيف) أي الأنصاري.

قوله (فقال لقد[1] شهد بدرا)، وكذا أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينة وأورده بلفظ «خمسا» زاد في رواية الحاكم «التفت إلينا فقال إنه من أهل بدر» وقول علي رضي الله عنه «لقد شهد بدرا يشير إلى أن لمن شهدها فضلا على غيرهم في كل شيء حتى في تكبيرات الجنازة، وهذا يدل على أنه كان مشهورا عندهم أن التكبير أربع وهو قول أكثر الصحابة، وعن بعضهم التكبير خمس، وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم حديث مرفوع في ذلك وقد تقدم في الجنائز أن أنسا قال: «إن التكبير على الجنازة ثلاث، وإن الأولى للاستفتاح وروى ابن أبي خيثمة من وجه آخر مرفوعا «أنه كان يكبر أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا، حتى مات النجاشي فكبر عليه أربعا، وثبت على ذلك حتى مات» وقال أبو عمر: انعقد الإجماع على أربع، ولا نعلم من فقهاء الأمصار من قال بخمس إلا ابن أبي ليلى، انتهى، وفي «المبسوط» للحنفية عن أبي يونس مثله، وقال النووي في «شرح المهذب» كان بين الصحابة خلاف ثم انقرض وأجمعوا على أنه أربع، لكن لو كبر الإمام خمسا لم تبطل صلاته إن كان ناسيا، وكذا إن كان عامدا على الصحيح لكن لا يتابعه المأموم على الصحيح، والله أعلم، الحديث العاشر، حديث عمر حين تأيمت حفصة، أي صارت أيما، وهي من مات زوجها، وسيأتي

(١) رواية الباب واليونينية "إنه شهد"

شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب النكاح.

٤٠٠٩ ـ عنِ ابن شهابٍ أخبرني محمودُ بن الرَّبيع «أنَّ عِتبانَ بن مالكٍ - وكان من أصحابِ النبيِّ ﷺ ممن شَهِدَ بدراً من الأنصار- أنه أتى رسولَ الله ﷺ ...».

٤٠١٠ ـ قالَ ابنُ شهابٍ: ثمَّ سألتُ الحصينَ بن محمد وهو أحدُ بني سالمٍ وهو من سَراتِهم عن حديث محمودِ بن الرَّبيع عن عِتبانِ بن مالكٍ فصَدَّقَه.

٤٠١١ ـ عَنِ الزُّهريِّ قال أخبرني عبدُ الله بن عامرِ بن رَبيعَةَ -وكان من أكبر بني عديٍّ وكان أبوه شهدَ بدراً مع النبيِّ ﷺ - «أن عمرَ استعملَ قُدامةَ بن مظعونٍ على البحرين وكان شهد بدراً، وهُوَ خال عبدِ الله بن عمرَ وحفصةَ رضي الله عنهم».

٤٠١٢، ٤٠١٣ ـ عن الزُّهري أن سالم بن عبدِ الله أخبرَهُ قال: «أخبرَ رافعُ بن خَديج عبدَ الله بن عمر أن عَمَّيْهِ -وكانا شهدا بدراً- أخبراه أن رسولَ الله ﷺ نهى عن كِراءِ المزارع، قلتُ لسالمٍ: فتُكريها أنت؟ قال: نعم، إنَّ رافعاً أكثرَ على نفسهِ».

٤٠١٤ ـ عن حُصينِ بْنِ عبدِ الرحمن قال سمعت عبدَ الله بن شَدَّاد بن الهادِ اللَّيثيَّ قال: «رأيتُ رِفاعة بن رافعِ الأنصاريَّ وكان شهد بدراً».

٤٠١٥ ـ عنِ الزُّهريِّ عن عُروة بن الزُّبير أنه أخبرَهُ أن المسوَرَ بن مخرمَةَ أخبَرَهُ «أن عمرَو بن عوف - وهو حليفٌ لبني عامرِ بنِ لُؤيٍّ وكان شهدَ بدراً مع النبيِّ ﷺ - أن رسول الله ﷺ بعثَ أبَا عُبيدةَ بن الجرَاح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسولُ الله ﷺ هوَ صالحَ أهل البحرَين وأمَّرَ عليهم العَلاءَ بن الحضرمَيِّ، فقدِمَ أبو عبيدةَ بمال من البحرَين فسمعَتِ الأنصار بقدُوم أبي عبيدةَ، فوافَواْ صلاةَ الفَجرِ معَ النبيِّ ﷺ، فلمَّا انصرف تعرَّضوا له، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ حين رآهم ثم قال: أظُنُّكم سمعتم أنَّ أبا عُبيدةَ قدمَ بشيء؟ قالوا: أجل يارسول الله، قال: فأبشروا وأمِّلوا ما يَسرُّكم، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على من قبلكم، فتَنافسوها كما تَنَافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم».

٤٠١٦ ـ عَنْ نافعٍ «أن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما كان يَقْتُلُ الحيَّاتِ كلهَّا.

٤٠١٧ ـ حتى حدَّثهُ أبو لُبابه البَدريُّ «أنَّ النبيَّ ﷺ نهى من قتل جِنَّانِ البيوت، فأمسَك عنها».

قوله (أن عمر استعمل قدامة بن مظعون) أي ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي، وهو أخو عثمان بن مظعون أحد السابقين، ولم يذكر البخاري القصة لكونها موقوفة ليست على شرطه، لأن غرضه ذكر من شهد بدرا فقط، وقد أوردها عبد الرزاق في مصنفه

عن معمر عن الزهري فزاد «فقدم الجارود العقدي على عمر فقال: إن قدامة سكر، فقال: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة، فشهد أبو هريرة أنه رآه سكران يقيء، فأرسل إلى قدامة، فقال له الجارود: أقم عليه الحد، فقال له عمر: أخصم أنت أم شاهد؟ فصمت، ثم عاوده فقال: لتمسكن أو لأسوأنك، فقال ليس في الحق أن يشرب ابن عمك وتسوءني، فأرسل عمر إلى زوجته هند بنت الوليد فشهدت على زوجها فقال عمر لقدامة: إني أريد أن أحدك، فقال: ليس لك ذلك لقول الله عزوجل {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا} الآية، فقال: أخطأت التأويل، فان بقية الآية {إذا ما اتقوا} فانك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك، ثم أمر به فجلد، فغاضبه، قدامة، ثم حجا جميعا، فاستيقظ عمر من نومه فزعا فقال: عجلوا بقدامة، أتاني آت فقال: صالح قدامة فإنه أخوك، فاصطلحا.

٤٠١٨ ـ عن أنس بن مالكٍ «أنَّ رجالاً من الأنصار استأذَنوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: ائذَنْ لنا فلنَترك لابن أختِنا عبّاسٍ فِداءَهُ، قال: واللهِ لا تَذَرونَ منه درهما».

٤٠١٩ ـ عَنْ عطاء بن يزيد الليثيُّ ثم الجُندَعيُّ أن عُبيدَ الله بن عديٍّ بن الخِيار أخبرَهُ «أن المقدادَ بن عمرٍو الكنديَّ -وكان حليفاً لبني زُهرةَ وكان ممن شهدَ بدراً مع رسولِ الله ﷺ أخبرَهُ أنَّهُ قالَ لرسولِ الله ﷺ أرأيتَ إن لَقيتُ رجلاً من الكفّارِ فاقتَتَلنا، فضرَبَ إحدَى يديَّ بالسيف فقطعَها ثمَّ لاذَ منِّي بشجرةٍ فقال: أسلمت لله، أأقتلهُ يا رسولَ الله بعدَ أن قالها؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: لا تَقتله، فقال: يارسولَ الله إنَّهُ قطعَ إحدى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ مَا قطعَها، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لا تقتلْهُ، فإن قتلتَهُ فإنه بمنزِلتكَ قبل أن تَقتُلَهُ، وإنك بمنزِلتهِ قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال».

[الحديث ٤٠١٩ ـ طرفه في: ٦٨٦٥]

٤٠٢٠ ـ عن سليمان التَيْميُّ عنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يومَ بدر: مَن ينظرُ ما صَنعَ أبوجهلٍ؟ فانطلقَ ابنُ مسعودٍ فوجدَهُ قد ضرَبَهُ ابنا عفراءَ حتى بَرَدَ، فقال: آنتَ أبا جهلٍ؟ قال ابنُ عُليَّةَ قال سليمانُ هكذا قالها أنسٌ قال: آنت أبا جهلٍ؟ قال: وهل فوقَ رَجُلٍ قتلتموهُ، قال سليمانُ: أو قال: قتله قومه، قال وقال أبو مِجلَزٍ قال أبو جهلٍ: فلو غيرُ أكّارٍ قتَلني».

٤٠٢١ ـ عن ابنِ عبّاسٍ عنْ عمر رضيَ اللهُ عنهُمْ «لمَّا توفِّيَ النبيُّ ﷺ قلتُ لأبي بكرٍ: انطلِقْ بنا إلى إخواننا منَ الأنصار، فلقينَا منهم رجلان صالحان شهدا بدراً، فحدَّثتُ عُروةَ بن الزُّبير فقال: هما عُويمُ بن ساعدةَ ومَعْنُ بن عَديٍّ».

قوله (إن رجالا من الأنصار) أي ممن شهد بدرا، لأن العباس كان أسر ببدر كما سيأتي، وكان المشركون أخرجوه معهم إلى بدر، فأخرج ابن إسحق من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ

قال لأصحابه يوم بدر: قد عرفت أن رجالا من بني هاشم قد أخرجوا كرها، فمن لقي أحدا منهم فلا يقتله» وروى أحمد من حديث البراء قال: «جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: ليس هذا أسرني بل أسرني رجل أنزع ، فقال النبي ﷺ للأنصاري أيدك الله بملك كريم» واسم هذا الأنصاري أبو اليسر وهو كعب بن عمرو الأنصاري، ومن حديث ابن عباس قلت «لأبي كيف أسرك أبو اليسر؟ ولو شئت لجعلته في كفك، قال: لا تقل ذلك يابني»، وأخرج ابن اسحق من حديث ابن عباس « أن النبي ﷺ قال: يا عباس أفد نفسك وابن أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة ابن عمرو فإنك ذو مال، قال إني كنت مسلما ، ولكن القوم استكرهوني، قال: الله أعلم بما تقول إن كنت ما تقول حقا إن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا».

قوله (لا تذرون) أي لاتتركون من الفداء شيئا ، أي للعباس، قيل والحكمة في ذلك أنه خشي أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه لا لكونه قريبهم من النساء فقط، وفيه إشارة إلى أن القريب لا ينبغي له أن يتظاهر بما يؤذي قريبه وإن كان في الباطن يكره ما يؤذيه، ففي ترك قبول ما يتبرع له الأنصار به من الفداء تأديب لمن يقع له مثل ذلك.

٤٠٢٢ ـ عنْ قيسٍ « كان عطاءُ البدريِّين خمسةَ آلافٍ خمسة آلاف، وقال عمرُ: لأفضِّلَنَّهُم عَلى مَن بعدَهم».

٤٠٢٣ ـ عَنْ محمَّد بن جُبير عن أبيهِ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأُ في المغرب بالطُّور، وذلكَ أول ما وَقَرَ الإيمانُ في قلبي».

٤٠٢٤ ـ عنْ محمد بن جُبيرِ بن مُطعِم عن أبيه «أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ فِي أسارىَ بدرٍ: لو كان المُطعمُ بن عديٍّ حياً ثمَّ كلَّمني في هؤلاء النَّتْنَى لتركتهم له».

عن سعيدِ بن المسيَّبِ «وقعَتِ الفتنةُ الأولى - يعني مقتلَ عثمان- فلم تُبقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية -يعني الحرَّةَ- فلم تُبقِ من أصحاب الحُدَيبية أحداً، ثم وقعتِ الثالثةُ فلم ترتَفِعْ والناس طَباخٌ».

٤٠٢٥ ـ عنْ يونس بن يزيد قالَ سمعتُ الزُّهريَّ قالَ سمعتُ عروةَ بن الزُّبير وسعيدَ بن المسيَّبِ وعلقمةَ بن وقّاصٍ وعُبيدَ الله بنَ عبد الله عن حديث عائشةَ رضيَ اللّهُ عنهَا زوجِ النبيِّ ﷺ ، كلٌّ حدثني طائفةً منَ الحديث قالت: «فأقبَلْتُ أنا وأم مِسطح فعثرتْ أمُّ مسطحٍ في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مِسطحٌ، فقلتُ: بِئْسَ ما قلتِ، تَسُبِّينَ رجلاً شهدَ بدراً»، فذكر حديث الإفك.

٤٠٢٦ ـ عَنْ ابنِ شهابٍ قال «هذهِ مغازي رسول الله ﷺ» فذكرَ الحديثَ «فقال رسول الله ﷺ وهو يُلقيهم: هل وَجَدْتم ماوعدكم ربُّكم حقاً» قال موسى قال نافع قال عبد الله

«قال ناسٌ من أصحابه: يارسولَ الله، تُنادي ناساً أمواتًا؟ قال رسولُ الله ﷺ، ما أنتم بأسمعَ لما قلتُ منهم» قال أبو عبدِ الله: فجميع من شهدَ بدراً من قريش ممن ضُربَ له بسهمِهِ أحدٌ وثمانونَ رجلاً، وكان عروةُ بن الزبير يقول قال الزُّبيرُ «قُسِمَتْ سُهمانهم فكانوا مائةً»، والله أعلم.

٤٠٢٧ ـ عن الزُّبير قال «ضُرِبَتْ يوم بدر للمهاجرينَ بمائة سهم»

قوله (كان عطاء البدريين خمسة آلاف) أي المال الذي يعطاه كل واحد منهم في كل سنة من عهد عمر فمن بعده.

قوله (وقال عمر لأفضلنهم) أي على غيرهم في زيادة العطاء، وفي حديث مالك بن أوس عن عمر «أنه أعطى المهاجرين خمسة آلاف خمسة آلاف، والأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف، وفضل أزواج النبي ﷺ فأعطى كل واحدة اثني عشر ألفا»، وروى الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن علي قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال: خير أصحابك في الأسرى: إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم، قالوا: الفداء ويقتل منا»، وأخرج مسلم هذه القصة مطولة من حديث عمر ذكر فيها السبب، هو أنه ﷺ قال ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: أرى أن نأخذ منهم فدية تكون قوة لنا، وعسى الله أن يهديهم، فقال عمر: أرى أن تمكنا منهم فتضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، فهوى رسول الله ﷺ ما قال ابو بكر» الحديث، وفيه نزول قوله تعالى {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} وقد تقدم نقل خلاف الأئمة في جواز فداء أسرى الكفار بالمال في باب {فإما منًا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها} من كتاب الجهاد، وقد اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب؟ فقال بعضهم كان رأي أبي بكر لأنه وافق ما قدر الله في نفس الأمر ولما استقر الامر عليه، ولدخول كثير منهم في الإسلام إما بنفسه وإما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله في حق من كتب له الرحمة، وأما العتاب على الأخذ ففيه إشارة إلى ذم من آثر شيئاً من الدنيا على الآخرة ولو قَلَّ، والله اعلم.

قوله (وقعت الفتنة الأولى) يعني مقتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحدا، أي أنهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرة، وكان آخر من مات من البدريين سعد بن أبي وقاص، ومات قبل وقعة الحرة ببضع سنين.

قوله (ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة الخ) كانت الحرة في آخر زمن يزيد بن معاوية، وسيأتي شيء من خبرها في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى، وقوله (طباخ)أي قوة.

١٣ ـ باب تسمية من سمِّيَ من أهل بدر

في الجامع الذي وضعَهُ أبو عبدِ الله ، على حروف المُعْجَم

النبيُّ محمدُ بن عبدِ الله الهاشميُّ ﷺ ، إياسُ بن البُكير، بلالُ بن رباح مولى أبي بكرٍ القُرشيِّ، حمزةُ بن عبد المطّلب الهاشميُّ، حاطبُ بن أبي بلتعةَ حليفٌ لقُرَيش، أبو حُذَيفةَ بن عتبةَ بن ربيعةَ القرشيِّ، حارثة بن الربيع الأنصاري قُتلَ يوم بدر وهو حارثةُ بن سُراقة كان في النظّارة، خُبَيبُ بن عديّ الأنصاريّ، خُنَيسُ بن حُذافةَ السَّهميُّ، رفاعة بن رافعٍ الأنصاريُّ، رفاعة بن عبد المنذر أبو لُبابةَ الأنصاري، الزُّبيرُ بن العَوّام القُرشي، زيدُ بن سهل أبو طلحة الأنصاريُّ، أبو زيد الأنصاريُّ، سعدُ بنُ مالك الزهريُّ، سعدُ بن خَولةَ القرشيُّ، سعيدُ بن زيدِ بن عمرو بن نفيل القرشي، سهلُ بن حُنَيفٍ الأنصاري، ظُهيرُ بن رافعٍ الأنصاري وأخوه عبدُ الله بن عثمان أبو بكرٍ الصديق القرشيّ، عبدُ الله بن مسعود الهُذَلي، عُتبةُ بن مسعود الهُذَليُّ، عبدُ الرحمن بن عوف الزهري، عبيدةُ بن الحارثة القرشي، عُبادةُ بن الصامتِ الأنصاري، عمرُ بن الخطّاب العَدَويّ، عثمان بن عفان القرشيُّ خلّفهُ النبيُّ ﷺ على ابنتهِ وضربَ له بسهمهِ، علي بن أبي طالب الهاشمي، عمروِ بن عوف حليف بن عامر بن لؤيّ، عقبة بن عمروِ الأنصاري، عامر بن ربيعةَ العَنزيّ، عاصمُ بن ثابت الأنصاريّ، عويمُ بن ساعدةَ الأنصاريّ، عِتبانُ بن مالك الأنصاري، قدامة بن مظعونٍ، قتادة بن النعمانِ الأنصاري، مُعاذ بن عمروِ بن الجَموح، معوِّذ بن عفراءَ وأخوه، مالكُ بنُ ربيعة أبو أسيدٍ الأنصاري، مرارة بن الربيع الأنصاري، معنُ بن عَديِّ الأنصاري، مِسطحُ بن أثاثةَ بن عبّادِ بن المطّلبِ بن عبدِ مَناف، مِقداد بن عمروِ الكنديّ حَليفُ بني زهرةَ، هِلالُ بن أمية الأنصاريّ رضيَ الله عنهم.

قوله (باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع) أي دون من لم يسم فيه، ودون من لم يذكر فيه أصلا والمراد بالجامع هذا الكتاب، والمراد بمن سمي من جاء ذكره فيه برواية عنه أو عن غيره بأنه شهدها لا بمجرد ذكره دون التنصيص على أنه شهدها، وبهذا يجاب عن ترك إيراده مثل أبي عبيدة بن الجراح فإنه شهدها باتفاق، وذكر في الكتاب في عدة مواضع، إلا أنه لم يقع فيه التنصيص على أنه شهد بدرا.

قوله (النبي محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ) قلت بدأ به تبركاً وتيمناً بذكره، وإلا فذلك من المقطوع به.

١٤ ـ باب حديثِ بني النَّضير

ومخرَجِ رسول الله ﷺ في ديةِ الرَّجُلَين، وما أرادوا منَ الغدر برسولِ الله ﷺ ، قالَ الزُّهريُّ عن عُروةَ: كانت على رأسِ ستةِ أشهُرِ من وقعة بدر قبلَ وقعةِ أُحُد، وقول الله

تعالى: {هو الّذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتابِ من ديارِهم لأوّلِ الحشر} /٢ الحشر/، وجعلهُ ابنُ إسحاق بعدَ بئرِ مَعونةَ وأُحُدٍ.

٤٠٢٨ ـ عَنِ ابنِ عمر رضيَ اللّه عَنْهُمَا قالَ: «حاربت قُرَيظة والنَّضير، فأجلى بني النظير وأقرَّ قرَيظةَ ومَنَّ عليهم حتى حاربَتْ قرَيظةُ، فقَتل رجالَهم، وقسمَ نساءَهم وأولادَهم وأموالَهم بين المسلمين، وإلا بعضَهم لحقوا بالنبيِّ ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى يهودَ المدينةِ كلَّهم: بني قينُقاعَ وهم رَهط عبدِ اللّه بن سلام، ويهودَ بني حارثة، وكلَّ يهود المدينة».

٤٠٢٩ ـ عنْ سعيد بن جُبَير قال: «قلتُ لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل سورة النَّضير» تابَعهُ هُشَيم عن أبي بشر.

[الحديث ٤٠٢٩ – أطرافه في: ٤٦٤٥، ٤٨٨٢، ٤٨٨٣]

٤٠٣٠ ـ عنْ أنسٍ بن مالك رضيَ اللّه عنه قال «كانَ الرجلُ يجعلُ للنبيِّ ﷺ النَّخلات، حتى افتتحَ قُرَيظةَ والنَّضيرَ، فكان بعدَ ذلك يَرُدُّ عليهم».

٤٠٣١ ـ عن ابن عمرَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «حرَّق رسولُ اللّه ﷺ نخل بني النَّضير وقطعَ، وهي البُوَيرةُ، فنزلَت /٥٩ الحشر/: {ما قَطعتم من لِينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذنِ اللّه}.

٤٠٣٣ ـ عَنِ ابنِ عمر رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ حرَّق نخلَ بني النَّضير، قال: ولها يقول حسَّانُ بن ثابت:

وهانَ على سراة بني لؤَي ... حَريقٌ بالبُويرةِ مُســـتطيرُ

قال فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيـعٍ ... وحَرَّق في نواحيها السعيـر

ســـتعلم أينا منها بُنزَهٍ ... وتعلم أيَّ أرضينا تَضـير

قوله (حديث بني النضير) هم قبيلة كبيرة من اليهود، وقد مضت الإشارة إلى التعريف بهم في أوائل الكلام على أحاديث الهجرة[١]، وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وقينقاع، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش، وقسم تاركوه وانتظروا مايئول إليه أمره كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبني بكر، ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون،

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٥٢ ح ٣٩٤١ – ٣ / ٢٥٥.

فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه، وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبيّ وكانوا حلفاءه فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات، ثم نقض العهد بنو النضير كما سيأتي، وكان رئيسهم حيي بن أخطب، ثم نقضت قريظة كما سيأتي شرح حالهم بعد غزوة الخندق[١] إن شاء الله تعالى.

قوله (وقال الزهري عن عروة بن الزبير: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد) وصله عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري أتم من هذا ولفظه عن الزهري وهو في حديثه عن عروة «ثم كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال لا الحلقة يعني السلاح فأنزل الله فيهم {سبح لله -إلى قوله- لأول الحشر} وقاتلهم حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسباء، وقوله {لاول الحشر} فكان جلاؤهم أول حشر حشرا في الدنيا إلى الشام.

قوله {وقول الله عزوجل[٢]: هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب -إلى قوله- أن يخرجوا} وقد أورد ابن إسحق تفسيرها لما ذكر هذه الغزوة، واتفق أهل العلم على أنها نزلت في هذه القصة، قاله السهيلي، قال: ولم يختلفوا في أن أموال بني النضير كانت خاصة برسول الله ﷺ وأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب وأنه لم يقع بينهم قتال أصلا وقد ذكر ابن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره من أهل العلم أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة كانت على أمه، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو ممن أنتما؟ فذكروا أنهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: لقد قتلت قتيلين لأودينهما، إنتهى، وسيأتي خبر غزوة بئر معونة بعد غزوة أحد، وفيها عن عروة «أن عمرو بن أمية الضمري كان مع المسلمين، فأسره المشركون» قال ابن إسحق «فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في ديتهما فيما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم يستعينهم قالوا: نعم، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال، قال: وكان جالسا إلى جانب جدار لهم، فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش

(١) كتاب المغازي باب / ٣٠ ح ٤١٢١ - ٣ / ٣٢٠ .
(٢) رواية الباب واليونينية "قول الله تعالى"

ابن كعب فأتاه الخبر من السماء، فقام مظهرا أنه يقضي حاجة وقال لأصحابه : لا تبرحوا، ورجع مسرعا إلى المدينة، واستبطأه أصحابه فأخبروا أنه توجه إلى المدينة، فلحقوا به، فأمر بحربهم والمسير إليهم، فتحصنوا، فأمر بقطع النخل والتحريق، وذكر ابن إسحق أنه حاصرهم ست ليال، وكان ناس من المنافقين بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، فإن قوتلتم قاتلنا معكم، فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم، فسألوا أن يجلوا عن أرضهم على أن لهم ما حملت الأبل فصولحوا على ذلك،

قوله (فنزل[١]: ما قطعتم من لينة) هي صنف من النخل،

قوله (ستعلم أينا منها بنزه) أي ببعد ،

٤٠٣٣ - عَنِ الزُهريِّ قال: «أخبرني مالكُ بن أوسِ بن الحَدَثان النَّصريُّ أن عمرَ بن الخطابِ رضيَ اللَّه عنه دعاهُ، إذ جاءه حاجبهُ يَرْفَأ فقال: هل لك في عثمانَ وعبدِ الرحمن والزُّبير وسعدٍ يستأذنون؟ فقال: نعم فأدخِلْهم، فلبثَ قليلاً ثمَّ جاء فقال: هل لكَ في عبّاسٍ وعلي يستأذنان؟ قال: نعم، فلما دَخَلا قال عبّاسٌ: يا أميرَالمؤمنين، اقض بيني وبين هذا - وهما يختصمانِ في الذي أفاءَ اللَّه على رسولهِ ﷺ من بني النَّضير - فاستبَّ عليٌّ وعباسٌ، فقال الرَّهطُ: يا أمير المؤمنين اقضِ بينَهما وأرح أحدَهما من الآخر، فقال عمرُ: اتَّئدوا، أنشُدُكم باللَّه الذي بإذنه تقوم السماءُ والأرض، هل تعلمونَ أن رسول اللَّه ﷺ قالَ: لا نورَثُ، ما تركنا صَدَقة، يُريدُ بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبلَ عمرُ على عبّاسٍ وعليٍّ فقال: أنشُدُ كما باللَّه هل تعلمانِ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: نعم، قال: فإني أُحدِّثكم عن هذا الأمر، إنَّ اللَّه سبحانه قد خَصَّ رسولهُ ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يُعطهِ احداً غيرَه، فقال جَلَّ ذكرهُ /٦ الحشر/ {وما أفاءَ اللَّه على رسولهِ منهم فما أوجَفتُم عليهِ من خيلٍ ولا ركابٍ -إلى قوله- قَدير} فكانت هذهِ خالصة لرسولِ اللَّه ﷺ، ثمَّ واللَّه مَا احتازها دُونَكُمْ ولا استأثرها عليكُمْ، لَقَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وقسَمها فيكم حتى بقيَ هذا المالُ منها، فكانَ رسولُ اللَّه ﷺ يُنفِقُ على أهله نفقةَ سنتِهم من هذا المال، ثم يأخذُ ما بقي فيجعلهُ مجعَلَ مال اللَّه، فعمل ذلك رسول اللَّه ﷺ حياته، ثم تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ فقال أبو بكر: فأنا وليُّ رسولِ اللَّه ﷺ ، فقبضَهَ أبوبكرٍ فعملَ فيه بما عملَ به رسولُ اللَّه ﷺ وأنتم حينئذٍ - فأقبلَ على عليٍّ وعبّاسٍ وقال- تذكرانِ أنَّ أبا بكر عملَ فيه كمَا تقولان، واللَّه يعلم إنه فيه لصادقٌ بارٌّ راشد تابع للحقِّ، ثمَّ توفَّى اللَّه أبا بكر فقلتُ: أنا وليُّ رسولِ اللَّه ﷺ وأبي بَكْر، فقبضتهُ سنتينِ من إمارتي أعملُ فيه بما عملَ رسولُ اللَّه ﷺ وأبوبكر، واللَّه يعلم إني فيه صادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحق، ثمَّ جِئتماني كِلاكما وكلِمتكما واحدة وأمركما

(١) رواية الباب واليونينية فنزلت.

جميع، فجئتَنِي -يعني عباسًا- فقلتُ لكما: إنّ رسول الله ﷺ قالَ: لا نُورثُ، ما تركنا صَدَقَة، فلما بد الي أن أدفعهُ إليكما قلتُ: إن شئتما دفعتهُ إليكما على أنّ عليكما عهدَ الله وميثاقَهُ لتعملانِ فيه بما عمل فيه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وما عملتُ فيه مُذ وَليتُ، وإلا فلا تُكلماني، فقلتُما: أدفَعْهُ إلينا بذلك، فدفعته إليكما، أفتَلتَمِسان مني قضاءً غيرَ ذلك؟ فوَ الله الذي بإذنهِ تقوم السماءُ والأرض لا أقضي فيه بقَضاءٍ غيرِ ذلك حتى تقومَ الساعة، فإن عجَزْتُما عنه فادفَعا إليّ، فأنا أكفيكُماه».

٤٠٣٤ ـ قالَ فحدَّثت هذا الحديث عُروةَ بن الزُّبير فقال: «صدقَ مالكُ بن أوسٍ، أنا سمعتُ عائشةَ رضيَ الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ تقول: أرسلَ أزواجُ النبيِّ ﷺ عثمانَ إلى أبي بكر يَسألْنَهُ ثُمنَهنّ مما أفاءَ الله على رسولِه ﷺ، فكنتُ أنا أرُدُّهنّ، فقلت لهنّ: آلا تَتَّقِينَ الله؟ ألم تَعلمن أنّ النبيّ ﷺ كان يَقول لا نورَث، ما تركنا صَدَقة - يريدُ بذلك نفسه- إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال، فانتهى أزواجُ النبيِّ ﷺ إلى ما أخبرَتْهنّ، قال: فكانت هذه الصدقةُ بيَد عليّ، منَعَها عليٌّ عبّاسًا فغلَبَهُ عليها، ثمّ كان بيدِ حسنِ بن عليّ، ثمّ بيد حُسين بن عليّ، ثمّ بيد عليّ بن حسينٍ وحسنِ بن حسن كلاهما كانا يَتداولانِها، ثم بيد زيدِ بن حسن وهي صدَقة رسول الله ﷺ حقًا».

[الحديث ٤٠٣٤ – طرفاه في: ٦٧٢٧، ٦٧٣٠]

٤٠٣٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ «أنّ فاطمة عليها السلامُ والعباسَ أتَيا أبا بكرٍ يَلتَمِسانِ ميراثَهما: أرضه من فَدَك، وسَهمَهُ من خَيبر».

٤٠٣٦ ـ فَقَال أبو بكر: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لا نُورَثُ، ما تركْنا صدَقة، إنما يأكُل آل محمدٍ في هذا المال، والله لَقَرابةُ رسولِ اللهِ ﷺ أحبّ إليّ أن أصِلَ مِن قرابَتي».

١٥ ـ باب قَتلِ كعب بنِ الأشرف

٤٠٣٧ ـ عَنْ عمروٍ سمعتُ جابرَ بن عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: «قال رسولُ الله ﷺ: مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله، فقام محمدُ بن مسلمةَ فقال: يا رسول الله، أتحِبُّ أن أقتُله؟ قال: نعم، قال: فأذنْ لي أن أقولَ شيئاً، قال: قل، فأتاهُ محمد ابن مسلمةَ فقال: إنّ هذا الرجلَ قد سألَنا صدَقةً، وإنَّهُ قَدْ عنّانا، وإني قد أتيتُك أستَسْلفُك، قال: وأيضاً والله لتملُّنّه، قال: إنا قد اتبَعْناهُ، فلا نحِبُّ أن نَدَعَهُ حتى ننظرَ إلى أيِّ شيءٍ يصيرُ شأنه، وقد أردْنا أن تُسلِفَنا وسقاً أو وسقَين - وحدّثنا عمرو غيرَ مرة فلم يذكر «وسقاً أو وسقين» فقلت له: فيه «وسقاً أو وسقين»؟ فقال: أرى فيه «وسقاً أو وسقين» - «فقال: نعم؛ ارهَنوني، قالوا: أيُّ شيءٍ تريد قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنُك نساءنا وأنتَ أجملُ العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنُكَ أبناءنا

فيُسَبُّ أحدُهم فيقال: رُهِنَ بوسق أو وسقَين، هذا عارٌ علينا، ولكنّا نرهَنكَ اللأمة، قال سفيانُ: يعني السلاحَ، فواعَدَه أن يأتيَه، فجاءَهُ ليلاً ومعه أبو نائلةَ -وهو أخو كعب منَ الرضاعة- فدَعاهم إلى الحِصنِ، فنزلَ إليهم، فقالت له امرأتهُ: أينَ تخرُجُ هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمدُ بن مَسلمةَ وأخي أبو نائلة، وقال غير عمرٍو: قالت أسمعُ صوتاً كأنهُ يَقطُرُ منه الدَّم، قال إنما هو أخي محمدُ بن مَسلمةَ ورضيعي أبو نائلة، إن الكريمَ لو دُعِيَ إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب، قال: ويُدخِلُ محمدُ بن مَسلمةَ معهُ رجلَين -قيل لسفيانَ: سماهم عمرٌو؟ قال: سمى بعضهم، قال عمرٌو: جاء معه برجلين، وقال غيرُ عمرو: أبو عبسٍ بن جَبر والحارثُ بن أوسٍ وعبّاد بن بشر- قال عمرٌو جاء معه برجلَين فقال: إذا ماجاء فإني قائل بشعره فأشُمه، فإذا رأيتموني استمكَنْتُ من رأسه فدونكم فاضربوه، قال مرةً: ثم أشِمُّكم، فنزلَ إليهم مُتوشِّحاً وهو ينفَحُ منه ريحُ الطيب فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحًا -أي أطيبَ- وقال غيرُ عمرو: قال عندي أعطرُ نساء العرب وأكملُ العرب، قال عمرٌو فقال: أتأذن لي أن أشمَّ رأسَك؟ قال: نعم فشمَّهُ، ثم أَشَمَّ أصحابهَ ثم قال أتأذنُ لي؟ قال: نعم، فلما استمكنَ منهُ قال: دونَكم فقتَلوه، ثمَّ أتَوُا النبيَّ ﷺ فأخبروه».

قوله (باب قتل كعب بن الأشرف) أي اليهودي، قال ابن إسحق وغيره كان عربيا من بني نبهان وهم بطن من طيىء، وكان أبوه أصاب دما في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا، وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر، وخرج إلى مكة فنزل على ابن وداعة السهمي والد المطلب، فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكه بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية فطردته، فرجع كعب إلى المدينة وتشبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم، وروى أبو داود والترمذي أن كعب بن الأشرف كان شاعرا، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط فأراد رسول الله ﷺ استصلاحهم، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر، فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه، وذكر ابن سعد أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة.

قوله (من لكعب بن الأشرف)؟ أي من الذي ينتدب إلى قتله، وعند ابن إسحق بإسناد حسن عن ابن عباس «أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم.

قوله (وأنت أجمل العرب) لعلهم قالوا له ذلك تهكما، وإن كان هو في نفسه كان جميلا، زاد ابن سعد من مرسل عكرمة، ولا نأمنك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك».

قوله (وقال مرة فأشمكم[(١)]) أي أمكنكم من الشم.

قال السهيلي: في قصة كعب بن الأشرف قتل المعاهد إذا سب الشارع، خلافا لأبي حنيفة، قلت: وفيه نظر، وصنيع المصنف في الجهاد يعطى أن كعبا كان محاربا حيث ترجم لهذا الحديث «الفتك بأهل الحرب» وترجم له أيضاً «الكذب في الحرب» وفيه جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته، وفيه جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته، وقد تقدم البحث في ذلك مستوفى في كتاب الجهاد[(٢)]، وفيه دلالة على قوة فطنة امرأته المذكورة وصحة حديثها، وبلا غتها في إطلاقها أن الصوت يقطر منه الدم.

١٦ ـ باب قتلِ أبي رافع عبدِ الله بن أبي الحُقيق

ويقال سلاَّم بن أبي الحُقيقَ كان بخَيبر، ويقال فِي حصن له بأرض الحجاز، وقال الزُّهري: هو بعدَ كعبِ بن الأشرف.

٤٠٣٨ ـ عَنْ البراء بن عازب رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ رَهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبد الله بن عتيكٍ بيته ليلاً وهو نائمٌ فقتلهَ».

٤٠٣٩ ـ عنِ البَراء بن عازب قال: «بَعثَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أبي رافعِ اليهوديِّ رجالاً من الأنصار، فأمَّرَ عليهم عبدَ الله بن عَتيك،وكان أبو رافعِ يُؤْذي رسولَ الله ﷺ ويُعينُ عليهِ، وكان في حصن له بأرض الحِجاز، فلمَّا دَنَوا منه –وقد غَرَبَتِ الشمسُ وراحَ الناس بسرحِهم– فقال عبدُ الله لأصحابه: اجلِسوا مَكانَكم، فإني منطلق ومُتلطِّفٌ للبوَّاب لعلي أن أدخَل، فأقبَلَ حتَّى دنَا منَ الباب، ثمَّ تَقنَّعَ بثوبه كأنه يَقضي حاجةً، وقد دَخَلَ الناسُ، فهتفَ بهِ البَوَّابُ: يا عبدَ الله إن كنتَ تُريدُ أن تَدخلَ فادخل، فإني أُريدُ أن أُغلِقَ الباب، فدخلتُ فكمَنْتُ، فلما دخلَ الناسُ أغلَقَ الباب ثم علقَ الأغاليقَ على وَدّ، قال فقمتُ إلى الأقاليدِ فأخذتها ففتحتُ الباب، وكان أبو رافعٍ يُسمَرُ عندَه، وكان في عَلالي لهُ، فلما ذهبَ عنه أهلُ سَمرِه صَعِدتُ إليهِ فجعلتُ كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل، قلتُ إن القومُ نَذِروا بي لم يَخلُصوا إليَّ حتى أقتُلَه، فانتهَيتُ إليه، فاذا هو في بيتٍ مُظلم وسطَ عيالِه، لا أدري أينَ هوَ منَ البيت، فقلتُ: أبا رافع، قال: مَنْ هذا؟ فأهوَيتُ نحوَ الصَّوت فأضربه ضربةً بالسيفِ وأنا دَهِشٌ فما أغنيتُ شيئا، وصاحَ، فخرَجتُ منَ البيتِ فأمكثُ غيرَ بعيدٍ، ثمَّ دخلتُ إليه فقلتُ: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال لأمِّكَ الويلُ، إنَّ رجلاً في البيتِ ضرَبَني قبلُ بالسيف، قالَ فأضربهُ ضربةً أثخنَتْه ولم أقتُله، ثمَّ وضعت ضَبِيبَ

(١) رواية الباب واليونينية ..... ثم أشمكم
(٢) كتاب الجهاد باب / ١٠١ ح ٢٩٣٨ - ٢ / ٦٠٨

السيف في بطنه حتى أخذَ في ظهره، فعرفت أني قَتلته، فجعلت أفتحُ الأبوابَ باباً باباً حتى انتهيت إلى درجةٍ له، فوضعتُ رِجلي وأنا أرَى أني قد انتهيتُ إلى الأرضِ فوقعت في ليلة مُقْمِرةٍ، فانكسرَتْ ساقي، فعصَبْتها بعمامة ثم انطلَقْتُ حتى جَلَستُ على الباب فقلتُ لا أخرجُ الليلةَ حتى أعلم أقتَلْته، فلما صاحَ الدِّيك قام الناعي عَلَى السُّور فقال: أنعى أبا رافع تاجرَ أهلِ الحجاز، فانطلَقْتُ إلى أصحابي فقلتُ النَّجاء، فَقَدْ قَتَل الله أبا رافع، فانتهيْت إلى النبيِّ ﷺ فحدَّثته، فقال لي: ابسُطْ رِجَلك، فبَسَطْت رِجلي فمسحها، فكأنها لم أشتَكها قطُّ».

٤٠٤٠ ـ عَنْ أبِي إسحاق قال سمعتُ البَراء بن عازب رضيَ الله عنهُ قالَ «بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى أبِي رافعٍ عبدَ الله بن عَتِيك وعبدَ الله بن عُتبةَ في ناس مَعهم، فانطلَقوا حتى دَنَوا من الحصن، فقال لهم عبدُ الله بن عَتِيك: امكثوا أنتم حتَّى أنطلق أنَا فأنظرَ، قال: فتلطفتُ أن أدخُلَ الحصنَ، فَفَقدوا حِمَاراً لهم، قال فخَرجوا بقبَسٍ يَطلبونه قال: فَخشيتُ أن أعرَفَ، قالَ فغطَّيت رأسي كأني أقضي حاجة، ثمَّ نادى صاحب الباب: من أراد أن يَدخلَ فَلْيَدْخُل قبلَ أن أغلقَه، فدخَلْتُ ثمَّ اختبَأت في مربِط حِمار عندَ بابِ الحصن، فتعشَّوا عندَ أبي رافعٍ وتحدثوا حتَّى ذهبَتْ ساعة من الليل، ثم رجَعوا إلى بُيوتهم، فلما هَدأتِ الأصواتُ ولا أسمع حركةً خرَجت، قالَ: ورأيتُ صاحبَ الباب حيث وضَعَ مفتاح الحصن في كوَّة، فأخذته ففتحتُ به بابَ الحصنِ، قال قلت: إن نَذر بي القوم انطلقتُ على مَهَل، ثم عَمدت إلى أبوابِ بيُوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر، ثم صَعدت إلى أبي رافعٍ في سُلم، فإذا البيت مظلم قد طَفِيءَ سراجه فلم أدر أين الرجل، فقلت: يا أبا رافع، قال: مَن هذا؟ قال فَعمدت نحو الصوتِ فأضربه، وصاحَ، فلم تغن شيئا، قال: ثم جئتُ كأني أغيثه فقلت: مالكَ يا أبا رافعٍ؟ وغيرتُ صوتي، فقال: ألا أعجبكَ لأمِّكَ الوَيل، دخلَ عليَّ رجلٌ فضرَبَني بالسيف، قال فعَمدت له أيضاً فأضربهُ أخرَى، فلم تغن شيئاً، فصاحَ، وقام أهله، قال: ثم جئتُ وغيَّرتُ صوتي كهيئة المغيث، فإذا هو مُستلقٍ عَلَى ظهرهِ فأضعُ السيفَ في بطنه ثمَّ أنكفِيءُ عليه حتى سمعتُ صوتَ العظم، ثمَّ خرجتُ دَهِشاً حتى أتيتُ السُّلم أريد أن أنزلَ فأسقُطُ منه، فانخلعَتْ رِجلي فعصَبْتها، ثمَّ أتيتُ أصحابِي أحجُلُ، فقلت: انطلقوا فَبَشروا رسولَ الله ﷺ، فأني لا أبرَحُ حتى أسمَع الناعية، فلما كان في وجهِ الصبْح صَعدَ الناعيةُ فقال: أنعى أبا رافعٍ، قال فقمتُ أمشي ما بي قلَبة، فأدركتُ أصحابي قبلَ أن يأتوا النبيَّ ﷺ، فبشرتهُ».

قوله (تقنع بثوبه) أي تغطي به ليخفى شخصه لئلا يعرف.

قوله (فهتف به) أي ناداه.

قوله (فكمنت) أي اختبأت.

قوله (ثم علق الأغاليق على ود) هو الوتد.

قوله (فقمت إلى الأقاليد) هي جمع إقليد وهو المفتاح.

قوله (يسمر عنده) أي يتحدثون ليلا.

قوله (في علالي له) وهي الغرفة.

قوله (نذروا بي) أي علموا

قوله (فما أغنيت شيئا) أي لم أقتله.

قوله (فلم يغن[1]) أي لم ينفع.

قوله (ضبيب السيف) وهو حرف حد السيف.

قوله (فقلت النجاء) أي أسرعوا. وفي هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسيس على أهل الحرب وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إبهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين؛ والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناعي بموته، والله أعلم.

١٧ ـ باب غزوة أحد

وقول الله تعالى /آل عمران:١٢١/: {وإذْ غدَوتَ من أهلكَ تُبَوِّئُ المؤمنينَ مَقاعدَ للقتال والله سميعٌ عليم} وقوله جل ذِكرُه [١٤٠ آل عمران]: {ولا تَهنوا ولا تحزَنوا وأنتُمَ الأعلونَ إن كنتم مؤمنين، إن يَمسَسْكم قَرح فقد مسَّ القومَ قَرحٌ مثله، وتلكَ الأيامُ نداوِلها بينَ الناس وليَعلَم الله الذين آمنوا ويتَّخِذَ منكم شُهَداءَ والله لا يحبُّ الظالمين، وليُمحِّصَ الله الذين آمنوا ويمحَق الكافرين، أم حَسِبتُم أن تَدخلوا الجنَّة ولمَّا يَعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين، ولقد كنتم تَمنَّونَ الموتَ من قبل أن تَلقَوهُ، فقد رأيتموهُ وأنتم تنظرون} وقوله /آل عمران:١٥٢/: {ولقد صَدَقَكم الله وعدَه إذ تَحُسُّونهم - تستأصلونَهم قتلاً- بإذنه، حتى إذا فشِلتم وتَنازعتم في الأمرِ وعَصيتم من بعد ما أراكمْ ما تُحبُّونَ، منكم من يُريد الدُّنيا ومنكم من يُريد الآخرة، ثم صَرَفكم عنهم ليبتَليَكم، ولقد عَفا عنكم، والله ذو فضلٍ على المؤمنين ولا تَحسبَنَّ الذين قُتلوا في سبيلِ اللهِ أمْواتاً} الآية.

قوله (باب غزوة أحد) و «أحد» جبل معروف بينه وبين المدينة أقل من فرسخ، وهو الذي قال فيه ﷺ «جبل يحبنا ونحبه».

---

(١) في الباب واليونينية "فلم تغن"

وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور، ورأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: رأيت البارحة في منامي بقرا تذبح، والله خير وأبقى، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته أو قال به فلول فكرهته وهما مصيبتان، ورأيت أني في درع حصينة وأني مردف كبشا، قالوا: وما أولتها؟ قال: أولت البقر بقرا يكون فينا، وأولت الكبش كبش الكتيبة، وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت، فقال أولئك القوم: يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم، وأبى كثير من الناس إلا الخروج فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمه فلبسها، ثم أذن في الناس بالخروج، فندم ذوو الرأي منهم فقالوا: يارسول الله امكث كما أمرتنا، فقال: ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل، نزل فخرج بهم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف حتى نزل بأحد، ورجع عنه عبد الله بن أبيّ ابن سلول في ثلثمائة فبقي في سبعمائة، فلما رجع عبد الله سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة، وصف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة وتعبّوا للقتال، وعلى خيل المشركين - وهي مائة فرس- خالد بن الوليد، وليس مع المسلمين فرس وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان، وأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وعهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير، فبارز طلحة بن عثمان فقتله، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أثقالهم، وحملت خيل المشركين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوهم، فرأى ذلك الرماة فتركوا مكانهم، ودخل العسكر، فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فمزقوهم، وصرخ صارخ: قتل محمد أخراكم، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل؛ وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب، وتوجه النبي ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته، فمر مصعدا في الشعب ومعه طلحة والزبير، وقيل معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة، وشغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا النبي ﷺ وأشراف أصحابه، فقال أبو سفيان يفتخر بآلهته: اعل هبل، فناداه عمر: الله أعلى وأجل، ورجع المشركون إلى أثقالهم فقال النبي ﷺ لأصحابه: إن ركبوا وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل، فهم يريدون البيوت، وإن ركبوا الأثقال وتجنبوا الخيل فهم يريدون الرجوع، فتبعهم سعد بن ابي وقاص، ثم رجع فقال: رأيت الخيل مجنوبة، فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم في ثيابهم ولم يغسلوهم ولم يصلوا عليهم، وبكى

المسلمون على قتلاهم، فسر المنافقون وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق، فقالت اليهود: لو كان نبيناً ماظهروا عليه، وقالت المنافقون: لو أطاعونا ما أصابهم هذا، قال العلماء: وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة: منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه، ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة كما تقدم في قصة هرقل مع أبي سفيان، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم، ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون، ومنها أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها، ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها اليهم، ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين،

{حتى إذا فشلتم} أي جبنتم {وتنازعتم في الأمر} أي اختلفتم، وقوله {ثم صرفكم عنهم} فيه إشارة إلى رجوع المسلمين عن المشركين بعد أن ظهروا عليهم لما وقع من الرماة من الرغبة في الغنيمة، وإلى ذلك الإشارة بقوله {منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة} قال السدي عن عبد خير قال: قال عبد الله بن مسعود «ماكنت أرى أحدا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية يوم أحد: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة».

وقوله {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا} الآية أخرج مسلم من طريق مسروق قال: «سألنا عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات قال: أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها» الحديث.

٤٠٤١ ـ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ أُحدٍ: هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسه عليه أداةُ الحرب».

٤٠٤٢ ـ عَنْ عُقْبَةَ بن عامرٍ قال: «صلى رسولُ الله ﷺ على قتلى أحدٍ بعد ثماني سنين

كالمودِّع للاحياءِ والأموات، ثم طلعَ المبرَ فقال: إني بين أيديكم فَرَط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعِدكم الحوض وإني لأنظرُ إليه من مقامي هذا، وإني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا، ولكنّي أخشى عليكُمُ الدُّنيا أن تَنافَسوها، قال: فكانت آخرَ نظرةٍ نَظرتُها إلى رسول الله ﷺ.

قوله (كالمودع للأحياء والأموات) وتوديع الأحياء ظاهر، لأن سياقه يشعر بأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ، وأما توديع الأموات فيحتمل أن يكون الصحابي أراد بذلك انقطاع زيارته الأموات بجسده، لأنه بعد موته وإن كان حيا فهي حياة أخروية لا تشبه الحياة الدنيا، والله أعلم، ويحتمل أن يكون المراد بتوديع الأموات ما أشار إليه في حديث عائشة من الاستغفار لأهل البقيع، وقد سبق شرح هذا الحديث في الجنائز وفي علامات النبوة(١).

٤٠٤٣ - عنِ البراءِ رضيَ اللهُ عَنْه قال: «لقينَا المشركين يومئذٍ، وأجلسَ النبيُّ ﷺ جَيشاً من الرُّماةِ، وأمَّرَعليهم عبدَ اللهِ وقال: لا تَبرَحوا، إن رأيتمونا ظَهَرْنَا عليهم فلا تبرَحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينُونَا، فلما لَقينا هَربوا، حتى رأيتُ النساءَ يَشتددْنَ في الجبل، رَفعنَ عن سُوقهنَّ قد بدَت خلاخلُهنَّ فأخَذوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمة، فقال عبدُ الله عهدَ إليَّ النبيُّ ﷺ أن لا تَبرَحوا، فأبوا، فلما أبوا صُرِفَ وُجوهُهم، فأصيبَ سبعون قَتيلا، وأشرفَ أبوسفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، فقالَ: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطّاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يملك عمرُ نفسه فقال: كذبتَ يا عدوَّالله، أبقى الله عليكَ ما يُخزيك، قال أبو سفيان: اعلُ هُبَل، فقال النبيُّ ﷺ: أجيبوه، قالُوا: مانقول؟ قال قولوا: الله أعلى وأجلّ، قال أبو سفيان:لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فقال النبيُّ ﷺ: أجيبوه، قالوا: ومَا نقول؟ قالَ: قولوا: الله مَولانا ولا مولى لَكُمْ، قال أبو سفيان يومٌ بيوم بَدر، والحربُ سِجال، وتجِدون مُثْلةً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤني».

قوله (فلما أبوا صرفت(٢) وجوههم) أي تحيروا فلم يدروا أين يتوجهون، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثنى عشر رجلا، ووقع عند الطبري من طريق السدي قال: «تفرق الصحابة: فدخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل، وثبت رسول الله ﷺ يدعوا الناس إلى الله، فرماه ابن قمئة بحجر فكسر أنفه ورباعيته، وشجه في وجهه فأثقله، فتراجع إلى النبي ﷺ ثلاثون رجلا فجعلوا يذبون عنه، فحمله منهم طلحة وسهل بن حنيف، فرمى طلحة بسهم ويبست يده، وقال بعض من فر إلى الجبل: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي يستأمن لنا من أبي سفيان، فقال أنس بن النضر: ياقوم إن كان محمد قتل فرب محمد لم

(١) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٥٩٦ - ٣ / ١٠٣
(٢) رواية الباب واليونينية صرف.

يقتل، فقاتلوا على ماقاتل عليه» ثم ذكر قصة قتله كما سيأتي قريبا، وقصد رسول الله ﷺ الجبل فأراد رجل من أصحابه أن يرميه بسهم، فقال له : أنا رسول الله فلما سمعوا ذلك فرحوا به واجتمعوا حوله وتراجع الناس، وسيأتي في باب مفرد ما يتعلق بمن شج وجهه عليه الصلاة والسلام.

قوله (فأصيب سبعون قتيلا) في رواية زهير «فأصابوا منها» أي من طائفة المسلمين، وروى سعيد بن منصور من مرسل أبي الضحى قال «قتل يومئذ -يعني يوم أحد- سبعون: أربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان، وسائرهم من الأنصار».

قوله (أبقى الله عليك ما يحزنك) زاد زهير «إن الذي عددت لأحياء كلهم».

قوله (اعل هبل) قال ابن إسحق: معنى قوله اعل هبل أي ظهر دينك.

قوله (مثلة) بضم الميم وسكون المثلثة.

قال ابن فارس: مثل بالقتيل إذا جدعه، قال ابن اسحق: حدثني صالح بن كيسان قال: «خرجت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى، يجدعن الآذان والأنف، حتى اتخذت هند من ذلك حزما وقلائد، وأعطت حزمها وقلائدها -أي اللاتي كن عليها- لوحشي جزاء له على قتل حمزة، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها».

قوله (لم آمر بها، ولم تسؤني) أي لم أكرهها وإن كان وقوعها بغير أمري، وفي هذا الحديث من الفوائد منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ وخصوصيتهما به بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما، وأنه ينبغي للمرء أن يتذكر نعمة الله ويعترف بالتقصير عن أداء شكرها، وفيه شؤم ارتكاب النهي، وانه يعم ضرره من لم يقع منه، كما قال تعالى {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} وأن من آثر دنياه أضر بأمر آخرته ولم تحصل له دنياه، واستفيد من هذه الكائنة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها، والمبالغة في الطاعة، والتحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم، وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران أيضا {وتلك الأيام نداولها بين الناس -إلى أن قال- وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين}، وقال {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}.

٤٠٤٤ ـ عَنْ جابرٍ قالَ: «اصطَبَحَ الخمرَ يومَ أُحُدَ ناسٌ ثم قُتلوا شهداء».

٤٠٤٥ ـ عَنْ سعدِ بن إبراهيمَ عَن أبيهِ إبراهيم أن عبد الرَّحمن بن عوف أُتيَ بطعام -وكانَ صائماً- فقال: قُتلَ مُصعَبُ بن عُميرٍ وهو خيرٌ مني، كفِّنَ في بُردةٍ إن غُطيَ رأسه بَدَت رِجلاه، وإن غُطيَ رِجلاه بَدا رأسه، وأُراهُ قال: وقُتلَ حمزةُ وهو خيرٌ مني، ثم بُسِطَ لنا

من الدنيا مابسط -أو قال: أعطِينا منَ الدُّنيا ما أعطينا- وقد خَشِينا أن تكونَ حسناتنا قد عُجِّلَت لنا، ثم جعلَ يبكي حتى تَرَكَ الطعامَ».

قوله (وهو صائم[١]) ذكر ابن عبد البر أن ذلك كان في مرض موته.

قوله (قتل مصعب بن عمير) تقدم نسبه وذكره في أول الهجرة، وأنه كان من السابقين إلى الإسلام وإلى الهجرة وكان يقرىء الناس بالمدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ وكان قتله يوم أحد.

قوله (وهو خير مني) لعله قال ذلك تواضعا، ويحتمل أن يكون ما استقر عليه الأمر من تفضيل العشرة على غيرهم بالنظر إلى من لم يقتل في زمن النبي ﷺ، وقد وقع من أبي بكر الصديق نظير ذلك «فذكر ابن هشام أن رجلا دخل على أبي بكر الصديق وعنده بنت سعد بن الربيع وهي صغيرة فقال: من هذه؟ قال: هذه بنت رجل خير مني، سعد بن الربيع، كان من نقباء العقبة شهد بدرا واستشهد يوم أحد.

قوله (كفن في بردة) تقدم شرحه في كتاب الجنائز[٢].

قوله (ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط) يشير إلى ما فتح لهم من الفتوح والغنائم وحصل لهم من الأموال، وكان لعبد الرحمن من ذلك الحظ الوافر، وفي الحديث فضل الزهد، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت» وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق[٣]إن شاء الله تعالى، قال ابن بطال: وفيه أنه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقللهم في الدنيا لتقل رغبته فيها قال: وكان بكاء عبد الرحمن شفقا أن لا يلحق بمن تقدمه.

٤٠٤٦ ـ عَنْ عمرٍو سمِعَ جابرَ بن عبد الله رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أحد: أرأيتَ إن قُتِلتُ فأين أنا؟ قال: في الجنة، فألقى تمراتٍ في يدهِ، ثمَّ قاتلَ حتَّى قُتِل».

٤٠٤٧ ـ عن خَبّابِ بن الأرَتِّ رضيَ الله عنه قالَ: «هَاجرنا مع رسولِ الله ﷺ نبتغي وجهَ الله، فوجب أجرُنا على الله، ومنّا مَن مضى أو ذهبَ لم يأكلْ من أجرِه شيئًا، كان منهم مُصعَبُ بن عُمَير قُتِلَ يومَ أحدٍ لم يَترك إلاّ نَمرةً كنّا إذا غطَّينا بها رأسَهُ خَرجَت رِجلاه، وإذا غُطيَ بها رجلاه خرجَ رأسهُ، فقال لنا النبيُّ ﷺ غَطُّوا بها رأسهَ، واجعَلوا على رجلِه الإذخِر، أو قال ألقوا على رِجلهِ منَ الإذخر، ومنّا من أينعت له ثمرَته، فهو يَهدِبُها».

(١) رواية الباب واليونينية وكان صائماً.
(٢) كتاب الجنائز باب / ٢٥ ح ١٢٧٤ - ١ / ٦٤٠
(٣) كتاب الرقاق باب / ١٦ ح ٦٤٤٨ - ٥ / ٢٠

[وفيه ما كان الصحابة عليه من حب نصر الإسلام والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله]

٤٠٤٨ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أن عمهُ غاب عن بدرٍ فقال: غِبتُ عن أوَّلِ قتالِ النبيِّ ﷺ، لئن أشهدَني اللهُ مع النبيِّ ﷺ لَيَرَينَّ اللهُ ما أُجِدُّ فلقيَ يومَ أُحُد فَهُزِمَ الناسُ فقال اللهمَّ إني أعتذِر إليك مما صنَعَ هؤلاء -يعني المسلمين- وأبرأُ إليكَ مما جاء به المشركون، فتقدَّم بسيفه، فلقِيَ سعدَ بن مُعاذٍ فقال أينَ يا سعد؟ إني أجِدُ ريحَ الجنَّةِ دونَ أحد، فمضى فقُتِل، فما عُرِفَ حتى عرفَتْهُ أُختهُ بشامةٍ -أو ببَنانهِ- وبه بضعٌ وثمانونَ: من طعنةٍ، وضربة، ورَمية بسهم».

قوله (ليرين الله) ومراده أن يبالغ في القتال ولو زهقت روحه.

قوله (ما أجد) يقال أجد في الشيء يجد إذا بالغ فيه.

قوله (إني أجد ريح الجنة دون أحد) يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد فعرف أنها ريح الجنة، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنه صار محسوسا عنده، والمعنى أن الموضع الذي أقاتل فيه يئول بصاحبه إلى الجنة.

قوله (فمضى فقتل) دل ذلك على شجاعة مفرطة في أنس بن النضر بحيث أن سعد بن معاذ مع ثباته يوم أحد وكمال شجاعته ما جسر على ما صنع أنس بن النضر.

قوله (وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم) قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى} إلى آخر الآية، وفي الحديث جواز الأخذ بالشدة في الجهاد، وبذل المرء نفسه في طلب الشهادة، والوفاء بالعهد، وتقدمت بقية فوائده في كتاب الجهاد(١).

٤٠٤٩ ـ عن زيدِ بن ثابت رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «فَقدت آية من الأحزابِ - حينَ نسَخنا المصحفَ- كنت أسمعُ رسولَ الله ﷺ يَقرأُ بها، فالتَمَسْناها، فوجدناها مع خُزَيمةَ بن ثابت الأنصاريِّ {منَ المؤمنين رجالٌ صدَقوا ماعاهَدوا اللهَ عليه، فمنهم مَن قَضى نحبه ومنهم من يَنتظر} فألحَقْناها في سُورَتها في المصحف».

٤٠٥٠ ـ عَنْ زيدِ بن ثابتٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لمَّا خرجَ النبيُّ ﷺ إلى غزوة أُحُد، رجَعَ ناسٌ ممن خرَجَ معه، وكان أصحابُ النبيِّ ﷺ فِرقتَين: فِرقةٌ تقول نقاتِلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم، فنزلت {فما لكُمْ في المنافقين فِئتين واللهُ أركَسَهُم بما كسَبوا} وقالَ: إنها طَيْبة تَنفي الذُّنوب، كما تنفي النارُ خَبَثَ الفِضَّة».

---

(١) كتاب الجهاد باب / ١٢ ح ٢٨٠٥ - ٢ / ٥٥٩

قوله (رجع ناس ممن خرج معه) يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وقد ورد ذلك صريحا في رواية موسى بن عقبة في المغازي وأن عبد الله بن أبيّ كان وافق رأيه رأى النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج قال عبد الله بن أبيّ لأصحابه: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟ فرجع بثلث الناس، قال ابن إسحق في روايته: فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجيا كعبد الله بن أبيّ فناشدهم أن يرجعوا فأبوا فقال أبعدكم الله.

قوله (وكان أصحاب رسول الله[١] ﷺ فرقتين) أي في الحكم فيمن انصرف مع عبد الله بن أبيّ.

قوله (فنزلت) هذا هو الصحيح في سبب نزولها.

قوله (وقال إنها طيبة تنفي الذنوب) وقد سبق الكلام عليه في أواخر الحج[٢] مستوفى.

١٨ - باب {إذ هَمَّتْ طائفتانِ منكم أن تَفْشَلا والله وليُّهما، وعلى الله فليتوكلِ المؤمنون}.

٤٠٥١ - عَنْ جَابرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «نزلَتْ هذهِ الآية فِينَا /آل عمران: ١٢٢ /: {إذ همتْ طائفتانِ منكم أن تَفشَلا} بني سَلِمةَ وبني حارثة، وما أُحِبُّ أنَّها لم تَنزل والله يقول {والله وليّهما}».

[الحديث ٤٠٥١ طرفه ٤٥٥٨]

٤٠٥٢ - عَنْ جابرٍ قالَ: «قالَ لِي رسولُ الله ﷺ: هل نَكحتَ يا جابرُ؟ قلت: نعم، قال: ماذا، أبكراً أم ثيِّباً؟ قلت: لا، بل ثيباً، قال فهلاً جاريةً تلاعبُك قلت: يارسولَ الله، إنَّ أبي قُتلَ يومَ أُحدٍ وتركَ تِسعَ بنات كنَّ لي تسع أخوات، فكرهت أن أجمعَ إليهنَّ جاريةً خرقاءَ مثلهن، ولكن امرأة تمشطُهنَّ وتقومُ عليهن، قال: أصبتَ».

٤٠٥٣ - عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا أن أباه استُشهِدَ يومَ أُحُدٍ وتركَ عليه دَيناً وترك ستَّ بنات، فلما حضرَ جذاذ النخلِ قال أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: قد علمتَ أنَّ والدي قد استشهدَ يوم أُحُدٍ وترك دَينًا كثيراً، وإني أُحبُّ أن يَراك الغُرَماء، فقال: اذهَبْ فَبْيدِرْ كلَّ تمر على ناحية، ففعلتُ، ثمَّ دَعَوتهُ، فلما نظروا إليهِ كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يَصنَعون أطافَ حولَ أعظمِها بَيدَراً ثلاثَ مرَّاتٍ، ثم جَلسَ عليهِ ثم قال: ادع لكَ أصحابَك، فما زال يكيلُ لهم حتى أدَّى الله عن والدي أمانتَه، وأنا أرضى أن يُؤدِّيَ الله أمانةَ والدي ولا أرجعَ إلى أخَواتي بتمرة، فسلم الله البَيادِرَ كلها، حتى إني

(١) رواية الباب واليونينية أصحاب النبي ﷺ.
(٢) كتاب فضائل المدينة باب /١٠ح ١٨٨٣ - ٢ / ١٤٦.

أنظر إلى البيدر الذي كان عليهِ النبيُّ ﷺ كأنها لم تنقصْ تمرةً واحدة».

قوله (باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما الآية) الفشل الجبن، وقيل الفشل في الرأي العجز، وفي البدن الإعياء وفي الحرب الجبن، والولي الناصر.

قوله (نزلت هذه الآية فينا) أي في قومه بني سلمة وهم من الخزرج، وفي أقاربهم بني حارثة وهم من الأوس.

قوله (وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: والله وليهما) أي وأن الآية وإن كان في ظاهرها غض منهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم، قال ابن إسحق: قوله {والله وليهما} أي الدافع عنهما ماهموا به من الفشل، لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم، وقد تقدم شرح ما تضمنته الرواية الثانية في علامات النبوة[1]، ويأتي شرح ما تضمنته الرواية الأولى في كتاب النكاح، والغرض من إيراده هنا أن عبد الله والد جابر كان ممن استشهد بأحد، وعند الترمذي من طريق طلحة بن خراش «سمعت جابرا يقول لقيني النبي ﷺ فقال: مالي أراك منكسرا؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي بأحد وترك دينا وعيالا، قال: أفلا أبشرك؟ إن الله قد لقي أباك فقال: تمن علي، قال: تحييني فأقتل فيك مرة أخرى، وأنزلت هذه الآية {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء} الاية».

٤٠٥٤ ـ عَنْ سعدِ بن أبي وقّاص رضيَ اللهُ عنهُ قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ أحدٍ ومعه رجلانِ يقاتِلانِ عنه عليهما ثِيابٌ بِيضٌ كأشدِّ القتال، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعد».

[الحديث ٤٠٥٤ – طرفه في: ٥٨٢٦]

٤٠٥٥ ـ عَنْ سعدِ بنِ أبي وقاص قال: «نَثَل لي النبيُّ ﷺ كِنانَتَهُ يومَ أحدٍ فقال: ارم فداك أبي وأمّي».

٤٠٥٦ ـ عَنْ يحيى بن سعيدٍ قالَ سمعت سعيدَ بن المسيّب قال: «سمعت سعداً يقول: جمع لي النبيُّ ﷺ أبوَيهِ يومَ أحد».

٤٠٥٧ ـ عَنِ ابن المسيَّبِ أنه قال: «قال سعدُ بن أبي وقاص رضيَ اللهُ عنهُ: جمعَ لِي رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ أبوَيهِ كِلَيهما -يريدُ حينَ قال: فِداكَ أبي وأمّي- وهو يقاتل».

٤٠٥٨ ـ عَنِ ابن شدّاد قال: «سمعت علياً رضيَ الله عَنْهُ يقولُ: ما سمعت النبي ﷺ يجمع أبويه لأحد غير سعد».

٤٠٥٩ ـ عَنْ علي رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: مَا سمعتُ النبيَّ ﷺ جَمَعَ أبوَيه لأحد إلا لسعدِ

(١) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٥٨٠ - ٣ / ١٠٣

ابن مالك، فإني سمعتُهُ يقول يومَ أحد: ياسعدُ ارم فداك أبي وأمي».

قوله (ومعه رجلان يقاتلان عنه) هما جبريل وميكائيل كذا وقع في مسلم من طريق أخرى عن مسعر وفي آخره «يعني جبريل وميكائيل».

قوله (وغير سعد) أي ابن أبي وقاص، وهو ابن مالك كما في الرواية الثانية.

٤٠٦٠، ٤٠٦١ ـ عَنْ مُعتَمِرٍ عن أبيه قال: «زعمَ أبو عثمانَ أنه لم يبقَ معَ النبيِّ ﷺ في بعضِ تلك الأيامِ التي يقاتلُ فيهنَّ غيرُ طلحةَ وسعدٍ عن حديثِهما».

٤٠٦٢ ـ عَنْ مُحمدِ بن يوسفَ قال: سمعت السائبَ بن يزيدَ قال: «صَحِبتُ عبد الرحمن بن عوفٍ وطلحةَ بن عُبيدِ الله والمقدادَ وسعداً رضيَ اللهُ عنهم، فما سمعت أحداً منهم يُحدِّثُ عنِ النبيِّ ﷺ، إلا أني سمعتُ طلحةَ يحدِّثُ عن يوم أُحُدٍ».

٤٠٦٣ ـ عَنْ قيسٍ قال: «رأيتُ يدَ طلحةَ شلاءَ وَقى بها النبيَّ ﷺ يومَ أحد».

٤٠٦٤ ـ عَنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «لمَّا كانَ يوم أُحُدٍ انهزمَ الناسُ عنِ النبيِّ ﷺ وأبوطلحةَ بينَ يدي النبيِّ ﷺ مُجوِّبٌ عليه بحجفَةٍ له، وكان أبو طلحةَ رجلاً رامياً شديدَ النزعِ، كسر يومئذ قوسَين أو ثلاثاً، وكان الرجلُ يَمرُّ معه بجعْبَةٍ من النَّبل فيقول: انثُرها لأبي طلحةَ، قال ويُشرِفُ النبيُّ ﷺ يَنظُر إلى القوم، فيقولُ أبو طلحة: بأبي أنتَ وأمي، لا تُشرفْ يُصيبُكَ سهمٌ من سِهام القوم، نَحري دُونَ نحرِك، ولقد رأيتُ عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ وأمَّ سُليم وإنهما لمشَمرَتان أرَى خَدَمَ سُوقهما تُنقزانِ القرب على متونهما تُفرغانه في أفواهِ القوم، ثمَّ ترجعانِ فتَملآنها، ثم تجيئانِ فتُفرغانهِ في أفواه القوم، ولقد وَقَعَ السيفُ من يَدَي أبي طلحةَ إما مرتيْن وإما ثلاثاً».

٤٠٦٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالتْ: «لمَّا كانَ يومَ أحُدٍ هُزِمَ المشركون، فصَرَخَ إبليسُ لعنةُ اللهِ عليه: أي عِبادَ الله، أُخْراكم، فرجَعَت أُولاهم فاجتَلَدَت هيَ وأُخراهم، فبَصُرَ حُذيفةُ فإذا هوَ بأبيهِ اليمانِ فقال: أي عِبادَ الله، أبي أبي، قال قالت: فو الله ما احتَجَزُوا حتى قتلوه، فقال حذَيفةُ: يغفِرُ اللهُ لكم، قال عروة: فواللهِ مازالت في حُذَيفةَ بقيةُ خيرٍ حتى لحقَ باللهِ»، بَصُرْتُ: علمت، من البَصيرةِ في الأمر، وأبصرت: من بَصرِ العين، ويقال: بَصُرت وأبصرتُ واحد.

قوله (انهزم الناس) أي بعضهم، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم كما تقدم بيانه، والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق: فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل، وهم الذين نزل فيهم [١٥٥ آل عمران]: {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان}، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قتل فصار غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل، وهم أكثر الصحابة، وفرقة ثبتت

مع النبي ﷺ، ثم تراجع إليه القسم الثاني شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حي كما بينته في الحديث السابع، وبهذا يجمع بين مختلف الأخبار في عدة من بقى مع النبي ﷺ.

قوله (شديد النزع) أي رمي السهم.

قوله (كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا) أي من شدة الرمي.

قوله (لا تشرف) أي لا تطلب الإشراف عليهم.

قوله (يصبك) كأنه قال مثلا لا تشرف فإنه يصيبك.

قوله (نحري دون نحرك) أي أفديك بنفسي.

قوله (ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر) أم المؤمنين (وأم سليم) أي والدة أنس.

قوله (أرى خدم سوقهما) وهي الخلاخيل، وقد تقدم في الجهاد[(١)].

قوله (لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس[(٢)]: أي عباد الله أخراكم) أي احترزوا من جهة أخراكم، وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه، وكان ذلك لما ترك الرماة مكانهم ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين كما سبق بيانه.

قوله (فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم) أي وهم يظنون أنهم من العدو، وقد تقدم بيان ذلك، وأنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا، فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض، وذكر ابن إسحق قال: «حدثني عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال كان اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش شيخين كبيرين فتركهما رسول الله ﷺ مع النساء والصبيان، فتذاكرا بينهما ورغبا في الشهادة، فأخذا سيفيهما ولحقا بالمسلمين بعد الهزيمة، فلم يعرفوا بهما، فأما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه.

قوله (قال عروة الخ) وفي رواية ابن إسحق «فقال حذيفة: قتلتم أبي، قالوا، والله ماعرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً».

١٩ ـ باب قولِ اللّه تعالى:

{إنَّ الذينَ تَوَلَّوا منكم يومَ التقى الجمعانِ إنما استزلَّهمُ الشيطانُ ببعضِ ما كَسَبوا، ولقد عفا اللّه عنهم، إن اللّه غفورٌ رحيم}/آل عمران:١٥٥/.

٤٠٦٦ ـ عَنْ عثمانَ بن مَوْهَب قال: جاء رجلٌ حَجَّ البيتَ فرأى قوماً جلوساً فقال: من

---

(١) كتاب الجهاد باب / ٦٥ ح ٢٨٨٠ - ٢ / ٥٨٨

(٢) رواية الباب واليونينية إبليس لعنة الله عليه.

هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قُريش، قال: مَنِ الشيخُ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلُكَ عن شيء أتحدِّثني؟ قال: أنشدُكَ بحرمةِ هذا البيت، أتعلم أنَّ عثمانَ بن عفان فرَّ يومَ أحُد؟ قال: نعم قال: فتعلمه تَغيَّبَ عن بَدرٍ فلم يَشهَدْها؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنه تخلَّفَ عن بيعةِ الرِّضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: فكبَّر، قال ابن عمر: تعالَ لأخبرك ولأبيِّن لك عما سألتني عنه: أمَّا فِرارُه يومَ أحُد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيُّبه عن بَدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضةً، فقال له النبيُّ ﷺ: إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهدَ بدراً وسهمه، وأما تَغيُّبه عن بيعةِ الرِّضوان فإنه لو كانَ أحَدٌ أعزَّ ببطنِ مكةَ من عثمانَ بن عفَّان لبعثَهُ مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعةُ الرِّضوان بعدَ ماذهبَ عثمانُ إلى مكة، فقال النبيُّ ﷺ بيده اليُمنى: هذه يدُ عثمان، فضرَبَ بها على يده فقالَ هذه لعثمان، إذهَبْ بهذا الآن معَك».

قوله {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان} اتفق أهل العلم بالنقل على أن المراد به هنا يوم أحد، وغفل من قال يوم بدر، لأنه لم يول فيها أحد من المسلمين، نعم المراد بقوله تعالى {وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان} وهي في سورة الانفال يوم بدر، ولا يلزم منه أن يكون حيث جاء {التقى الجمعان} المراد به يوم بدر.

قوله {استزلهم} أي زين لهم أن يزلوا.

قوله (في هذه الرواية أنشدك بحرمة هذا البيت» فيه جواز مثل هذا القسم عند أثر عبد الله بن عمر لكونه لم ينكر عليه، وسيأتي البحث في شيء من هذا في كتاب الأيمان والنذور إن شاء الله تعالى.

٢٠ ـ باب . {إذ تُصْعِدون ولا تَلْوُونَ على أحَد، والرسولُ يَدعوكم في أخراكم، فأثابَكم غَمّاً بغمّ، لكيلا تحزَنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم، والله خَبيرٌ بما تعملون} [١٥٣ آل عمران]، تُصعدون: تذهَبون، أصعَدَ وصَعِدَ فوقَ البيت.

٤٠٦٧ ـ عن أبي إسحاقٍ قال سمعتُ البَراءَ بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «جَعَلَ النبيُّ ﷺ على الرَّجَّالةِ يوم أحد عبدَ الله بن جُبَير، وأقبلوا مُنهزمين، فذاك {إذ يدعوهمُ الرَّسولُ في أخراهم}.

قوله {فأثابكم غمّا بغم} روى عبد بن حميد من طريق مجاهد قال: «كان الغم الأول حين سمعوا الصوت أن محمد قد قتل، والثاني لما انحازوا إلى النبي ﷺ وصعدوا في الجبل فتذكروا قتل من قتل منهم فاغتموا».

قوله {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم} أي من الغنيمة {ولا ما أصابكم} أي من الجراح وقتل إخوانكم.

٢١ - باب - /آل عمران:١٥٤/: {ثُمَّ أنزَلَ عليكم من بعدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغشى طائفةً منكم، وطائفةٌ قد أهمتْهم أنفسُهم يَظنُّونَ بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ الجاهلية، يَقولون هل لنا منَ الأمرِ من شي؟ قُلْ إنَّ الأمرَ كلهُ لله، يُخفون في أنفسهم مالا يبْدون لك، يقولونَ لو كان لنا منَ الأمر شيء ما قُتِلْنا ها هنا، قل لو كنتم في بُيوتِكم لَبَرَزَ الذين كُتِبَ عليهمُ القتلُ إلى مَضاجعِهم، وليبْتَلِيَ الله مافي صدوركم، وليُمَحِّصَ مافي قلوبِكم، والله عليمٌ بذاتِ الصدُور}.

٤٠٦٨ - عنْ أنسٍ عَنْ أبي طلحةَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «كُنْتُ فيمن تَغشاهُ النُّعاسُ يومَ أُحُد، حتى سَقطَ سيفي من يدي مِراراً، يسقطُ وآخذُه، ويَسقط فآخذُه».

[الحديث ٤٠٦٨ - طرفه في: ٤٥٦٢]

قوله باب قوله[1]({ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاسًا}) قال ابن إسحق أنزل الله النعاس أمنةً لأهل اليقين فهم نيام لايخافون والذين أهمتهم أنفسهم أهل النفاق في غاية الخوف والذعر.

٢١ - باب - {ليس لكَ من الأمرِ شيء أو يَتوبَ عليهم أو يُعذِّبهم فإنهم ظالمون}

/١٢٨ آل عمران/، قال حُمَيدٌ وثابتٌ عن أنسٍ: شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ فقال كيف يُفلحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهم؟ فنزلت ليس لكَ منَ الأمرِ شيء».

٤٠٦٩ - عَنْ سالم عن أبيه «أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ إذا رفعَ رأسَه من الركوع منَ الرَّكعةِ الآخرةِ من الفجر يقول: اللهمَّ العَنْ فلاناً وفلاناً وفلانا، بعد َما يقول سمعَ اللهُ لمن حَمِدَه ربَّنا ولك الحمد، فأنزَل الله: ليس لكَ من الأمرِ شيء -إلى قولهِ- فإنهم ظالمون».

[الحديث ٤٠٦٩ - أطرافه في: ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦]

٤٠٧٠ - عنْ حَنظلةَ بن أبي سفيان سمعتُ سالمَ بن عبدِ الله يقول :كان رسولُ الله ﷺ يَدعوا على صَفوانَ بن أميَّةَ وسُهيلِ بن عمروٍ والحارث بن هشام، فنزَلت: ليس لك منَ الأمر شيء -إلى قوله- فإنهم ظالمون».

وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته، وأن عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال: لن تمسك النار» وروى ابن إسحق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: فما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل

(١) في رواية الباب واليونينية بدون "قوله".

أخي عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله ﷺ يوم أحد» وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: «رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ و هو يمسح الدم عن وجه: مالك أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة».

٢٢ ـ باب ذِكر أُمّ سُلَيط

٤٠٧١ ـ عن ثعلبة بن أبى مالك أنّ عمر بنِ الخطّابِ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قَسَمَ مُروطاً بينَ نِساءٍ من نساءِ أهل المدينة فبقيَ منها مِرْطٌ جيِّد، فقال لهُ بعضُ مَن عندَه: يا أميرَ المؤمنين، أعطِ هٰذا بنتَ رسولِ اللّه ﷺ التي عندكَ -يريدونَ أمَّ كلثومِ بنتَ علي- فقال عمر: أمُّ سُليطٍ أحق به، وأمُّ سُليطٍ من نساء الأنصار ممن بايعَ رسولَ اللّه ﷺ، قال عمرُ: فإنها كانت تُزْفِرُ لنا القِرَبَ يوم أُحُد».

قوله (باب ذكر أم سليط) وقد تقدم شرحه في كتاب الجهاد، وأم سليط المذكورة هي والدة أبي سعيد الخدري كانت زوجا لأبي سليط فمات عنها قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت له أبا سعيد.

٢٣ ـ باب قَتلِ حمزةَ بن عبدِ المطلب رضيَ اللّه عنه

٤٠٧٢ ـ عن عمرو بن أميةَ الضَّمْريِّ قال: «خرجتُ معَ عُبيدِ اللّه بن عَديِّ بن الخيار، فلما قَدِمنا حمصَ قال لي عبيدُ اللّه بن عَديّ: هل لكَ في وَحشيٍ نسألهُ عن قتلِ حمزةَ؟ قلتُ: نعم، وكان وَحشيٌّ يَسكنُ حمصَ، فسألنا عنه، فقيلَ لنا: هو ذاكَ في ظلِّ قصرهِ كأنه حَميت، قال فجئنا حتى وقفْنا عليه بيَسير، فسلمنا، فردَّ السلام قال وعبيدُ اللّه مُعتَجرٌ بعمامَتهِ مايرى وَحشيٌّ إلا عينيه ورجليه فقال عُبَيدُ اللّه: يا وَحشيُّ أتعرِفني؟ قال فنظرَ إليه ثمَّ قال: لا واللّه، إلا أني أعلمُ أنَّ عَديَّ بن الخِيارِ تزوجَ امرأةً يقالُ لها أم قِتالٍ بنتُ أبي العيص، فولَدَت له غلاماً بمكة فكنتُ أسترضِعُ له، فحملتُ ذلكَ الغلامَ معَ أمِّهِ فناولْتها إيّاهُ، فلكأني نظرتُ إلى قدَمَيك، قال فكشفَ عُبَيدُ اللّه عن وَجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزةَ؟ قال: نعم، إن حمزةَ قَتل طُعَيمةَ بن عديِّ بن الخِيارِ ببدر، فقال لي مولاي جُبَير بن مُطعِم: إن قتلتَ حمزةَ بعمِّي فأنتَ حرّ قال: فلما أن خَرَجَ الناسُ عام عَينين -وعينَين جبلٌ بحيال أحد، بينَه وبينه واد- خرجتُ معَ الناس إلى القتال، فلمّا اصطفُّوا للقتال خرجَ سِباعٌ فقال: هل من مُبارزٍ؟ قال: فخرجَ اليه حمزة بن عبدِ المطلب فقال: يا سِباعُ، يا ابنَ أمِّ أنمارٍ مُقطِّعةِ البُظور، أتحادُّ اللّه ورسوله ﷺ؟ قال ثمَّ شدَّ عليه، فكان كأمسِ الذاهب، قال: وكمنْتُ لحمزةَ تحتَ صخرةٍ، فلما دَنا مني رمَيته بحَرْبَتي فأضعُها في ثُنَّتِه حتى خرَجَتْ من بينِ وَرِكيه، قال فكان ذاكَ العهدَ به، فلما رجَعَ الناسُ رجعتُ معَهم،

فأقمتُ بمكةَ حتى فَشا فيها الإسلامُ، ثم خرَجتُ إلى الطائفِ، فأرسَلوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ رُسُلاً، فقيلَ لي: إنه لا يَهيجُ الرُسُلَ، قال: فخرجتُ معهم حتى قَدِمتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فلما رآني قال: آنت وَحشيٌّ، قلت: نعم، قال: أنت قتلتَ حمزة؟ قلتُ: قد كان من الأمرِ ما بَلَغك، قال: فهل تستطيعُ أن تُغيِّبَ وجهَكَ عني؟ قال فخرجتُ، فلما قُبض رسول اللهِ ﷺ فخَرجَ مُسَيلمةُ الكذابُ قلت لأخرُجَنَّ إلى مُسَيلمةَ لعلِّي أقتُله فأكافىءَ به حمزة، قال فخرجت مع الناس فكان من أمرهِ ما كان، قال: فإذا رجل قائمٌ في ثَلمةِ جِدارٍ كأنه جملٌ أورقُ ثائر الرأس، قال فرمَيتُه بحربتي، فأضَعها بين ثديَيهِ حتى خرجَت من بينَ كَتفَيْه، قال ووَثبَ رجلٌ من الانصار فضربَه بالسيف على هامَتِه».

قالَ قالَ عبدُ اللهِ بن الفضل: فأخبرَني سليمانُ بن يَسارٍ أنه سمعَ عبدَ اللهِ بن عمرَ يقول «فقالت جاريةٌ على ظهرِ بيتٍ: واأمير المؤمنين، قتَله العبدُ الأسود».

قوله (هل لك في وحشي) أي ابن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم.

قوله (كأنه حميت) بمهملة وزن رغيف، أي زق كبير، وأكثر ما يقال ذلك إذا كان مملوءاً، وفي رواية لابن عائذ «فوجدناه رجلا سمينا محمرة عيناه».

قوله (معتجر) أي لاف عمامته على رأسه من غير تحنيك.

قوله (استرضع له) أي أطلب له من يرضعه، زاد في رواية ابن إسحق «والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى، فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك، فلمعت لي قدمك حين رفعتك، فما هو إلا أن وقفت علي فعرفتها، وهذا يوضح **قوله** في رواية الباب «فكأني نظرت إلى قدميك» يعني أنه شبه قدميه بقدم الغلام الذي حمله فكان هو هو، وبين الرؤيتين قريب من خمسين سنة، فدل ذلك على ذكاء مفرط، ومعرفة تامة بالقيافة.

قوله (فلما أن خرج الناس) أي قريش ومن معهم (عام عينين) أي سنة أحد وقوله «عينين جبل بحيال أحد، أي من ناحية أحد، والسبب في نسبة وحشي العام إليه دون أحد أن قريشا كانوا نزلوا عنده.

قوله (خرجت مع الناس إلى القتال) في رواية الطيالسي «فانطلقت يوم أحد معي حربتي، وأنا رجل من الحبشة ألعب لعبهم، قال: وخرجت ما أريد أن أقتل ولا أقاتل إلا حمزة، وعند ابن إسحق: وكان وحشي يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطىء.

قوله (مقطعة البظور) قال ابن إسحق: كانت أمه ختانة بمكة تختن النساء اهـ، والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذمة.

قوله (أتحادُّ) أي أتعاند، وقوله «كأمس الذاهب» هي كناية عن قتله أي صيره عدما، (وكمنت) أي اختفيت.

قوله (فقيل لي إنه لا يهيج الرسل) اي لا ينالهم منه إزعاج، وفي رواية الطيالسي «فأردت الهرب إلى الشام، فقال لي رجل: ويحك، والله ما يأتي محمدا أحد بشهادة الحق إلا خلى عنه، قال فانطلقت فما شعر بي إلا وأنا قائم على رأسه أشهد بشهادة الحق» وعند ابن إسحق «فلم يرعه إلا بي قائما على رأسه».

قوله (قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما قد بلغك)، وعند يونس بن بكير في المغازي عند ابن إسحق قال: «فقيل لرسول الله ﷺ هذا وحشي، فقال: دعوه فلإسلام رجل واحد أحب إليَّ من قتل ألف كافر».

قوله (فهل تستطيع ان تغيب وجهك عني) في رواية الطيالسي «فقال غيب وجهك عني فلا أراك».

قوله (قال فخرجت) وعند الطبراني فقال: يا وحشي، اخرج فقاتل في سبيل الله كما كنت تصد عن سبيل الله.

قوله (فقلت لأخرجن إلى مسيلمة) في رواية الطيالسي «فلما كان من أمر مسيلمة ما كان انبعثت مع البعث فأخذت حربتي».

قوله (فأكافىء به حمزة) أي أساويه به، وقد فسره بعد بقوله «فقتلت خير الناس وشر الناس» وقوله «فكان من أمره ما كان» أي من محاربته، وقتل جمع من الصحابة في الوقعة التي كانت بينهم وبينه، ثم كان الفتح للمسلمين بقتل مسيلمة كما سيأتي بيان ذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى.

قوله (جمل أورق) أي لونه مثل الرماد، وكان ذلك من غبار الحرب، وفي حديث وحشي من الفوائد غير ماتقدم ما كان عليه من الذكاء المفرط، ومناقب كثيرة لحمزة، وفيه أن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذى، ولا يلزم من ذلك وقوع الهجرة المنهية بينهما، وفيه أن الإسلام يهدم ماقبله، والحذر في الحرب، وأن لا يحتقر المرء منها أحدا، فإن حمزة لابد ان يكون رأى وحشيا في ذلك اليوم لكنه لم يحترز منه احتقارا منه إلى أن أتي من قبله، وذكر ابن إسحق قال: «حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال خرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد مثل به، فقال: لولا أن تحزن صفيه -يعني بنت عبد المطلب - وتكون سنة بعدي لتركته حتى يحشر من بطون السباع وحواصل الطير» زاد ابن هشام قال: «وقال لن أصاب بمثلك أبدا، ونزل جبريل فقال: إن حمزة مكتوب في السماء أسد الله وأسد رسوله».

٢٤ ـ باب ما أصاب النبيَّ ﷺ منَ الجِراح يومَ أُحُد

٤٠٧٣ ـ عن همامٍ سمعَ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ «اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ فعلوا بنَبيِّه -يُشير إلى رَباعيَّته- اشتدَّ غضبُ الله على رجلٍ يقتلهُ رسولُ الله ﷺ في سبيلِ اللهِ».

٤٠٧٤ ـ عَنِ ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «اشتدَّ غضبُ الله على من قتله النبيُّ ﷺ في سبيل الله، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ دَمَّوا وجه نبي الله ﷺ .

[الحديث ٤٠٧٤ طرفه في ٤٠٧٦]

٤٠٧٥ ـ عَنْ أبي حازمٍ أنه سمعَ سهل بن سعدٍ وهو يسأل عن جرح رسولِ الله ﷺ فقال أما والله إنّي لأعرفُ مَن كان يغسلُ جرحَ رسول الله ﷺ ومَن كان يَسكبُ الماء وبِما دُووي، قال: كانت فاطمةُ عليها السلامُ بنتُ رسول الله ﷺ تغسِله وعليّ يَسكبُ الماءَ بالمِجَنّ، فلما رأت فاطمةُ أنَّ الماء لا يَزيدُ الدَّمَ إلا كثرةً أخذت قطعةً من حَصير فأحرقَتْها وألصَقَتها فاستمسكَ الدم، وكُسِرَت رَباعيَّته يومَئذ، وجُرِحَ وجهُهُ، وكسِرتَ البيضةُ على رأسه».

٤٠٧٦ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «اشتدَّ غضبُ الله على من قتلهُ نبيّ، واشتدَّ غضبُ الله على من دَمَّى وجهَ رسولِ الله ﷺ .

قوله (باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد) وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: «ضرب وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها» وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة في الكثرة، وفي الحديث جواز التداوي، وأن الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم رفعة، وليتأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره، والعاقبة للمتقين.

٢٥ ـ باب {الذين استجابوا لله والرسول} /١٧٢ آل عمران/

٤٠٧٧ ـ عنْ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا {الذينَ استَجابوا لله والرسولِ من بعدِ ما أصابهمُ القَرحُ للذينَ أحسنوا منهم واتَّقَوا أجرٌ عظيم} قالت لِعروةَ: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصابَ رسولَ الله ﷺ ما أصابَ يومَ أُحُدٍ وانصرفَ عنه المشركون خافَ أن يرجعوا، قال: من يَذهَبُ في أثرهم؟ فانتدبَ منهم سبعون رجلا، قال: كان فيهم أبو بكرٍ والزُّبير».

قوله (باب الذين استجابوا لله والرسول) أي سبب نزولها، وأنها تتعلق بأحد، قال ابن إسحق: كان أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر شوال

أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له، وإنما خرج مرهبا للعدو وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم، فلما بلغ حمراء الأسد لقيه سعيد بن أبي معبد الخزاعي فيما حدثني عبد الله بن أبي بكر فعزاه بمصاب أصحابه، فأعلمه أنه لقي أبا سفيان ومن معه وهم بالروحاء وقد تلوموا في أنفسهم وقالوا: أصبنا جل أصحاب محمد وأشرافهم وانصرفنا قبل أن نستأصلهم، وهموا بالعود إلى المدينة، فأخبرهم معبد أن محمد قد خرج في طلبكم في جمع لم أر مثله ممن تخلف عنه بالمدينة، قال فثناهم ذلك عن رأيهم فرجعوا إلى مكة،

٢٦ ـ باب مَنْ قُتلَ منَ المسلمينَ يوم أحُد

منهم: حمزةُ بن عبدِ المطلبِ، واليمَانُ، وأنسُ بن النَّضر، ومُصعَبُ بن عُمَير

٤٠٧٨ ـ عَنْ قَتادةَ قال: «ما نعلم حَيّاً من أحياء العرب أكثرَ شهيداً أغرَّ يومَ القيامة منَ الأنصار، قال قتادة: وحدَّثنا أنسُ بن مالك أنه قتلَ منهم يوم أحُدٍ سبعونَ، ويومَ بئر مَعونةَ سبعون، ويوم اليمامةِ سبعون، قال: وكان بئرُ معونةَ على عهد رسول الله ﷺ ويومُ اليمامةِ على عهدِ أبي بكر يومَ مُسيلمةَ الكذَّاب».

٤٠٧٩ ـ عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا أخبرهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَجمعُ بين الرجُلين من قَتلى أحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ ثمَّ يقول: أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآن؟ فإذا أشيرَ له إلى أحد قدَّمهُ في اللحدِ وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة، وأمرَ بدفنِهم بدمائهم، ولم يُصلِّ عليهم، ولم يُغسَّلوا».

٤٠٨٠ ـ عَنْ جابرٍ قالَ: لَمَّا قُتلَ أبي جَعلتُ أبكي وأكشفُ الثوبَ عن وجهه، فجعلَ أصحابُ النبيِّ ﷺ ينهونني، والنبيُّ ﷺ لم ينهَ، وقال النبيُّ ﷺ: لا تبكه ما زالتِ الملائكة تظلُّهُ بأجنِحَتِها حتى رُفع».

٤٠٨١ ـ عَنْ أبي مُوسى رضيَ اللهُ عَنْهُ -أرى عَنِ النبيِّ ﷺ - قالَ: «رأيتُ في رؤيايَ أني هزَزتُ سيفاً فانقطعَ صَدرهُ، فإذا هوَ ما أصيبَ من المؤمنين يومَ أحد، ثُمَّ هززتهُ أخرى فعاد أحسنَ ما كان، فاذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيتُ فيها بَقراً والله خيرٌ، فإذا هم المؤمنون يومَ أحُد».

٤٠٨٢ ـ عَنْ خبَّابٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «هاجرنا مع النبيِّ ﷺ ونحنُ نبتغي وجهَ الله فوجبَ أجرُنا على الله، فمنّا من مضى -أو ذهبَ- لم يأكلْ من أجره شيئاً، كان منهم مُصعَبُ بن عُمَير: قُتلَ يومَ أحدٍ فلم يتركْ إلا نَمرَة، كنا إذا غَطينا بها رأسَهُ خرجَت رِجلاه، وإذا غُطِّي بها رجلاه خرج رأسهُ، فقال لنا النبيُّ ﷺ: غَطُّوا بها رأسَه، واجعلوا على رِجليه

الإذخِر، أو قال: ألقُوا على رِجلَيهِ من الإذخِر، ومنّا مَن أينَعَت له ثمرتهُ فهوَ يَهدِبُها».

قوله فيه (ولم يصل عليهم) تقدم الكلام عليه في الجنائز[(١)].

قوله (والله خير) هذا من جملة الرؤيا كما جزم به عياض وغيره.

قال السهيلي: معناه رأيت بقرا تنحر، والله عنده خير، قلت: في رواية ابن إسحق: «وإني رأيت والله خيراً، رأيت بقرا».

وقد وقع في حديث ابن عباس ومرسل عروة «تأولت البقر التي رأيت بقرا يكون فينا، قال فكان ذلك من أصيب من المسلمين» اهـ، وقوله بقر هو بسكون القاف وهو شق البطن، وهذا أحد وجوه التغيير أن يشتق من الإسم معنى مناسب.

٢٧ ـ باب أُحُدٌ جبل يحبُّنا ونُحبُّه

قاله عباسُ بن سهلٍ عن أبي حُميد عنِ النبيِّ ﷺ

٤٠٨٣ ـ عن قتادة سمعتُ أنساً رضيَ اللّه عنهُ «إن النبيَّ ﷺ قال هذا جبل يحبُّنا ونحبُّهُ».

٤٠٨٤ ـ عَنْ أنس بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْه «أن رسولَ اللّه ﷺ طلعَ له أُحُدٌ فقال: هذا جبل يُحبُّنا ونحبُّه، اللهُمّ إنَّ إبراهيمَ حرَّمَ مكةَ وإني حرَّمتُ ما بينَ لابَتَيها».

٤٠٨٥ ـ عنْ عُقبةَ «أن النبيَّ ﷺ خرجَ يوما فصلَّى على أهل أحُدٍ صلاتَهُ على الميت، ثمَّ انصرَفَ إلى المنبر فقال: إني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني لأنظرُ إلى حَوضي الآن، وإني أعطيتُ مَفاتيحَ خزائن الأرض -أو مَفاتيحَ الأرض- وإني واللّه ما أخافُ عليكم أن تُشْرِكوا بعدي، ولكني أخافُ عليكم أن تَنافَسوا فيها».

قوله (هذا جبل يحبنا ونحبه) ظهر من الرواية التي بعدها أنه ﷺ قال ذلك لما رآه في حال رجوع من الحج، وللعلماء في معنى ذلك أقوال: أحدها أنه على حذف مضاف والتقدير أهل أحد، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه، ثانيها أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم، وذلك فعل من يحب بمن يحب، ثالثها أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحد من جبال الجنة كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعا «جبل أحد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة» أخرجه احمد، ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه كما جاز التسبيح منها، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب «اسكن أحد» الحديث، وقال السهيلي: كان ﷺ يحب الفأل الحسن والإسم الحسن ولا اسم أحسن من اسمٍ مشتق من الأحدية، قال ومع كونه مشتقا من الاحدية فحركات حروفه

(١) كتاب الجنائز باب / ٧٢ ح ١٣٤٣ - ١ / ٦٧٦

الرفع، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه، فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظا ومعنى فخص من بين الجبال بذلك والله أعلم، وقد تقدم شيء من الكلام على قوله «يحبنا ونحبه» في «باب من غزا بصبي للخدمة»، من كتاب الجهاد(١).

٢٨ ـ باب غزوةِ الرَّجيع

ورِعلٍ وذكوان، وبئر مَعونة وحديث عَضَل والقارة وعاصم بن ثابت وخُبيبٍ وأصحابهِ، قال ابنُ إسحاقَ: حدَّثنا عاصمُ بن عمرَ أنها بعد أُحدٍ

٤٠٨٦ ـ عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: بعَثَ النبيُّ ﷺ سريةً عيناً، وأمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت -وهو جدُّ عاصم بن عمرَ بن الخطاب- فانطلَقوا، حتى إذا كان بينَ عُسفانَ ومكةَ ذُكروا لحي من هُذَيل يقال لهم بنوا لِحْيانَ، فتَبِعوهم بقريبٍ من مائةِ رامٍ فاقتصُّوا آثارَهم حتي أتَوا منزلاً نزلوه فوجَدوا فيهِ نَوَى تمر تزَوَّدوهُ من المدينة فقالوا هذا تمرُ يَثرب فتبعوا آثارَهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجأوا إلى قَدْفَدٍ، وجاء القومُ فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهدُ والميثاقُ إن نزلتُم إلينا أن لا نقتُل منكم رجُلاً، فقال عاصمٌ: أما أنا فلا أنزل في ذمةِ كافر، اللهمَّ أخبرْ عنَّا نبيَّك، فقاتلوهم حتى قَتلوا عاصماً في سبعةِ نفرٍ بالنَّبل، وبقى خُبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجلُ الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحَبَهم، فجرَرُوهُ وعالجوهُ على أن يَصحبَهم فلم يَفعلْ، فقتلوه، وانطلقوا بخُبَيب وزيد حتى باعوهما بمكةَ، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نَوفل، وكان خبيبٌ هو قتل الحارث يوم بدرٍ، فمكثَ عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله استعارَ موسى من بعضِ بناتِ الحارثِ ليستحدَّ بها، فأعارتهُ، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرجَ إليه حتى أتاهُ فوضعهُ على فخذِه، فلما رأيته فزعت فزعةً عرفَ ذاك مني، وفي يدهِ الموسى، فقال: أتخشينَ أن أقتُله؟ ما كنتُ لأفعل ذاك إن شاء الله، وكانت تقولُ ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خبيب، لقد رأيتهُ يأكل من قِطفِ عِنَب وما بمكةَ يومئذٍ ثمرة، وإنه لموثقٌ في الحديد، وماكان إلا رزقٌ رزقهُ الله؛ فخرجوا به من الحرَم ليقتلوه، فقال: دَعوني أصلِّي ركعتين، ثمَّ انصرفَ إليهم فقال: لولا أن تروا أن مابي جَزَعٌ من الموت لزدت، فكان أولَ من سنَّ الركعتين عندَ القتل هو ، ثمَّ قال: اللهمَّ أحصهمْ عَدَداً، ثم قال:

ما ان أبالي حــين أُقتـل مسـلماً ... على أيِّ شقٍ كان لله مَصــرَعي
وذلك في ذاتِ الإله وإن يشَــأ ... يُباركْ على أوصال شِــلوٍ مُمزَّع

---

(١) كتاب الجهاد باب / ٧٤ ح ٢٨٩٣ - ٢ / ٥٩٤

ثم قام إليهِ عُقبة بن الحارث فقتله، وبعثَت قريشٌ إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسَدِهِ يعرفونه، وكان عاصم قَتَلَ عظيماً من عظمائهم يومَ بَدر، فبعثَ الله عليهِ مثلِ الظُلَّةِ من الدَّبْرِ فحمتَه من رُسُلِهم، فلم يَقدِروا منه على شيء».

٤٠٨٧ ـ عنْ عمرٍو سمعَ جابراً يقول «الذي قَتل خُبيباً هو أبو سِرْوَعة».

قوله (باب غزوة الرجيع) والرجيع المراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعة بقرب منه فسميت به.

قوله (وبئر معونة) موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان، وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء، وكانت مع بني رعل وذكوان المذكورين.

قوله (فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله) في رواية ابن سعد فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم، ثم أخرجوهما إلى التنعيم فقتلوهما، وفي رواية بريدة بن سفيان فأساءوا إليه في إساره، فقال لهم: ما تصنع القوم الكرام هذا بأسيرهم، قال فأحسنوا إليه بعد ذلك، وجعلوه عند امرأة تحرسه، وروى ابن سعد من طريق موهب مولى آل نوفل قال: قال لي خبيب وكانوا جعلوه عندي: يا موهب اطلب إليك ثلاثا، أن تسقيني العذب، وأن تجنبني ما ذبح على النصب، وأن تعلمني إذا أرادوا قتلي.

قوله (لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة) وفي رواية ابن إسحق عن ابن أبي نجيح كما تقدم «وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل».

قوله (وما كان إلاّ رزق رزقه الله) في رواية ابن سعد «رزقه الله خبيبا».

قال ابن بطال: هذا يمكن أن يكون الله جعله آية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته قال: فأما من يدعي وقوع ذلك له اليوم بين ظهراني المسلمين فلا وجه له، إذ المسلمون قد دخلوا في الدين وأيقنوا بالنبوة، فأي معنى لإظهار الآية عندهم، ولو لم يكن في تجويز ذلك إلا أن يقول جاهل إذا جاز ظهور هذه الأيات على يد غير نبي فكيف نصدقها من نبي والفرض أن غيره يأتي بها لكان في إنكار ذلك قطعا للذريعة، إلى أن قال: إلا أن يكون وقوع ذلك مما لا يخرق عادة ولا يقلب عينا، مثل أن يكرم الله عبدا بإجابة دعوة في الحين ونحو ذلك مما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة الولي، ومن ذلك حماية الله تعالى عاصما لئلا ينتهك عدوه حرمته انتهى، والحاصل أن ابن بطال توسط بين من يثبت الكرامة ومن ينفيها فجعل الذي يثبت ما قد تجري به العادة لآحاد الناس أحيانا، والممتنع ما يقلب الأعيان مثلا والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء فقال، ولا يصلون إلى مثل

إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك، وهذا أعدل المذاهب في ذلك، فان إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جداً حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة، فانحصر الخارق الأن فيما قاله القشيري، وتعين تقييد قول من أطلق أن كل معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي، ووراء ذلك كله أن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ماذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا وبالله التوفيق.

قوله (ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله) وفي رواية أبي الأسود عن عروة «فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه».

قوله (وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر) لعل العظيم المذكور عقبة بن أبي معيط فإن عاصمًا قتله صبراً بأمر النبي ﷺ بعد أن انصرفوا من بدر.

قوله (مثل الظلة من الدبر) الظلة السحاب، والدبر الزنابير، وقيل ذكور النحل.

قوله «فحمته» أي منعته منهم.

قوله (فلم يقدروا منه على شيء) في رواية شعبة «فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئاً، وفي رواية ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا، فكان عمر يقول لما بلغه خبر: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته» وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن، قال الحسن البصري: لا بأس بذلك، وقال سفيان الثوري: أكره ذلك، وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل، وفيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه، وفيه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتا وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه

بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه، وفيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم.

٤٠٨٨ ـ عَنْ أنسٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال «بعثَ النبيُّ ﷺ سبعينَ رجُلاً لحاجةٍ يقالُ لهم القرّاء، فعَرَض لهم حيّانِ من بني سُليم رعِل وذكوانَ عندَ بئر يقال لها بئرُ مَعونة، فقال القومُ: واللّه ما إياكم أردنا، إنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ، فقتلوهم، فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاةِ الغداة، وذلكَ بدأ القُنوت، وما كنّا نَقنتُ»، قال عبد العزيز: وسألَ رجلٌ أنساً عن القنوت: أبعدَ الركوع، أو عند فراغٍ من القراءة؟ قال: لا، بل عند فراغٍ من القراءة.

٤٠٨٩ ـ عن أنَسٍ قال: «قَنتَ رسولُ اللهِ ﷺ شهراً بعدَ الركوع يدعو على أحياءٍ من العرب».

٤٠٩٠ ـ عَنْ أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللَّهُ عنه «أنَّ رعلاً وذكوان وعُصَيَّةَ وبني لحيانَ استمدُّوا رسولَ اللهِ ﷺ على عدوّ، فأمدَّهم بسبعينَ من الأنصار كنّا نسميهمُ القراءَ في زمانهم، كانوا يحتطبونَ بالنهار، ويصلون بالليل، حتى كانوا ببئر مَعونةَ قتلوهم وغدروا بهم فبلغَ النبيَّ ﷺ فقنتَ شهراً يدعوا في الصبح على أحياءٍ من أحياء العرب: على رعلٍ وذكوانَ وعُصيّة وبني لحيانَ، قال أنسٌ فقرأنا فيهم قرآنًا، ثمَّ إن ذلك رُفعَ: بلّغوا عنا قومَنا أنا لقينا ربَّنا فرضيَ عنا وأرضانا» وعن قتادة عن أنس بن مالكٍ حدَّثهُ «أنَّ نبيَّ الله ﷺ قَنتَ شهراً في صلاة الصبح يَدعو على أحياءٍ من أحياء العرب: على رعلٍ وذكوان وعُصيَّةَ وبني لحيان»، زادَ خَليفةُ «حدَّثنا ابن زُرَيعٍ حدَّثنا سعيدٌ عن قَتادةَ حدَّثنا أنسٌ أنَّ أولئك السبعينَ من الأنصار قُتلوا ببئر مَعونةَ قرآنا كتابا نحوَه».

٤٠٩١ ـ عنْ أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ خالهُ -أخٌ لأمِّ سُليم - في سبعينَ راكبا، وكان رئيسَ المشركينَ عامرُ بن الطُّفَيل خَيَّرَ بينَ ثلاثِ خصالٍ فقال: يكون لكَ أهلُ السهلِ ولي أهل المدَر، أو أكونَ خليفتَكَ، أو أغزوك بأهل غَطَفان بألفٍ وألف، فطُعِنَ عامرٌ في بيتِ أمِّ فلانٍ فقال: غُدَّةٌ كغدَّةِ البَكر، في بيتِ امرأةٍ من آل بني فلان، ائتوني بفرسي، فماتَ على ظَهرِ فرَسه، فانطلق حرامٌ أخو أمِّ سليم -وهو رجلٌ أعرج ورجل من بني فلان قال: كونا قريباً حتى آتيَهم فإن آمَنوني كنتم، وإن قَتلوني أتيتم أصحابَكم، فقال: أتُؤمِّنوني أبلِّغْ رسالةَ رسول الله ﷺ؟ فَجَعَلَ يُحدِّثهم، وأومئوا إلى رجل فأتاهُ من خلفه فطعَنَه قال همامٌ أحسبهُ حتى أنفَذَهُ بالرُّمح، قال: الله أكبرُ، فُزتُ وربِّ الكعبة، فلُحِقَ الرجل فقُتلوا كلُّهم غير الأعرج كان في رأسِ جبل، فأنزلَ الله علينا ثمَّ كان من المنسوخ «إنا قد لَقِينا ربَّنا، فرضي عنّا وأرضانا» فدعا النبي ﷺ عليهم ثلاثين صباحا، على رِعل وذكوانَ وبني لحيانَ

وعُصيَّةُ الذين عصَوا الله ورسولهص».

٤٠٩٢ ـ عن أنسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه قال «لما طُعِنَ حرامُ بن ملحانَ -وكان خالهُ- يومَ بئر مَعونة، قال بالدَّم هكذا، فنضَحهُ على وجههِ ورأسهِ ثمَّ قال: فُزتُ وربِّ الكعبة».

قوله (بعث النبي ﷺ سبعين رجلا لحاجة) وقد تقدم في الجهاد من وجه آخر عن سعيد عن قتادة بلفظ «إن النبي ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوا على قومهم، ويحتمل أنه لم يكن استمدادهم لهم لقتال عدو، وإنما هو للدعاء إلى الإسلام، وقد أوضح ذلك ابن إسحق قال: «حدثني أبي عن المغيرة بن عبدالرحمن وغيره قال: قدم أبو براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة على رسول ﷺ، فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال: يامحمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك وأنا جار لهم، فبعث المنذر بن عمرو في أربعين رجلا منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان ورافع بن بديل بن ورقاء وعروة بن أسماء وعامر بن فهيرة وغيرهم من خيار المسلمين».

قوله (فعرض لهم حيان) تثنية حي أي جماعة من بني سليم.

قوله (غدة كغدة البكر) يجوز فيه الرفع بتقدير أصابتني غدة أو غدة بي، ويجوز النصب على المصدر أي أغده غدة مثل بعيره، والغدة من أمراض الإبل وهو طاعونها.

قوله (ثم كان من المنسوخ) أي المنسوخ تلاوته فلم يبق له حكم حرمة القرآن كتحريمه على الجنب وغير ذلك.

قوله (فزت ورب الكعبة) أي بالشهادة.

٤٠٩٣ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا قالت: «استأذنَ النبيَّ ﷺ أبو بكرٍ في الخروج حين اشتدَّ عليهِ الأذى، فقال له: أقِمْ، فقال: يارسولَ الله، أتطمعُ أن يُؤذنَ لك؟ فكان رسولُ الله ﷺ يقول: إنّي لأرجو ذلك، قالت: فانتظَرَهُ أبوبكرٍ، فأتاه رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم ظُهراً فناداه فقال: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هما ابنتايَ، فقال: أشعَرتَ أنه قد أذنَ لي في الخروج؟ فقال: يارسولَ الله، الصحبة، فقال النبيُّ ﷺ : الصحبة، قال: يارسولَ الله عندي ناقتان قد كنتُ أعددتهما للخروج، فأعطى النبيّ ﷺ إحداهما -وهي الجَدْعاء- فركبا، فانطلقا حتى أتيا الغارَ وهو بثَوْر فتواريا فيه، فكان عامرُ بن فُهيرةَ غلاماً لعبد الله بن الطفيلِ بن سَخبرةَ أخو عائشةَ لأمِّها، وكانت لأبي بكر منِحة فكان يروحُ بها ويَغدو عليهم، ويُصبحُ فيدلُجُ إليهما، ثم يَسرَحُ فلا يَفطنُ به أحد من الرِّعاء، فلما خرَجَ خرجَ معهما يُعقبانه حتى قدما المدينة، فقتل عامرُ بنُ فُهيرةَ يومَ بئر مَعونةَ، وعن أبي أسامةَ قال: قال هشامُ بن عروةَ فأخبرَني أبي قال: لما قُتلَ الذين ببئر مَعونة وأُسِرَ عمرُو بن أميَّةَ

الضَمْريّ قال له عامرُ بن الطُّفيل: مَن هذا؟ فأشارَ إلى قتيل، فقال له عمرُو بن أمية: هذا عامرُ بن فُهيرةَ، فقال لقد رأيتُه بعد ما قتل رُفع إلى السماء حتى إني لأنظرُ إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضِعَ، فأتى النبيَّ ﷺ خبرُهم، فنعاهم فقال: إن أصحابَكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربَّهم فقالوا: ربنا أخبِرْ عنا إخوانَنا بما رضينا عنك ورضيتَ عنا، فأخبرَهم عنهم، وأصيبَ فيهم يومئذ عُروة بن أسماءَ بن الصلت فسمِّيَ عروة به، ومُنذر بن عمرٍو سمى به منذرا».

٤٠٩٤ ـ عنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «قنتَ النبيُّ ﷺ بعد الرُّكوع شهراً يدعو على رعلٍ وذكوانَ ويقول عُصية عَصَت الله ورسوله».

٤٠٩٥ ـ عَنْ أنسِ بن مالكٍ قالَ: «دعَا النبيُّ ﷺ على الذين قَتلوا أصحابه ببئر مَعونة ثلاثينَ صباحاً حينَ يدعو على رِعل ولحيانَ وعُصية عصَتِ الله ورسوله ﷺ، قال أنس: فأنزلَ اللهُ تعالى لنبيه في الذين قُتِلوا أصحابِ بئر مَعونةَ قرآناً قَرَأناه حتى نُسِخ بعدُ: بلغوا قومَنا، فقد لَقينا ربَّنا، فَرضَي عنا ورضينا عنه».

٤٠٩٦ ـ عَنْ عاصمٍ الأحولِ قال: سألتُ أنسَ بن مالك رضي اللهُ عَنْهُ عنِ القنوتِ في الصلاةِ فقال نعم، فقلتُ كان قبلَ الركوع او بعدَه؟ قال: قبله، قلت فإن فلانًا أخبرَني عنك أنكَ قلتَ بعدَه، قال: كذَب، إنما قنتَ رسولُ الله ﷺ بعدَ الركوع شهراً أنه كان بعث ناساً يقال لهمُ القراء -وهم سبعون رجلاً- إلى ناس منَ المشركين وبينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ عهد قِبَلَهم، فظهر هؤلاء الذي كان بينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ عهد، فقَنت رسولُ الله ﷺ بعد الرُكوع شهراً يدعوا عليهم».

قوله (عن عائشة قالت: استأذن النبي ﷺ أبوبكر في الخروج) يعني في الهجرة، وقد تقدم شرح الحديث مستوفى بطوله في أبواب الهجرة[١].

٢٩ ـ باب غزوةُ الخندقِ وهي الأحزاب

قال موسى بن عقبةَ: كانت في شوّال سنةَ أربع.

٤٠٩٧ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ عَرَضه يومَ أُحُد وهو ابن أربعَ عشرةَ سنة فلم يُجزهُ، وعرضه يومَ الخندق وهو ابنُ خمسَ عشرة سنةً فأجازه».

٤٠٩٨ ـ عَنْ سهلِ بن سعدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كُنّا معَ رسولِ اللهِ ﷺ في الخندق وهم يَحفِرون ونحنُ ننقلُ الترابَ على أكتادِنا، فقال رسولُ الله ﷺ: اللَّهمَّ لا عَيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفرْ للمهاجِرينَ والأنصار».

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٤٥ ح ٣٩٠٥ - ٣ / ٢٣٣

٤٠٩٩ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «خرج رسولُ الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرونَ والأنصارُ يحفِرون في غَداةٍ باردة، فلم يكنْ لهم عبيدٌ يَعملونَ ذلكَ لهم، فلما رأى ما بهم منَ النَّصَبِ والجوع قال: اللّهم إن العيشَ عيشُ الآخرة، فاغفِرْ للأنصارِ والمهاجرة، فقالوا مُجيبين له:

نحنُ الذين بايَعوا محمداً على الجهادِ ما بَقينا أبدا

٤١٠٠ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: «جَعَلَ المهاجرونَ والأنصارُ يحفِرون الخندق حول المدينة، ويَنقلونَ التراب على متونهم وهم يقولون:

نحنُ الذين بايَعوا محمداً على الإسلام ما بَقينا أبدا

قال يقولُ النبيُّ ﷺ وهوَ يُجيبُهم: اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة، قال: يؤتَونَ بملءِ كفِّي من الشعير، فيُصنَعُ لهم بإهالةٍ سَنِخةٍ توضعُ بينَ يَدَي القوم والقومُ جياع وهي بَشِعةٌ في الحلقِ ولها ريح منتن».

قوله (باب غزوة الخندق وهي الأحزاب) يعني أن لها اسمين، وهو كما قال، والأحزاب جمع حزب أي طائفة، فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي منهم أبو معشر قال: «قال سلمان للنبيﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم» وأما تسميتها للأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم، وقد أنزل الله تعالى في هذه القصة صدر سورة الأحزاب، وذكر موسى بن عقبة في المغازي قال: «خرج حيي بن أخطب بعد قتل بني النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في بني غطفان ويحضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف ثمر خيبر، فأجابه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري إلى ذلك، وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل إليهم طلحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش فنزلوا بمر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بني سليم مددا لهم فصاروا في جمع عظيم، فهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب»، وذكر ابن إسحق بأسانيده أن عدتهم عشرة آلاف، قال: وكان المسلمون ثلاثة آلاف، وقيل كان المشركون أربعة آلاف والمسلمون نحو الألف، وذكر موسى بن عقبة أن مدة الحصار كانت عشرين يوما، ولم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل والحجارة، وأصيب منها سعد بن معاذ بسهم فكان سبب موته كما سيأتي، وذكر أهل المغازي سبب رحيلهم، وأن نعيم بن مسعود الأشجعي ألقى بينهم الفتنة فاختلفوا، وذلك بأمر النبي ﷺ له

بذلك، ثم أرسل الله عليهم الريح فتفرقوا، وكفى الله المؤمنين القتال.

قوله (قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع) هكذا رويناه في مغازيه، قلت: وتابع موسى على ذلك مالك، وأخرجه أحمد عن موسى بن داود عنه، وقال ابن إسحق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي، ومال المصنف إلي قول موسى بن عقبة وقواه بما أخرجه أول أحاديث الباب من قول ابن عمر أنه عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة ويوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فيكون بينهما سنة واحدة، وأحد كانت سنة ثلاث، فيكون الخندق سنة أربع.

قوله (عرضه يوم أحد) عرْض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشرة القتال للنظر في هيئتهم وترتيب منازلهم وغير ذلك.

قوله (فأجازه) أي أمضاه وأذن له في القتال.

قوله (ونحن ننقل التراب على أكتادنا) جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

قوله (بإهالة) الدهن الذي يؤتدم به سواء كان زيتا أو سمنا أو شحما.

قوله (سنخة) أي تغير طعمها ولونها من قدمها.

٤١٠١ ـ عَنْ عبدِ الواحدِ بن أيمنَ عن أبيهِ قال: «أتيتُ جابراً رضيَ اللّهُ عَنْهُ فقال: إنّا يومَ الخندقِ نحفرُ فعرضَتْ كُدْيةٌ شديدة، فجاءوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضَت في الخندق فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنُه مَعصوب بحجَر، ولبِثنا ثلاثةَ أيامٍ لا نذوقُ ذواقاً، فأخذَ النبيُّ ﷺ المِعْوَل فضرب في الكدية، فعاد كثيبًا أهْيلَ أو أهْيَم، فقلت: يارسولَ الله ائذن لي إلى البيت، فقلتُ لامرأتي: رأيتُ بالنبي ﷺ شيئا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعَناق، فذبحتُ العَناقَ، وطحنَتِ الشعيرَ، حتى جَعلنا اللحمَ بالبُرمةِ، ثمَّ جئتُ النبيَّ ﷺ والعجينُ قد انكسرَ، والبرمة بينَ الأثافيِّ قد كادَت أن تَنضجَ، فقلتُ: طُعيِّم لي، فقم أنتَ يارسولَ الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، فقال: كثير طيِّب، قال: قل لها لا تَنزعِ البرمةَ ولا الخُبزَ من التنور حتى آتي، فقال: قوموا، فقام المهاجرونَ والأنصارُ، فلما دَخَلَ على امرأته قال: ويحَكِ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرينَ والأنصارِ ومَن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تَضاغَطوا، فجعلَ يَكسرُ الخبزَ ويَجعلُ عليه اللحمَ، ويُخمرُ البرمةَ والتنُّورَ إذا أخذ منه، ويُقرِّبُ إلى أصحابه ثم يَنزع، فلم يَزلْ يكسرُ الخبز ويغرف حتى شَبعوا، وبقيَ بقيةٌ، قال: كلي هذا وأهدِي، فإنَّ الناسَ أصابَتْهم مَجاعة».

٤١٠٢ ـ عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قال: «لمَّا حُفِرَ الخندقُ رأيت بالنبيِّ ﷺ خَمَصاً شديداً، فانكفَيتُ إليَّ امرأتي فقلتُ: هل عندكِ شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ

خَمَصاً شديداً، فأخرجَتْ إليَّ جِرابا فيه صاعٌ من شَعير، ولنا بُهيمةٌ داجن فذبحتُها، وطحنَتِ الشعيرَ، ففرَغَتْ إلى فَراغي، وقطعتُها في بُرمَتها، ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسولِ الله ﷺ وبمن معهُ، فجئتُهُ فسارَرْتهُ فقلت: يارسولَ الله ذبحنا بُهَيمةً لنا وطحنّا صاعاً من شَعير كان عندَنا، فتعالَ أنت ونفر معك، فصاحَ النبيُّ ﷺ: يا أهلَ الخندقِ إن جابراً قد صنع سُوراً، فحيَّ هلا بكم فقال رسولُ الله ﷺ: لا تُنْزِلُنَّ برمتكم، ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء، فجئتُ وجاء رسولُ الله ﷺ يَقدُمُ الناسَ، حتى جئتُ امرأتي فقالت: بكَ وبك، فقلت: قد فعلتُ الذي قلتِ، فأخرجت له عجيناً، فبصقَ فيه وبارك، ثم عمدَ إلى بُرمَتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادعُ خابزةً فلتخبزْ معك، واقدَحي من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوهُ وانحرفوا، وإن برمَتَنا لتغطُّ كما هي وإن عَجينَنا ليُخبزُ كما هو».

قوله (أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر) زاد يونس «من الجوع» وفي رواية أحمد «أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجرا من الجوع» وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر.

قوله (فعاد كثيبا) أي رملا.

قوله (هيل أو أهيم) في رواية الاسماعيلي «أهيل»، وفي رواية أحمد «كثيبا يهال» والمعنى أنه صار رملا يسيل ولا يتماسك، قال الله تعالى {وكانت الجبال كثيبا مهيلا} أي رملا سائلا، ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام؛ والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: الله، أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة».

قوله (وعناق) هي الأنثى من المعز، وفي رواية سعيد «فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن»، أي سمينة، والداجن التي تترك في البيت ولا تفلت للمرعى، ومن شأنها أن تسمن.

قوله (والعجين قد انكسر) أي لان ورطب وتمكن منه الخمير.

قوله (والبرمة بين الأثافي) أي الحجارة التي توضع عليها القدر.

قوله (قالت هل سألك؟ قال:[١]نعم، فقال: ادخلوا) في هذا السياق اختصار، وبيانه في رواية يونس «قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله عز وجل وقلت: جاء الخلق على صاع من شعير وعناق، فدخلت على امرأتي أقول: افتضحت، جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ فقلت: نعم، فقالت: الله ورسوله أعلم، ونحن قد أخبرناه بما عندنا، فكشفت عني غما شديدا وفي الرواية التي تلي هذه «فجئت امرأتي فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت»، وكان قد ذكر في أوله أنها «قالت له لا تفضحني برسول الله وبمن معه، فجئت فساررته» ويجمع بينهما بأنها أوصته أولا بأن يعلمه بالصورة، فلما قال لها إنه جاء بالجميع ظنت أنه لم يعلمه فخاصمته، فلما أعلمها أنه أعلمه سكن ما عندها لعلمها بإمكان خرق العادة، ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها، وقد وقع لها مع جابر في قصة التمر «أن جابرا أوصاها لما زارهم رسول الله ﷺ أن لا تكلمه، فلما أراد رسول الله ﷺ الانصراف نادته: يارسول الله صلي علي وعلى زوجي، فقال: ﷺ الله عليك وعلى زوجك، فعاتبها جابر، فقالت: له: أكنت تظن أن الله يورد رسوله بيتي ثم يخرج ولا أسأله الدعاء» أخرجه أحمد بإسناد حسن في حديث طويل.

قوله (ولا تضاغطوا) أي لا تزدحموا.

قوله (ويخمر البرمة) أي يغطيها.

قوله (ثم ينزع) أي يأخذ اللحم من البرمة، وفي رواية سعيد التي تلو هذه «فقال ادع خابزة فلتخبز معك» أي تساعدك.

قوله (واقدحي من برمتكم» أي اغرفي، والمقدحة المغرفة.

قوله (كلي هذا وأهدي) وفي رواية أبي الزبير عن جابر «فأكلنا نحن وأهدينا لجيراننا، فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك وقد تقدم في علامات النبوة[٢].

قوله (وانحرفوا) أي مالوا عن الطعام.

قوله (لتغط) أي تغلي وتفور.

٤١٠٣ - عَنْ عائِشَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهَا « {إذْ جاءُوكُمْ من فوقِكم ومن أسفلَ منكم وإذ زاغَتِ الأبصارُ وبَلَغتِ القلوبُ الحناجرَ} قالت: كان ذاك يومَ الخندق» الأحزاب.

٤١٠٤ - عنِ البراءِ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ يَنقُلُ التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنَهُ -أو اغبرَّ بطنُه- يقول:

(١) رواية الباب واليونينية قلت نعم.
(٢) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٥٧٨ - ٣ / ١٠٣

والله لو لا الله ما اهتدَينا ولا تَصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلن سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا
إن الألى قد بَغَوا علينا إذا أرادوا فِتنةً أبَينا

ويرفع بها صوته: أبَينا، أبينا

٤١٠٥ ـ عنِ ابن عباسٍ رضي الله عنهُمَا عن النبي ﷺ قالَ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبور».

٤١٠٦ ـ عنِ أبي إسحاق قالَ: سمعتُ البراء يُحدِّثُ قال: «لما كان يومُ الأحزابِ وخندقَ رسولُ الله ﷺ، رأيتهُ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جِلدةَ بطنهِ -وكان كثيرَ الشعر- فسمعتهُ يَرتجِزُ بكلماتِ ابن رواحةَ وهو ينقلُ منَ الترابِ يقول:

اللهمَّ لو لا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلينا
فأنزلنْ سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا
إن الألى قد بَغَوا علينا إن أرادوا فتنةً أبَينا

قال: ثمَّ يمدُّ صوتهُ بآخرها».

٤١٠٧ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عَنْهُمَا قالَ: «أولُ يوم شهدتُه يوم الخندق».

وبين ابن إسحق في المغازي صفة نزولهم قال: نزلت قريش بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة، ونزل عيينة في غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف، والخندق بينه وبين القوم، وجعل النساء والذراري في الآطام، قال وتوجه حيي بن أخطب إلى بني قريظة فلم يزل بهم حتى غدروا كما سيأتي بيانه في الباب الآتي، وبلغ المسلمين غدرهم فاشتد بهم البلاء، فأراد النبي ﷺ أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فمنعه من ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون منا في شيء من ذلك؛ فكيف نفعله بعد أن أكرمنا الله عز وجل بالإسلام وأعزنا بك؟ نعطيهم أموالنا، مالنا بهذا من حاجة، ولا نعطيهم إلا السيف، فاشتد بالمسلمين الحصار، حتى تكلم معتب بن قشير وأوس بن قيظي وغيرهما من المنافقين بالنفاق، وأنزل الله تعالى: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا} الآيات قال: وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان، قال ابن إسحق في روايته: ولم يقع بينهم حرب إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى

صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي فبارزه الزبير فقتله، ويقال قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة.

قوله (نصرت بالصبا)وهي الريح الشرقية، والدبور هي الريح الغربية، وروى أحمد من حديث أبي سعيد قال: «قلنا يوم الخندق: يارسول الله، هل من شيء تقوله؟ قد بلغت القلوب الحناجر، قال: نعم، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح، فهزمهم الله عز وجل بالريح».

٤١٠٨ ـ عن ابن عمرَ قال: «دَخلتُ على حفصةَ ونَسْواتها تَنطفُ، قلت: قد كان من أمر الناس ما تَرَين، فلم يُجعَلْ لي من الأمر شيء، قالت: الحقْ فإنهم يَنتظرونك، وأخشى أن يكونَ في احتَباسكَ عنهم فُرقة، فلم تَدَعْهُ حتى ذهب، فلما تَفرَّقَ الناسُ خَطبَ معاويةُ قال: مَن كان يريدُ أن يَتكلم في هذا الأمر فلْيُطْلِعْ لنا قرنهَ، فلنحنُ أحقُّ به ومن أبيه، قال حبيبُ بن مَسلمةَ: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللْتُ حُبْوَتي وهممتُ أن أقول: أحقُّ بهذا الأمر مِنكَ من قاتلكَ وأباكَ على الإسلام، فخشيتُ أن أقولَ كلمة تفرِّقُ بينَ الجَمع وتسفِكُ الدمَ ويُحمل عني غيرُ ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجِنان، قال حبيبٌ حُفِظتَ وعُصمتَ»، قال محمود عن عبدِ الرزاقِ «ونَوساتها».

قوله (ونسواتها) قال الخطابي: أي ذوائبها، ومعنى تنطف أي تقطر كأنها قد اغتسلت.

قوله (قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء) مراده بذلك ماوقع بين علي ومعاوية من القتال في صفين يوم اجتماع الناس على الحكومة بينهم فيما اختلفوا فيه، فراسلوا بقايا الصحابة من الحرمين وغيرهما وتواعدوا على الاجتماع لينظروا في ذلك، فشاور ابن عمر أخته في التوجه إليهم أو عدمه فأشارت عليه باللحاق بهم خشية أن ينشأ من غيبته اختلاف يفضي إلى استمرار الفتنة.

قوله (فلما تفرق الناس) أي بعد أن اختلف الحكمان، وهما أبو موسى الأشعري وكان من قبل علي وعمرو بن العاص وكان من قبل معاوية، ووقع في رواية عبد الرزاق عن معمر في هذا الحديث «فلما تفرق الحكمان» وهو يفسر المراد ويعين أن القصة كانت بصفين، والمعتمد ماصرح به في رواية عبد الرزاق، ثم وجدت في رواية حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر قال: «لما كان في اليوم الذي اجتمع فيه معاوية بدومة الجندل قالت حفصة: إنه لا يجمل بك أن تتخلف عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد، وأنت صهر رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب، قال فأقبل معاوية يومئذ على بختي عظيم فقال: من يطمع في هذا الأمر أو يرجوه أو يمد إليه عنقه» الحديث أخرجه الطبراني.

قوله (أن يتكلم في هذا الأمر) أي الخلافة.

قول (فليطلع لنا قرنه) قال ابن التين يحتمل أن يريد بدعته كما جاء في الخبر الآخر «كلما نجم قرن» أي طلع قرن، ويحتمل أن يكون المعنى فليبد لنا صفحة وجهه، والمعنى فليظهر لنا نفسه ولا يخفيها، ووقع في رواية حبيب بن أبي ثابت أيضاً قال ابن عمر: ما حدثت نفسي بالدنيا قبل يومئذ أردت أن أقول له يطمع فيه من ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكما فيه، فذكرت الجنة فأعرضت عنه، ومن هنا يظهر مناسبة إدخال هذه القصة في غزوة الخندق، لأن أبا سفيان كان قائد الأحزاب يومئذ.

قوله (من قاتلك وأباك على الإسلام) يعني يوم أحد ويوم الخندق، ويدخل في هذه المقاتلة علي وجميع من شهدها من المهاجرين، ومنهم عبد الله بن عمر، وكان رأي معاوية في الخلافة تقديم الفاضل في القوة والرأي والمعرفة على الفاضل في السبق إلى الاسلام والدين والعبادة، فلهذا أطلق أنه أحق، ورأي ابن عمر بخلاف ذلك، وأنه لا يبايع المفضول إلا إذا خشي الفتنة، ولهذا بايع بعد ذلك معاوية ثم ابنه يزيد ونهى بنيه عن نقض بيعته كما سيأتي في الفتن، وبايع بعد ذلك لعبد الملك بن مروان.

قوله (فذكرت ما أعد الله في الجنان) أي لمن صبر وآثر الآخرة على الدنيا.

٤١٠٩ - عنْ سليمان بن صُرَدٍ قال: «قال النبيُّ ﷺ يومَ الأحزاب: نَغزوهم ولا يَغزوننا».

[الحديث ٤١٠٩ - طرفه في: ٤١١٠]

٤١١٠ - عن سليمان بنَ صرَدٍ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ حينَ أُجْلِيَ الأحزابُ عنه: الآن نَغزوهم ولا يغزوننا نحن نسيرُ إليهم».

٤١١١ - عنْ عليٍّ رضي اللهُ عَنْهُ «عنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ يومَ الخندقِ: مَلأَ اللهُ عليهم بُيوتَهم وقبورَهم ناراً كما شَغَلونا عن الصلاة الوُسطى حتى غابتِ الشمس».

٤١١٢ - عنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ «أنَّ عمَرَ بن الخطاب رضيَ اللهُ عَنْهُ جاءَ يومَ الخندق بعدَ ما غَرَبَتِ الشمسُ جَعلَ يَسبُّ كفّارَ قُريش وقال: يا رسولَ اللهِ، ما كدتُ أن أُصلِّيَ حتى كادَتِ الشمسُ أن تَغرُبَ، قال النبيُّ ﷺ: واللهِ ماصلّيتها، فنزَلنا معَ النبيِّ ﷺ بُطْحانَ، فتوضأنا لها، فصلّى العصرَ بعدَ مَا غَرَبَتِ الشمسُ، ثم ﷺ بعدَها المغرب».

قوله (الصلاة الوسطى) زاد مسلم، «صلاة العصر» وسيأتي الكلام عليها وعلى شرح هذا الحديث مستوفى في تفسير سورة البقرة[1].

قوله (جعل يسب كفار قريش) قد سبق شرح هذا الحديث في المواقيت من كتاب[2] الصلاة وبينت فيه المذاهب في ترتيب فائتة الصلاة.

(١) كتاب التفسير "البقرة" باب / ٤٢ ح ٤٥٣٣ - ٣ / ٤٧٣.
(٢) كتاب مواقيت الصلاة باب / ٣٦ ح ٥٩٦ - ١ / ٣٥٧

٤١١٣ ـ عن جابرٍ قال: «قال رسولُ اللّه ﷺ يومَ الأحزاب: مَن يأتينا بخبرِ القوم؟ فقال الزُّبَير: أنا، ثم قال مَن يأتينا بخبرِ القوم؟ فقال الزُّبَير: أنا، ثم قال: من يأتينا بخبرالقوم؟ فقال الزبيرُ أنا ثم قال إنَّ لكلّ نبي حَوارِيّاً، وإنَّ حَواريّ الزبير».

٤١١٤ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ كانَ يقولُ: لا إله إلا اللّه وحدَهُ أعزَّ جُندَه، ونصرَ عبدَه، وغلبَ الأحزابَ وحده، فلا شيء بعده».

٤١١٥ ـ عن عَبْدِ اللّه بن أبي أوفى رضيَ اللّهُ عَنهُمَا يقول: «دعا رسولُ اللّه ﷺ على الأحزابِ فقالَ: اللّهُمَّ مُنزلَ الكتاب سريعَ الحساب، اهزِم الأحزاب، اللهم اهزِمْهم وزلزلهم».

٤١١٦ ـ عَنْ عبدِ اللّهِ رضيَ اللّهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ كانَ إذا قَفلَ من الغزو أو الحجّ أو العمرة يبدأ فيكبِّر ثلاثَ مرارٍ ثم يقول: لا إله إلا اللّه وحدَه لا شريكَ له، لهُ الملكُ، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيِبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربِّنا حامدون، صَدَقَ اللّه وعدهُ، ونصرَ عبده، وهزمَ الأحزاب وحده».

قوله (أو الحج أو العمرة) وسيأتي شرحه في الدعوات[١] إن شاء اللّه تعالى.

٣٠ ـ باب مرجع النبيِّ ﷺ منَ الأحزاب ومخرجه إلى بني قُرَيظة، ومحاصَرته إيّاهم.

٤١١٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللّهُ عَنهَا قَالت: «لما رجعَ النبيُّ ﷺ منَ الخندقِ ووَضعَ السلاحَ واغتسل، أتاهُ جبريلُ عليه السلام فقال: قد وضعتَ السلاحَ، واللّه ماوَضعناه، فاخرُج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا، وأشار إلى قُريظةَ، فخرج النبيُّ ﷺ إليهم».

٤١١٨ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «كأني أنظرُ إلى الغُبار ساطعاً في زُقاق بني غَنْم، مَوكب جبريلَ حينَ سار رسولُ اللّه ﷺ إلي بني قريظة».

٤١١٩ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللّهُ عَنهُمَا قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ الأحزاب: لا يصلّينَّ أحدٌ العصرَ إلاّ في بني قريظة، فأدركَ بعضَهُم العصرَ في الطريق فقال بعضُهم: لا نصلّي حتى نأتيهم، وقال بعضُهم: بل نصلّي، لم يُردْ منا ذلك، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ فلم يعنِّفْ واحداً منهم».

قوله (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب) أي من الموضع الذي كان يقاتل فيه الأحزاب إلى منزله بالمدينة.

قوله (كأني أنظر إلى الغبار) يشير إلى أنه يستحضر القصة حتى كأنه ينظر إليها مشخصة له بعد تلك المدة الطويلة.

(١) كتاب الدعوات باب / ٥٢ ح ٦٣٨٥ - ٥ / ٢٠٦

قوله (ساطعا) أي مرتفعا.

قال ابن إسحق: لما انصرف النبي ﷺ من الخندق راجعا إلى المدينة أتاه جبريل الظهر فقال: إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فأمر بلالا فأذن في الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وكذلك أخرجه الطبراني والبيهقي في «الدلائل» بإسناد صحيح إلى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن عمه عبيد الله بن كعب «أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وجمع عليه اللأمة واغتسل واستجمر تبدى له جبريل فقال: عذيرك من محارب، فوثب فزعا، فعزم على الناس أن لا يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة، قال فلبس الناس السلاح فلم يأتوا قريظة حتى غربت الشمس، قال فاختصموا عند غروب الشمس فصلت طائفة العصر وتركتها طائفة وقالت: إنا في عزمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم، فلم يعنف واحداً من الفريقين».

قال السهيلي وغيره: في هذا الحديث من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه، وفيه أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، والمشهور أن الجمهور ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد، وخالف الجاحظ والعنبري، وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضاً: المصيب واحد، وقد ذكر ذلك الشافعي وقرره، وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية هو مصيب باجتهاده، وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ وله أجر واحد، وسيأتي بسط هذه المسألة في كتاب الأحكام[1] إن شاء الله تعالى، ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، فيستفاد منه عدم تأثيمه، وقال ابن القيم في الهدى ما حاصله: كل من الفريقين مأجور بقصده، إلا أن من ﷺ حاز الفضيلتين: امتثال الأمر في الإسراع، وامتثال الأمر في المحافظة على الوقت ولا سيما ما في هذه الصلاة بعينها من الحث على المحافظة عليها وأن من فاتته حبط عمله، وإنما لم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر، ولأنهم اجتهدوا فأخروا لامتثالهم الأمر، لكنهم لم يصلوا إلى أن يكون اجتهادهم أصوب من اجتهاد الطائفة الأخرى.

٤١٢٠ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانَ الرجلُ يجعل للنبيِّ ﷺ النخلات، حتى افتتح قَريظةَ والنَّضير، وإن أهلي أمروني أن آتيَ النبيَّ ﷺ فأسألهُ الذي كانوا أعطَوهُ أو بعضهُ، وكان النبيُّ ﷺ قد أعطاهُ أمَّ أيمنَ، فجاءت أمُّ أيمنَ فجعلَتِ الثوبَ في عُنقي تقول: كلاَّ والذي لا إلهَ إلاَّ هو، لا يُعطيكم وقد أعطانيها -أو كما قالت- والنبيُّ ﷺ يقول: لكِ كذا، وتقول: كلا واللّه، حتى أعطاها -حسِبتُ أنه قال- عشرةَ أمثالِه، أو كما قال».

(١) كتاب الأحكام باب / ٢٩ ح ٧١٨١ - ٥ / ٤٤٥

حاصله أن الأنصار كانوا واسوا المهاجرين بنخيلهم لينتفعوا بثمرها، فلما فتح الله النضير ثم قريظة قسم في المهاجرين من غنائمهم فأكثر، وأمرهم برد ما كان للأنصار لاستغنائهم عنه، ولأنهم لم يكونوا ملّكوهم رقاب ذلك، وامتنعت أم أيمن من رد ذلك ظنا أنها ملكت الرقبة، فلاطفها النبيُّ ﷺ لما كان لها عليه من حق الحضانة حتى عوضها عن الذي كان بيدها بما أرضاها، وفي الحديث مشروعية هبة المنفعة دون الرقبة، وفرط جود النبي ﷺ وكثرة حلمه وبره، ومنزلة أم أيمن عند النبي ﷺ ورضي الله عنهما وهي والدة أسامة بن زيد، وابنها أيمن أيضا له صحبة واستشهد بحنين، وهو أسنُّ من أسامة، وعاشت أم أيمن بعد النبي ﷺ قليلا، رضي الله عنهم.

٤١٢١ - عنْ أبِي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللّهُ عَنْهُ يقول: «نزلَ أهلُ قريظةَ على حكمِ سعدِ بن مُعاذٍ، فأرسلَ النبيُّ ﷺ إلى سعدٍ فأتى علي حمارٍ، فلما دَنا من المسجد قال للأنصار: قوموا إلى سيِّدكم -أو خَيرِكم-، فقال: هؤلاء نزلوا على حُكمك فقال: تقتُلُ مُقاتلتَهم، وتَسبي ذَراريهم، قال: قضيتَ بحكم الله، وربما قال: بحُكْمِ الملِك».

٤١٢٢ - عَنْ عَائشَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهَا قالَتْ: «أُصيبَ سعدٌ يومَ الخندق، رماه رجلٌ من قُريشٍ يقال له حِبّانُ بن العَرِقة، رَماهُ في الأكْحَل، فضَرب النبيُّ ﷺ خيمةً في المسجد ليَعودَهُ من قريب، فلما رجعَ رسولُ الله ﷺ من الخندقِ وَضعَ السلاحَ واغتسلَ، فأتاهُ جبريلُ عليه السلامُ وهو يَنفُضُ رأسَهُ منَ الغبار فقال: قد وَضعتَ السلاحَ، واللهِ ماوضعتُه، اخرُجْ إليهم، قال النبيُّ ﷺ: فأينَ؟ فأشارَ إلى بني قُريظة، فأتاهم رسولُ الله ﷺ فنزلوا عَلَى حكمه، فردَّ الحكمَ إلى سعدٍ، قالَ: فإني أحكم فيهم أن تُقتلَ المقاتلةُ، وأن تُسبى النساءُ والذُّرِّيَّةُ، وأن تُقَسَّم أموالُهم، قال هشامٌ: فأخبرَني أبي عن عائشةَ أن سعداً قال: اللهمَّ إنكَ تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهدَهم فيكَ من قومٍ كذَّبوا رسولَكَ وأخرَجوه، اللهم فإني أظنُّ أنكَ قد وَضعتَ الحرب بَيننا وبينَهم، فإن كانَ بَقيَ من حرب قريشٍ شيءٌ فأبقني له حتى أجاهدَهم فيك، وإن كنتَ وضعتَ الحرب فافجرْها واجعَلْ مَوتتي فيها، فانَفَجرتْ من لَبَّتِهِ، فلم يَرُعْهم -وفي المسجدِ خيمةٌ من بني غِفار- إلا الدَّمُ يَسيلِ إليهم، فقالوا: يا أهلَ الخيمةِ، ما هذا الذي يأتينا من قِبَلكم؟ فإذا سعدٌ يَغذوا جُرحُهُ دماً، فماتَ منها رضيَ الله عَنْهُ».

قوله (فلما دنا من المسجد) قيل المراد المسجد الذي كان النبي ﷺ أعده للصلاة فيه في ديار بني قريظة أيام حصارهم، وليس المراد به المسجد النبوي بالمدينة.

قوله (قوموا إلى سيدكم) يأتي البحث فيه في كتاب الاستئذان إن شاء الله تعالى.

قوله (حكمت[١] فيه بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك) وفي حديث جابر عند ابن عائذ «فقال: احكم فيهم ياسعد، قال: الله ورسوله أحق بالحكم، قال: قد أمرك الله تعالى أن تحكم فيهم» وفي رواية ابن إسحق من مرسل علقمة بن وقاص « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» وأرقعة من أسماء السماء.

قال السهيلي: قوله «من فوق سبع سماوات» معناه أن الحكم نزل من فوق، قال ومثله قول زينب بنت جحش «زوجني الله من نبيه من فوق سبع سموات» أي نزل تزويجها من فوق، قال ولا يستحيل وصفه تعالى بالفوق على المعنى الذى يليق بجلاله لا على المعنى الذي يسبق إلى الوهم من التحديد الذي يفضي إلى التشبيه[٢].

قوله (رماه في الأكحل) هو عرق في وسط الذراع، قال الخليل هو عرق الحياة ويقال إن في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الأكحل وفي الظهر الأبهر وفي الفخذ النسا إذا قطع لم يرقأ الدم.

قوله (فأتاهم رسول الله ﷺ) أي فحاصرهم، وعند موسى بن عقبة نحوه وزاد «وحاصرهم بضع عشرة ليلة «وعند ابن سعد «خمس عشرة» وفي حديث علقمة بن وقاص المذكور «خمسا وعشرين» ومثلها عند ابن اسحق عن أبيه عن معبد بن كعب قال: «حاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا، أو يقتلوا نساءهم وأبناءهم هم ويخرجوا مستقتلين، أو يبيتوا المسلمين ليلة السبت، فقالوا: لا نؤمن، ولا نستحل ليلة السبت، وأي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فأرسلوا إلى أبي لبابة بن عبد المنذر وكانوا حلفاءه فاستشاروه في النزول على حكم النبي ﷺ فأشار إلى حلقه -يعني الذبح- ثم ندم، فتوجه إلى مسجد النبي ﷺ فارتبط به حتى تاب الله عليه».

قوله (فإني أحكم فيهم) أي في هذا الأمر.

قوله (أن تقتل المقاتلة) قد تقدم في الذي قبله بيان ذلك، وذكر ابن إسحق أنهم حبسوا في دار بنت الحارث، وفي رواية أبي الأسود عن عروة في دار أسامة بن زيد، ويجمع بينهما بأنهم جعلوا في بيتين.

قال ابن اسحق: فخندقوا لهم خنادق فضربت أعناقهم فجرى الدم في الخنادق، وقسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأسهم للخيل فكان أول يوم وقعت فيه السهمان

---

(١) رواية الباب واليونينية "قضيت بحكم الله".

(٢) يقصد نفي الجهة كما تقول المعتزلة ومتأخرو الأشعرية، والحق اثباتها لدلالة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة عليه: يقول الله تعالى: {إليه يصعد الكلم الطيب، ويقول سبحانه {أأمنتم من في السماء..} وغير ذلك من الآيات، أما الأحاديث فمنها حديث الجارية، وحديث ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

لها، واختلف في عدتهم: فعند ابن إسحق أنهم كانوا ستمائة وبه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معاذ، وعند ابن عائذ من مرسل قتادة «كانوا سبعمائة» وقال السهيلي: المكثر يقول: إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال أن الباقين كانوا أتباعاً، وقد حكى ابن إسحق أنه قيل إنهم كانوا تسعمائة.

قوله (فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم)، والذي يظهر لي أن ظن سعد كان مصيبا، وأن دعاءه في هذه القصة كان مجابا، وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيها من المشركين، فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى {وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم} ثم وقعت الهدنة واعتمر ﷺ من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد، فتوجه إليهم غازيا ففتحت مكة، فعلى هذا فالمراد بقوله «أظن أنك وضعت الحرب» أي أن يقصدونا محاربين.

قوله (فأبقني له) أي للحرب.

قوله (فافجرها) أي الجراحة.

قوله (فانفجرت من لبته) هي موضع القلادة من الصدر، وكان موضع الجرح ورم حتى اتصل الورم إلى صدره فانفجر من ثم.

قوله (فلم يرعهم) بالمهملة أي أهل المسجد، أي لم يفزعهم.

قوله (يغذو) يسيل، وفي قصة بني قريظة من الفوائد وخبر سعد بن معاذ جواز تمني الشهادة، وهو مخصوص من عموم النهي عن تمنى الموت، وفيها تحكيم الأفضل من هو مفضول، وفيها جواز الاجتهاد في زمن النبي ﷺ، وهي خلافية في أصول الفقه، والمختار الجواز سواء كان بحضور النبي ﷺ أم لا، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع إمكان القطع، ولا يضر ذلك، لأنه بالتقرير يصير قطعيا، وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ كما في هذه القصة وقصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتيل أبي قتادة كما سيأتي في غزوة حنين وغير ذلك، وسيأتي مزيد له في كتاب الاعتصام[١] إن شاء الله تعالى.

٤١٢٣ ـ عن البَراءِ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ لحسّانَ: اهجُهم -أو هاجِهم- وجبريلُ معَك».

٤١٢٤ ـ عنِ البراءِ بنِ عازبٍ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ قُريظةَ لحسّانِ بن ثابت: اهجُ المشركين، فإن جبريلَ معَك».

---

(١) كتاب الاعتصام باب / ٢٣ ح ٧٣٥٥ - ٥ / ٥٢٧

٣١ - باب غزوةِ ذاتِ الرقاع

وهي غزوةُ مُحارب خَصفةَ من بني ثعلبة من غطفانَ فنزلَ نخلاً، وهي بعدَ خيبر، لأن أبا موسى جاء بعدَ خيبرَ.

٤١٢٥ - عَنْ جابرِ بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى بأصحابِه في الخوفِ في غزوةِ السابعةِ غزوةِ ذاتِ الرِّقاع» قال ابنُ عبّاسٍ « ﷺ النبيُّ ﷺ يعني صلاة الخوفِ بذي قَرَد».

[الحديث ٤١٢٥ - أطرافه في: ٤١٢٦، ٤١٢٧، ٤١٣٠، ٤١٣٧]

٤١٢٦ - عَنْ أبِي مُوسَى أنَّ جابراً حَدَّثَهُمْ « ﷺ النبيُّ ﷺ بهم يومَ محاربٍ وثعلبة».

٤١٢٧ - عن جابرٍ «خَرَجَ النبيُّ ﷺ إلى ذاتِ الرقاع من نخلٍ فلقيَ جمعاً من غَطفانَ فلم يكن قتالٌ، وأخافَ الناسُ بعضُهُم بعضا، فصلَّى النبيُّ ﷺ ركعتي الخوف».

وقال يزيدُ عَنْ سلمَةَ «غزوت مَعَ النبيِّ ﷺ يَوْمَ القَرَدِ».

٤١٢٨ - عَنْ أبِي مُوسَى رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «خَرجنَا مَعَ النبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ ونحن في ستة نفرٍ بيننا بعيرٌ نَعْتَقِبُه، فنقبَت أقدامُنا ونقبَت قدمايَ وسَقطتْ أظفاري، فكنا نلفُّ عَلَى أرجُلِنا الخرَق، فسُمِّيَت غزوةَ ذات الرقاع لما كنا نعصِبُ منَ الخِرَق على أرجُلِنا، وحدَّثَ أبو موسى بهذا الحديث ثم كرِهَ ذاك قال: ما كنتُ أصنع بأن أذكرَه كأنه كَرِهَ أن يكون شيء من عمله أفشاه».

قوله (باب غزوة ذات الرقاع) هذه الغزوة اختلف فيها متى كانت، واختلف في سبب تسميتها بذلك، وقد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر.

قوله (فنزل) أي النبي ﷺ.

قوله (نخلا) هو مكان من المدينة على يومين،

تنبيه: جمهور أهل المغازي على أن غزوة ذات الرقاع هي غزوة محارب كما جزم به ابن إسحق،

قوله (في غزوة السابعة) هي من إضافة الشيء إلى نفسه على رأي، أو فيه حذف تقديره غزوة السفرة السابعة.

قوله (وقال ابن عباس: ﷺ النبي ﷺ - يعني صلاة الخوف- بذي قرد) بفتح القاف والراء هو موضع على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان.

وقد تقدم حديث ابن عباس في «باب صلاة الخوف»[١]، واستدل به على مشروعية صلاة الخوف في الحضر، وليس كما قال، وصلاة الخوف في الحضر قال بها الشافعي والجمهور إذا حصل الخوف، وعن مالك تختص بالسفر، والحجة للجمهور قوله تعالى {وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة} فلم يقيد ذلك بالسفر، والله أعلم.

قوله (بيننا بعير نعتقبه) أي نركبه عقبة عقبة، وهو أن يركب هذا قليلا ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتى يأتي على سائرهم.

قوله (فنقبت أقدامنا) أي رقت، يقال نقب البعير إذا رق خفه.

قوله (لما كنا) أي من أجل ما فعلناه من ذلك.

قوله (كره ذلك) أي لما خاف من تزكية نفسه.

قوله (كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه) وذلك أن كتمان العمل الصالح أفضل من إظهاره، إلا لمصلحة راجحة كمن يكون ممن يقتدى به.

٤١٢٩ - عَنْ صالح بن خَواتٍ عمن شهدَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ ذاتِ الرِّقاع صلاةَ الخوفِ، أنَّ طائفةً صَفَّتْ معه، وطائفة وُجَاهَ العدوِّ، فصلى بالتي معه ركعةً ثم ثبتَ قائمًا وأتموا لأنفُسهم، ثم انصرَفوا فصفُّوا وُجاهَ العدوِّ وجاءتِ الطائفةُ الأخرى فصلى بهم الركعةَ التي بقيَت من صلاتِه، ثم ثبتَ جالساً وأتموا لأنْفسِهم، ثم سلم بهم».

٤١٣٠ - عَنْ جابرٍ قالَ: «كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ بنخلٍ، فَذكرَ صلاةَ الخوف، قال مالك: وذلك أحسنُ ما سمعتُ في صلاةِ الخوف».

وعن القاسمِ بن محمد «صلَّى النبيُّ ﷺ في غزوة بني أنمارٍ».

٤١٣١ - عَنْ سهلِ بن أبي حَثمةَ قال: «يقومُ الإمام مستقبلَ القبلة وطائفةٌ منهم مَعه، وطائفةٌ من قِبَل العدوِّ وجوهُهم إلى العدوِّ، فيُصلِّي بالذين مَعه ركعةً ثم يقومون فيركعون لأنفسهم ركعة ويسجدونَ سَجدتَين في مكانهم، ثم يَذهَبُ هؤلاء إلى مَقام أولئك فيجيء أولئك فيركعُ بهم ركعةً فله ثنتان، ثم يَركعونَ ويسجدونَ سجدتَين».

عنِ ابنِ عمَرَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «غزوتُ معَ رسولِ الله ﷺ قِبَل نجدٍ فوازيْنَا العدو فصافَفْنَا لهم».

٤١٣٣ - عَنْ سالم بن عبدِ الله بن عمر عن أبيهِ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بإحدَى الطائفتَين، والطائفة الأخرَى مواجهة العدوِّ، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أصحابهم، فجاء أولئك فصلى بهم ركعةً ثم سلم عليهم، ثُمَّ قام هؤلاء فقضَوا ركعتَهم وقام هؤلاء فقضوا ركعتهم».

(١) كتاب صلاة الخوف باب / ٣ ح ٩٤٤ - ١ / ٤٩٣.

قوله (كنا مع النبي ﷺ بنخل فذكر صلاة الخوف) أورده مختصرا معلقا لأن غرضه الإشارة إلى أن روايات جابر متفقة على أن الغزوة التي وقعت فيها صلاة الخوف هي غزوة ذات الرقاع، لكن فيه نظر لأن سياق رواية هشام عن أبي الزبير هذه تدل على أنه حديث آخر في غزوة أخرى، وبيان ذلك أن في هذا الحديث عند الطيالسي وغيره «أن المشركين قالوا: دعوهم فإن لهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم، قال فنزل جبريل فأخبره؛ فصلى بأصحابه العصر، وصفهم صفين» فذكر صفة صلاة الخوف، وهذه القصة إنما هي في غزوة عسفان، وقد أخرج مسلم هذا الحديث.

قوله (وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف) يقتضي أنه سمع في كيفيتها صفات متعددة، وهو كذلك، فقد ورد عن النبي ﷺ في صفة صلاة الخوف كيفيات حملها بعض العلماء على اختلاف الأحوال، وحملها آخرون على التوسع والتخيير، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في «باب صلاة الخوف» وما ذهب إليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي وأحمد وداود على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها أحوط لأمر الحرب مع تجويزهم الكيفية التي في حديث ابن عمر، ونقل عن الشافعي أن الكيفية التي في حديث ابن عمر منسوخة ولم يثبت ذلك عنه، و ظاهر كلام المالكية عدم إجازة الكيفية التي في حديث ابن عمر.

قوله (أن ابن عمر رضي الله عنهما قال، غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فوازينا) بالزاي أي قاتلنا.

٤١٣٤ ـ عن سنانٍ وأبو سلمة أنَّ جابراً أخبر «أنه غزا مع رسولِ الله ﷺ قِبَلَ نجد...».

٤١٣٥ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنهُمَا أخْبَرَهُ «أَنَّهُ غَزَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نجدٍ، فلما قَفلَ رسولُ الله ﷺ قَفلَ معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثيرِ العضاه، فنزلَ رسولُ اللهِ ﷺ وتفرَّقَ الناسُ في العِضاهِ يَستظِلّون بالشجَر، ونزلَ رسولُ اللهِ ﷺ تحت سَمُرةٍ فعلَّقَ بها سيفه، قال جابرٌ: فنمنا نومةً فإذا رسولُ اللهِ ﷺ يَدعونا، فجئناهُ، فإذا عندَهُ أعرابيٌّ جالس، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ هذا اخترَط سيفي وأنا نائم، فاستيقَظتُ وهو في يده صَلتًا، فقال لي: من يَمنعُكَ مني؟ قلتُ: اللهُ، فها هو ذا جالسٌ، ثم لم يُعاقِبْهُ رسولُ اللهِ ﷺ.

٤١٣٦ ـ عَنْ جَابِرٍ قالَ: «كُنَّا معَ النبيِّ ﷺ بذاتِ الرِّقاع، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها للنبيِّ ﷺ، فجاء رجلٌ من المشركينَ وسيفُ النبيِّ ﷺ معلقٌ بالشجرةِ، فاختَرطَهُ فقال له: تخافني؟ فقال له: لا، قال: فمن يَمنعُكَ مني؟ قال: اللهُ، فتهدَّدَه أصحابُ النبيِّ ﷺ وأُقيمتِ الصلاة فصلى بطائفةٍ ركعتَين، ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكان للنبيِّ ﷺ أربعٌ وللقوم ركعتان»، وقال مسدَّدٌ عن أبي عوانة عَنْ أَبي بشر «اسم الرجُلِ

غورَثُ بن الحارثِ، وقاتَلَ فيها محاربَ خَصفَة».

٤١٣٧ ـ عن جابرٍ كُنَّا مع النبيِّ ﷺ بنخل فصلى الخوفَ»، وقال أبو هريرةَ «صليتُ مع النبي ﷺ في غزوة نجدٍ صلاةَ الخوفِ»، وإنما جاء أبو هريرةَ إلى النبيِّ ﷺ أيامَ خيبرَ.

قوله (فأدركتهم القائلة) أي وسط النهار وشدة الحر.

قوله (كثير العضاه) كل شجر يعظم له شوك.

قوله (فنزل[1] رسول الله ﷺ تحت سمرة) أي شجرة كثيرة الورق.

قوله (فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي) هذا السياق يفسر رواية يحيى، فإن فيها «فجاء رجل من المشركين الخ».

قوله «وهو في يده صلتا) أي مجردا عن غمده.

قوله (فقال لي: من يمنعك مني)؟ في رواية يحيى «فقال: تخافني؟ قال: لا، قال: فمن يمنعك مني»؟ وكرر ذلك في رواية أبي اليمان في الجهاد ثلاث مرات، وهو استفهام إنكار، أي لا يمنعك مني أحد، لأن الأعرابي كان قائما والسيف في يده والنبي ﷺ جالسا لا سيف معه، ويؤخذ من مراجعة الأعرابي له في الكلام أن الله سبحانه وتعالى منع نبيه ﷺ منه، وإلا فما أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله، وفي قول النبي ﷺ في جوابه «الله» أي يمنعني منك إشارة إلى ذلك، ولذلك أعادها الأعرابي فلم يزده على ذلك الجواب، وفي ذلك غاية التهكم به وعدم المبالاة به أصلا.

قوله (فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ)، وكأن الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم وعرف أنه حيل بينه وبينه تحقق صدقه وعلم أنه لا يصل إليه فألقى السلاح وأمكن من نفسه، وقد ذكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير، ووقع في رواية ابن إسحق التي أشرت إليها «ثم أسلم بعد»، وفي الحديث فرط شجاعة النبي ﷺ وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال، وفيه جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم، وهذا محله إذا لم يكن هناك ما يخافون منه.

٣٢ ـ باب غزوةِ بني المُصْطَلِق من خُزاعةَ وهي غَزوةُ المريسيع

قال ابنُ إسحاقَ: وذلكَ سنةَ ستٍّ، وقال موسى بنُ عُقبةَ: سنة أربع

وقال النعمانُ بنُ راشد عنِ الزُّهريِّ: كان حديثُ الإفكِ في غزوةِ المُرَيسيع.

٤١٣٨ ـ عنِ ابن مُحيريزٍ أنه قال: «دخلت المسجدَ فرأيتُ أبا سعيدٍ الخُدريَّ فجلست إليه، فسألتهُ عن العزلِ قال أبو سعيد: خَرجنا مَعَ رسولِ الله ﷺ في غزوةِ بني المصْطَلِقِ،

(١) رواية الباب واليونينية "نزل رسول الله ﷺ".

فأصبنا سَبْياً مِن سَبى العرب، فاشتَهَينا النساءَ واشتدَّتْ علينا العُزْبة وأحببنا العَزلَ، فأردنا أن نَعزلَ، وقلنا نَعزلُ ورسولُ اللهِ ﷺ بين أظهُرنا قبل أن نسأله؟ فسألناه عن ذلكَ فقال: مَا عَلَيْكُمْ أنْ لا تفعلوا، مَا مِنْ نَسمَةٍ كائنةٍ إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة».

٤١٣٩ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ غزوةَ نجد، فلما أدركَتْهُ القائلة وهو في وادٍ كثيرِ العِضاهِ فنزل تحت شجرة واستظلَّ بها وعلَّقَ سيفَه، فتفرَّقَ الناس في الشجر يستظلُّون، وَبينا نحنُ كذلك إذ دعانا رسولُ اللهِ ﷺ، فجئنا، فإذا أعرابيٌّ قاعد بين يديه فقال: إنَّ هذا أتاني وأنا نائم، فاخترَطَ سيفي، فاستيقَظْتُ وهو قائمٌ على رأسي مخترطٌ سيفي صلتًا، قال: من يَمنعُكَ مني؟ قلت: الله، فشامَه ثمَّ قعد، فهو هذا، قال ولم يُعاقِبْهُ رسولُ اللهِ ﷺ».

٣٣ ـ باب غزوةِ أنمار

٤١٤٠ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ في غزوةِ أنمارٍ يُصلي على راحلَتِهِ متوجِّهاً قِبَلَ المشرق متطوِّعًا».

(غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي غزوة المريسيع) أما المصطلق وهو لقب بطن من بني خزاعة، وأما المريسيع هو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم.

قوله (وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الإفك في غزوة المريسيع) وبهذا قال ابن إسحق وغير واحد من أهل المغازي أن قصة الإفك كانت في رجوعهم من غزوة المريسيع، وذكر ابن إسحق عن مشايخه عاصم بن عمر بن قتادة وغيره أنه ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار فخرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع قريباً من الساحل، فزاحف الناس واقتتلوا، فهزمهم الله، وقتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم، كذا ذكر ابن إسحق بأسانيد مرسلة، والذي في الصحيح كما تقدم في كتاب العتق من حديث ابن عمر يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم فأوقع بهم ولفظه «أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارّون وأنعامهم تستقي على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم» الحديث، فيحتمل أن يكون حين الإيقاع بهم ثبتوا قليلا، فلما كثر فيهم القتل انهزموا بأن يكون لما دهمهم وهم على الماء ثبتوا وتصافوا ووقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم، وقد ذكر هذه القصة ابن سعد نحو ماذكر ابن إسحق، وأن الحارث كان جمع جموعا وأرسل عينًا تأتيه بخبر المسلمين فظفروا به فقتلوه، فلما بلغه ذلك هلع وتفرق الجمع وانتهى النبي ﷺ إلى الماء وهو المريسيع فصف أصحابه للقتال ورموهم بالنبل ثم حملوا عليهم حملة واحدة فما أفلت منهم إنسان بل قتل منهم عشرة وأسر الباقون رجالا ونساء.

وسيأتي شرحه في كتاب النكاح(١) إن شاء الله تعالى.

٣٤ ـ باب حديث الإفك

والإفك، بمنزلةِ النِّجْس والنَّجَس يقال إفكهم أفكُهم وأفَكهم فمن قال {أفَكَهُم} يقول: صرفهم عن الإيمان وكذبهم، كما قال /٩ الذاريات/: {يُؤْفَكُ عنه من أفِكَ}: يصرف عنه من صرف.

٤١٤١ ـ عن عُروة بن الزُّبير وسعيدِ بن المسيَّبِ وعلقمةَ بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا زوجِ النبيِّ ﷺ حينَ قال لها أهلُ الإفك ما قالوا، وكلهم حدَّثني طائفةً من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبتُ له اقتصاصاً، وقد وعيتُ عن كلِّ رجلٍ منهم الحديثَ الذي حدَّثني عن عائشةَ، وبعضُ حديثهم يصدِّقُ بعضاً، وإن كان بعضهم أوعَى لهُ من بعضٍ، قالوا «قالت عائشة: كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد سَفَراً أقرَع بين أزواجه، فأيتهن خَرجَ سهمُها خرجَ بها رسولُ الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرَعَ بينَنا في غزوةٍ غزاها فخرجَ فيها سهمي، فخرجتُ معَ رسولِ الله ﷺ بعدَما أُنزلَ الحجابُ، فكنتُ أُحملُ في هَودَجي وأُنزلُ فيه، فسِرنا؛ حتى إذا فرغَ رسولُ الله ﷺ من غزوتهِ تلكَ وقفلَ، ودَنَونا منَ المدينة قافلينَ، آذن ليلةً بالرَّحيلِ، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل فمشيتُ حتى جاوَزتُ الجيشَ، فلما قَضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي فلَمستُ صدري فإذا عِقدٌ لي من جَزع ظَفارٍ قد انقطعَ، فرجعت فالتمست عقدى فحبسني ابتغاؤه، قالت وأقبلَ الرهط الذي كانوا يُرحِّلوني فاحتَملوا هَودَجي فرَحَلوه على بعيري الذي كنت أركبُ عليه وهم يَحسبونَ أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يَهْبُلْنَ ولم يَغشَهنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلقةَ من الطعام -فلم يَستنكِر القومُ خِفّةَ الهودج حينَ رفعوه وحملوه، وكنت جاريةً حديثةَ السنِّ، فبعثوا الجملَ فساروا، ووَجدتُ عقدي بعد ما استمرَّ الجيش، فجئتُ منَازِلَهُمْ وليسَ بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيمَّمتُ منزلي الذي كنت به، وظَنَنْت أنهم سيفقدوني فيرجعونَ إليَّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلَبَتْني عيني فنمتُ، وكان صَفوانُ بن المعطَّل السُّلميّ ثم الذَّكوانيّ من وراء الجيش، فأصبحَ عندَ منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فعرفَني حينَ رآني، وكان رآني قبلَ الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعهِ حين عَرفني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، وواللّه ما تكلمنا بكلمة ولا سمعتُ منه كلمةً غير استرجاعه، وهوَى حتى أناخَ راحلتَه، فوطئَ على يدِها، فقمت إليها فركبتُها، فانطلق يَقود بي الراحلةَ حتى أتينا الجيشَ موغِرِين في نحرِ الظَّهيرة وهم نُزول، قالت: فهلكَ من هلكَ، وكان الَّذي تولَّى كِبرَ الإفك عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلول، قال عروة: أُخبرتُ أنه كان يُشاع ويُتحدَّثُ به عندَه فيُقرُّه ويَستمعه ويستوشيه، وقال عروة أيضاً: لم يسمَّ من أهل الإفك أيضاً إلا حسّانُ بن ثابتٍ

(١) كتاب النكاح باب / ٩٦ ح ٥٢١٠ - ٤ / ١١٢.

ومسْطحُ بن أُثاثةَ وحَمنة بنت جَحشٍ في ناسٍ آخَرين لا علم لي بهم، غير أنّهم عُصبةٌ -كما قالَ اللهُ تعالى- وإنّ كِبرَ ذلك يقال عبدُ الله بن أبيّ ابن سَلولَ، قال عروة: كانت عائشة تَكرَه أن يُسَبَّ عندَها حَسانُ وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدَه وعِرضي لِعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

قالت عائشة: فقَدِمنا المدينةَ، فاشتكيتُ حينَ قدِمتُ شهراً، والناسُ يُفيضُون في قولِ أصحابِ الإفك، لا أشعُرُ بشيءٍ من ذلك، وهو يريبني في وَجعي أني لا أعرِفُ من رسولِ الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرَى منه حينَ أشتكي، إنما يَدخُلُ عليّ رسول الله ﷺ فيُسلِّم ثم يقول: كيفَ تيكم؟ ثم ينصرف، فذلكَ يريبني ولا أشعُر بالشرّ، حتى خرَجتُ حين نَقَهت، فخَرجتُ معَ أمّ مِسطحٍ قِبَلَ المَناصِعِ -وكان مُتبرزَنا، وكنّا لا نخرجُ إلا ليلاً إلى ليلَ-وذلكَ قبلَ أنْ نتّخذَ الكُنفَ قريبًا من بيوتِنا قالت وأمرنا أمرُ العربِ الأوَل في البريّةِ قِبَلَ الغائط وكنا نَتأذّى بالكنفِ أن نَتّخذها عندَ بيوتنا، قالت: فانطَلقتُ أنا وأمُّ مِسطحٍ -وهي ابنةُ أبي رُهم بن المطلبِ بن عبدِ مَناف، وأمُّها بنتُ صخرِ بن عامرٍ خالةُ أبي بكر الصدِّيق، وابنها مِسطحُ بن أُثاثةَ بن عبّاد بن المطّلب - فأقبلتُ أنا وأمُّ مِسطح قِبَلَ بيتي حينَ فرغنا من شأننا، فعثَرتْ أمُّ مِسطحٍ في مِرْطِها فقالت تَعسَ مسطحٌ، فقلت لها: بئسَ ما قلتِ، أتسبِّينَ رجلا شهدَ بَدراً؟ فقالت: أي هَنتَاهُ، ولم تسمَعي ما قال؟ قالت: وقلتُ ما قال؟ فأخبرَتْني بقولِ أهل الإفك، قالت: فازدَدتُ مَرضاً على مَرضي، فلما رجَعتُ إلي بيتي دَخَلَ عليّ رسول اللهِ ﷺ، فسلم ثمّ قالَ: كيفَ تيكم؟ فقلتُ له: أتأذنُ لي أن آتي أبَويّ؟ قالت: وأريدُ أن أستَيقنَ الخبرَ من قِبَلِهما، قالت: فأذِنَ لِي رسولُ الله ﷺ، فقلتُ لأمي: يا أمّتاهُ، ماذا يَتحدّثُ الناس؟ قالت يابنية، هَوِّني عليك، فواللهِ لقلما كانَتْ امرأةٌ قَطّ وَضيئةٌ عندَ رجلٍ يحبُّها لها ضَرائرُ إلا أكثرْنَ عليها، قالت فقلت: سُبحانَ الله، أوَ لقد تحدّثَ الناسُ بهذا؟ قالت: فبكيت تلكَ الليلةَ حتى أصبحتُ لا يَرقأُ لي دمْعٌ ولا أكتَحلُ بنوم، ثمّ أصبحتُ أبكي، قالت: ودَعا رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامةَ بن زيدٍ حينَ استَلْبَثَ الوحيُ يسألهما ويَستشيرهما في فِراق أهلِه، قالت: فأما أسامة فأشارَ على رسولِ الله ﷺ بالذي يعلم من براءةِ أهله وبالذي يَعلَم لهم في نفسِه، فقال أسامة: أهلَكَ، ولا نعلمُ إلا خيراً، وأما عليٌّ فقال: يارسولَ الله، لم يُضيِّقِ الله عليك، والنساءُ سواها كثير، وسَلِ الجاريةَ تصدُقْك، قالت: فدعا رسولُ الله ﷺ بَريرةَ فقال: أي بَريرة، هل رأيتِ من شيءٍ يَريبكِ؟ قالت له بريرة: والذي بعثَكَ بالحقّ، ما رأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمِصهُ، غيرَ أنها جاريةٌ حديثةُ السنّ تنامُ عن عَجين أهلِها فتأتي الداجنُ فتأكله.

قالت: فقامَ رسولُ الله ﷺ من يومِه فاستعذَرَ من عبدِ الله بن أبيّ - وهُوَ على المنبر- فقالَ: يا معشرَ المسلمين مَن يَعذِرني من رجلٍ قد بَلَغني عنه أذاهُ في أهلي، واللهِ مَا

علمتُ على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً، وما يَدخلُ على أهلي إلا معي، قالت: فقام سعدُ بن مُعاذٍ -أخو بني عبدِ الأشهل- فقال: أنا يارسولَ الله أعذرك، فإن كان منَ الأوس ضرَبتُ عُنقه، وإن كان من إخواننا منَ الخزرج أمَرتَنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام رجلٌ منَ الخزرجِ - وكانت أمُّ حسّانَ بنتَ عمه من فخذه وهوَ سعدُ بن عُبادةَ وهو سيِّد الخزرج، قالت: وكان قبلَ ذلكَ رجلاً صالحا، ولكن احتمَلَته الحميَّةُ - فقال لسعد: كذَبتَ لعَمرُ الله، لا تقتلهُ ولا تقدرُ على قَتله، ولو كان من رَهطكَ ما أحببتَ أن يُقتَلَ، فقام أُسَيدُ بن حُضير -وهو ابن عم سعد- فقال لسعد بن عُبادةَ: كذبتَ لعمر الله، لنقتلنه، فإنكَ منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، قالت: فثارَ الحيّانِ الأوسُ والخزرجُ - حتى همُّوا أن يَقتتِلوا ورسولُ الله ﷺ قائمٌ على المنبر، قالت: فلم يَزَل رسولُ الله ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكتوا وسكتَ قالت: فبكيتُ يومي ذلكَ كلَّهُ لا يَرقأُ لي دَمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، قالت: وأصبحَ أبَوايَ عندي وقد بَكيتُ ليلتَين ويوماً لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، حتى أني لأظنُّ أن البُكاءَ فالقٌ كبِدي، فبينا أبوايَ جالِسان عندي وأنا أبكي فاستَأذنَتْ عليَّ امرأة منَ الأنصار، فأذنتُ لها فجلسَت تبكي معي، قالتْ: فبينا نحن على ذلكَ دخلَ رسولُ الله ﷺ علينا فسلَّم ثمَّ جلس، قالت: ولم يَجلسْ عندي منذ قيلَ ما قيلَ قَبلَها، ولقد لبث شهراً لا يُوحَى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشَهدَ رسولُ الله ﷺ حينَ جلسَ ثم قال: أما بعدُ يا عائشة إنَّهُ بلغَني عَنْك كذا وكَذا، فإنْ كُنْتِ بريئة فسيُبَرِّئُكِ الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ ثم تابَ تابَ اللهُ عليه، قالت: فلما قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالتَه قَلَصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرة، فقلتُ لأبي: أجِبْ رسولَ الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلتُ لأمي: أجيبي رسولَ الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلتُ -وأنا جاريةٌ حديثةُ السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفسكم وصدقتم به، فَلَئن قلت لكم إني بريئة - لا تُصدِّقونني، ولئنِ أعترف لكم بأمرٍ -والله يعلم أني منه بريئة- لتُصدِّقنني، فو الله لا أجِدُ لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسفَ حين قال: {فصبرٌ جميل، والله المستعانُ على ماتصفون} ثمَّ تحوَّلتُ فاضطجَعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذٍ بريئة، وأنَّ الله مبرِّئي ببراءتي، ولكنْ والله ما كنت أظنُّ أنَّ الله تعالى مُنزلٌ في شأني وحياً يُتلى، لَشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يَرى رسولُ الله ﷺ في النوم رُؤيا يُبرِّؤني الله بها، فوالله مارامَ رسولُ الله ﷺ مجلِسَه ولا خَرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزلَ عَليه، فأخَذَه مَا كَانَ يأخذهُ من البُرَحاءِ، حتى إنه ليتحدَّرُ منهُ العرَق مثلُ الجمان -وهو في يومٍ شاتٍ- من ثِقَلِ القولِ الذي أنزَل عليه، قالت: فسُرِّيَ عن رسولِ الله ﷺ وهو

يضحك، فكانت أوّل كلمةٍ تكلم بها أن قال: يا عائشة، أمّا الله فقد برأك، قالت فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليهِ، فإنّي لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى /١١ النور/: {إن الذين جاءوا بالإفكِ عُصبةٌ منكم...} العشر الآيات، ثم أنزلَ الله تعالى هذا في براءتي، قال أبوبكرٍ الصدّيق -وكان يُنفِق على مِسطحٍ بن أثاثةَ لقرابتهِ منهُ وفقره- : والله لا أنفقُ على مِسطح شيئاً أبداً بعدَ الذي قال لعائشة ما قال، فأنزَلَ الله تعالى [٢٢ النور] {ولا يأتل أولو الفضل منكم -إلى قوله- غفورٌ رحيم} قالَ أبو بكر الصدّيق: بلى والله، إني لأحبُّ أن يغفر الله لِي، فَرَجَعَ إلى مسطحٍ النفقةَ التي كان يُنفِقُ عليه وقال: والله لا أنزعها منهاأبدا، قالتْ عَائِشَةُ: وكانَ رسولُ الله ﷺ سألَ زينبَ بنتَ جحشٍ عن أمري، فقالَ لزينبَ ماذا علمتِ أو رأيت؟ فقالت: يارسولَ اللهِ أحمى سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلا خيراً، قالت عائشة: وهيَ التي كانت تُساميني من أزواج النبيِّ ﷺ فعصمَهَا اللهُ بالورع، قالت: وطَفِقَت أختُها حمنةُ تحاربُ لها، فهلكَتْ فيمن هلك»، قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرَّهْط، ثم قال عروة «قالتْ عَائِشَةُ: والله إنَّ الرجُل الذي قيلَ له ما قيل ليقول: سُبحانَ الله، فَو الذي نَفْسي بيده مَا كشَفَتُ من كَنَفِ أنثى قطّ، قالت: ثمَّ قُتل بعدَ ذلكَ في سبيل الله».

٤١٤٢ - عن الزُّهريِّ قال: قال لي الوليدُ بن عبدِ الملك أبلغَك أنَّ علياً كان فيمن قذفَ عائِشَةَ؟ قلت: لا، ولكن قد أخبرَني رجلان من قومكَ -أبو سلمةَ بن عبد الرحمنِ وأبو بكرِ بن عبدِ الرحمن بن الحارث- أنَّ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا قالتْ لهُمَا: كَانَ عَلِيٌّ مسلماً في شأنها، فراجعوه فلم يرجع وقيل: مسلّماً بلا شك فيه، وعليه كان في أصل العتيقِ كذلك».

٤١٤٣ - عَنْ أمّ رومان وهي أمُّ عائشةَ رضيَ اللهُ عَنهُمَا قالت: «بَينَا أنَا قَاعِدةٌ أنَا وعائِشَة إذ وَلجتِ امرأةٌ من الأنصار فَقَالت: فَعَل الله بفلانٍ وفَعل بفلان، قالتْ أمُّ رومان: وما ذاك، قالت: ابني فيمَنْ حدَّثَ الحديث، قَالَتْ: ومَاذَا؟ قَالَتْ: كَذَا وكَذَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: سَمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ قالَتْ: نَعَمْ، قالتْ: وأبُوبَكْر؟ قالَتْ: نَعَم، فخرَّت مَغشياً عليها، فما أفاقَت إلا وعليها حُمَّى بنافض، فطرَحْتُ عليها ثيابها فغطَّيتها، فجاءَ النبيُّ ﷺ فقال: ما شأن هَذه؟ قُلت: يا رسولَ الله، أخَذَتْهَا الحُمَّى بنافض، قال: فلعَلَّ في حديث تُحدِّثَ بهِ؟ قالت: نَعَمْ، فَقعدَت عائِشَةُ فقالَت: والله لئن حَلفتُ لاتُصدِّقوني، ولئن قُلتُ لا تعذروني مَثَلي ومَثَلكم كيعقوبَ وبنيه، والله المستعانُ على ماتَصِفون، قالت: وانصرَفَ ولم يقل شيئاً، فأنزَل الله عُذرَها، قالت: بحمد الله، لابحمد أحدٍ ولا بحمدك».

٤١٤٤ - عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا «كَانَتْ تَقرأ {إذ تَلَقُونَهُ بألسِنَتِكم} / النور:١٥/ وتقول: الوَلْقُ الكذب، قال ابنُ أبي مُليكةَ: وكانت أعلَم من غيرها بذلك لأنه نزَل فيها».

[الحديث ٤١٤٤طرفه في ٤٧٥٢]

٤١٤٥ ـ عَنْ هشامٍ عن أبيه قال: «ذهبتُ أسبُّ حسّانَ عندَ عائشةَ فقالَتْ: لا تَسُبَّهُ، فإنَّهُ كانَ يُنافِحُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وقالَتْ عائشةُ، استأذنَ النبي ﷺ في هجاءِ المشركين، قالَ: كيف بنسَبي؟ قال: لأسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعْرةُ من العَجين».

عن هشامٍ عنِ أبيهِ قالَ: «سَبَبْتُ حسّان، وكان ممن كثَّرَ عليها...».

٤١٤٦ ـ عَنْ مسروقٍ قال: «دخلنا على عائشةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا، وَعِندها حسّانُ بن ثابتٍ يُنشِدُها شعراً يُشبِّبُ بأبياتٍ له وقال:

حصانٌ رزانٌ ما تزن بريبةٍ وتصبحُ غرثى من لحومِ الغوافلِ

فقالت له عائشة: لكنّك لستَ كذلك، قال مَسروقٌ: فقلتُ لها: لِمَ تأذني له أن يَدخُل عليكِ وقد قال الله تعالى: /١١ النور/: {والَّذي تولى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيم} فقالت: وأيُّ عذابٍ أشدُّ من العَمى، قالت له: إنه كان يُنافِحُ -أو يُهاجي- عن رسولِ الله ﷺ».

[الحديث ٤١٤٦ طرفاه في ٤٧٥٥، ٤٧٥٦]

قوله (كان علي مسلّما في شأنها) كذا في نسخ البخاري بكسر اللام الثقيلة وفي رواية الحموي بفتح اللام، وقد ذكر عياض أن النسفي رواه عن البخاري بلفظ «مسيئا» قال: وكذلك رواه أبو علي بن السكن عن الفربري، وقال الأصيلي بعد أن رواه بلفظ «مسلما» كذا قرأناه والأعرف غيره، وإنما نسبته إلى الإساءة لأنه لم يقل كما قال أسامة «أهلك ولا نعلم إلا خيرا» بل ضيق على بريرة وقال: «لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير» ونحو ذلك من الكلام كما سيأتي بسطه في مكانه، وتوجيه العذر عنه، وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي فظنوا صحتها، حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله تعالى خيرا، وقد جاء عن الزهري أن هشام بن عبد الملك كان يعتقد ذلك أيضا، فأخرج يعقوب بن شيبة في مسنده عن الحسن بن علي الحلواني عن الشافعي قال حدثنا عمي قال: «دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبيّ، قال: كذبت، هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ قال ابن أبيّ، قال: كذبت هو علي، فقال أنا أكذب لا أبالك والله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت».

٣٥ ـ باب غزوة الحُدَيبية

وقولِ الله تعالى /١٨ الفتح/:{لَقَدْ رضيَ اللهُ عَنِ المؤمنين إذ يبايعونكَ تحتَ الشجرة}.

٤١٤٧ ـ عن زيدِ بن خالدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ عَامَ الحديْبيَةِ فأصابنا مطرٌ ذاتَ ليلة فصلّى لنا رسولُ اللهِ ﷺ الصبحَ، ثمَّ أقبلَ علينا فَقَالَ:

أتدرونَ ماذا قال ربُّكم؟ قلنا: اللهُ ورَسُولُهُ أعلم، فقال: قالَ اللهُ أصبحَ من عبادي مؤمنٌ بي وكافر بي فأما من قال مُطرنا برحمةِ اللهِ وبرزقِ اللهِ وبفضل اللهِ فهو مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمنٌ بالكوكب كافرٌ بِي».

٤١٤٨ ـ عَنْ قتادةَ أنَّ أنساً رضيَ اللهُ عَنْهُ أخْبَرَهُ قال: «اعتمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أربعَ عُمَرَ كُلهنَّ في ذي القعدة، إلا التي كانت مع حجته عمرةً من الحديبية في ذي القَعدة، وعمرةً من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرةً من الجِعرانة حيث قسم غنائم حُنَين في ذي القعدة، وعمرة مَعَ حَجَّته».

٤١٤٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أبِي قَتَادَةَ أنَّ أبَاهُ حَدَّثَهُ قال: «انطَلَقْنا مع النبيِّ ﷺ عام الحُدَيْبية، فأحَرَمَ أصحابُه ولم أحرم».

٤١٥٠ ـ عَنْ البراء رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «تُعدُّونَ أنْتُمْ الفتحَ فتحَ مكة، وقد كان فتحُ مَكّةَ فَتْحاً، ونَحْنُ نَعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرِّضوان يومَ الحُدَيبيةَ: كنَّا معَ النبيِّ ﷺ أربعَ عشرةَ مائة، والحديبيةُ بئرٌ، فنزَحناها فلم نتركْ فيها قَطرةً، فبَلَغَ ذلِكَ النبيَّ ﷺ، فأتاهَا فجَلَسَ على شَفِيرها، ثُمَّ دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مَضْمَضَ ودعا، ثم صَبَّهُ فيها، فتركناها غيرَ بعيد، ثم إنها أصدرَتْنا مَاشِئْنَا نَحْنُ وركَابَنا».

٤١٥١ ـ عَنْ أبي إسْحاقَ قالَ أنبَأنَا البَراءُ بن عازبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ يومَ الحُدَيبِيةِ ألفاً وأربعمائةٍ أو أكثرَ، فنزَلوا على بئر فنزحوها، فأتَوا رسولَ اللهِ ﷺ، فأتى البئرَ وقعدَ عَلَى شَفيرها ثم قال ائتوني بدَلْو من مائها، فأتِيَ به، فبصقَ فدَعا، ثم قال دَعوها ساعةً، فأروَوا أنفُسَهم ورِكابهم حتى ارتحلوا».

٤١٥٢ ـ عَنْ جَابِرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «عَطِشَ النَّاسُ يَومَ الحُدَيْبية، و رسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْه ركوةٌ، فتوضَّأ منها، ثمَّ أقبلَ الناسُ نحوهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: مالكم؟ قالوا: يا رسولَ الله، ليس عندَنَا مَاءٌ نَتَوضَّأُ به ولا نشرب إلا ما في ركوَتك، قال فوضعَ النبيُّ ﷺ يَده في الركوةِ، فجعل الماء يفور من بين أصَابعه كَأمْثَالِ العُيون، قالَ فشرِبْنَا وتوضأنا، فقلت لجابرٍ كم كنتم يومئذٍ؟ قال: لو كنَّا مائة ألفٍ لكفانا، كنَّا خمسَ عشرة مائة.

قوله (ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان) يعني قوله تعالى {إنا فتحنا لك فتحا مبينا} وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الايات، فقوله تعالى {إنا فتحنا لك فتحاً مبينا} المراد بالفتح هنا الحديبية لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص

وغيرهما؛ ثم تبعت الأسباب بعضها بعضا إلى أن كمل الفتح، وقد ذكر ابن اسحق في المغازي عن الزهري قال: لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه، إنما كان الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلهم كلم بعضهم بعضا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، قال ابن هشام: ويدل عليه أنه ﷺ خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف انتهى.

وأما قوله تعالى في هذه السورة {وأثابهم فتحاً قريبا} فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين.

وأما قوله تعالى{ إذا جاء نصر الله والفتح} وقوله ﷺ «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد به فتح مكة باتفاق.

قوله (والحديبية بئر) يشير إلى أن المكان المعروف بالحديبية سمي ببئر كانت هنالك، هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك.

قوله (ثم إنها أصدرتنا) أي رجعتنا، يعني أنهم رجعوا عنها وقد رووا.

قوله (ثم فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه) هذا مغاير لحديث البراء أنه صب ماء وضوئه في البئر فكثر الماء في البئر، وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع مرتين، وسيأتي في الأشربة البيان بأن حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك، ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضئوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها.

٤١٥٣ ـ عَنْ قتادَةَ «قلتُ لسعيدِ بنِ المسيَّب: بلغني أن جابرَ بن عبد الله كان يقول: كانوا أربعَ عشرة مائة، فقال لي سعيد: حدَّثَني جَابرٌ كانوا خمسَ عشرةَ مائة الذين بايعوا النبيَّ ﷺ يَومَ الحُدَيْبية».

٤١٥٤ ـ عَنْ جَابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «قالَ لنَا رسولُ اللهِ ﷺ يوم الحُديبية: أنتمْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضِ، وكُنَّا ألفاً وأرْبَعَمائةً، ولَو كُنْتُ أبْصرُ اليومَ لأريتكم مكانَ الشجرة»، تابعهُ الأعمش «سمع سالماً سمع جابراً ألفاً وأربعمائةً».

٤١٥٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي أوفى رضي اللهُ عَنْهُمَا «كَانَ أصْحَابُ الشجرةِ ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثُمنَ المهاجرين».

قوله (قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض) هذا صريح في فضل أصحاب الشجرة، فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما، وعند أحمد

بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري قال: «لما كان بالحديبية قال النبي ﷺ: لا توقدوا نارا بليل، فلما كان بعد ذلك قال: أوقدوا واصطنعوا فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم» وعند مسلم من حديث جابر مرفوعا «لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية» وروى مسلم أيضا من حديث أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة».

قوله (ولو كنت أبصر اليوم) يعني أنه كان عمي في آخر عمره.

٤١٥٦ ـ عن قيسٍ أنه «سمعَ مِرداساً الأسلميَّ يقولُ وكان من أصحاب الشجرة: يُقبَضُ الصالحونَ الأول فالأول، وتبقى حُفالةٌ كحفالةِ التمر والشعير لا يَعْبَأُ اللهُ بهم شيئاً».

[الحديث ٤١٥٦ - طرفه في: ٦٤٣٤]

٤١٥٧، ٤١٥٨ ـ عن الزهري عن عروة عَنْ مروانَ والمِسور بن مخرمةَ قالا: «خرجَ النبيُّ ﷺ عام الحُديبية في بضعَ عشرةَ مائة من أصحابه، فلما كان بذي الحُلَيفةِ قلدَ الهدْيَ وأشعرَ وأحرمَ منها، لا أحصي كم سمعته من سفيانَ، حتى سمعته يقول: لا أحفظ منَ الزُّهريِّ الإشعار والتقليد، فلا أدري يعني موضع الإشعار والتقليد، أو الحديثَ كله».

٤١٥٩ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بنِ أبي لَيْلى «عَنْ كعب بن عُجرة أنَّ رسُولَ الله ﷺ رآهُ وقَملهُ يَسقط على وَجهِهِ فقال: أيؤذيكَ هوامُّك؟ قال: نعم، فأمرهَ رسول الله ﷺ أن يَحلق وهوَ بالحُديبية، لم يُبيِّنْ لهم أنهم يَحِلّون بها وهم على طمَع أن يَدخلوا مَكة، فأنزَلَ الله الفِديةَ، فأمَرهُ رسول الله ﷺ أن يُطعِمَ فَرَقاً بين ستة مَساكِيْنَ، أوْ يُهْدِيَ شَاةً، أو يصومَ ثلاثةَ أيام».

قوله (سمع مرداسا الأسلمي يقول وكان من أصحاب الشجرة: يقبض الصالحون) كذا ذكره عنه موقوفا هنا، وأورده في الرقاق، مرفوعا، ويأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى، والغرض منه بيان أنه كان من أصحاب الشجرة، والحفالة بمعنى الحثالة والمراد بها الرديء من كل شيء.

٤١٦٠، ٤١٦١ ـ عَنْ زَيْدِ بنِ أسلمَ عن أبيهِ قال: «خرجتُ مع عمرَ بنِ الخطاب رضيَ اللهُ عَنْهُ إلى السوقِ، فَلحِقَتْ عمرَ امرأةٌ شابَّة فقالت: يا أميرَ المؤمنين، هلك زوجي وتركَ صِبيَةً صغاراً والله ما يُنضِجون كُراعاً ولا لهم زرعٌ ولا ضَرع وخَشيتُ أن تأكلهم الضَّبُع، وأنا بنت خُفاف بن إيماءَ الغِفاريِّ وقد شهدَ أبي الحدَيبية مع النبيِّ ﷺ، فوقفَ معها عمرُ ولم يَمضِ، ثم قال: مَرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعيرٍ ظهيرٍ كان مربوطاً في الدار فحملَ عليه غرارتين ملأهما طعاماً وحمل بينهما نفقةً وثياباً، ثم ناولها بخِطامه ثُمَّ قالَ اقتاديه، فلن يَفنى حتى يأتيَكم اللهُ بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، قال عمر: ثكِلَتْكَ أمُّك، والله إني لأرى أبا هذهِ وأخاها قد حاصرا حِصناً زماناً فافتتحاهُ، ثمَّ

أصبحنا نَستفِيءُ سهمانَنا فيه».

قوله (كراعا) بضم الكاف هو مادون الكعب من الشاة، قال الخطابي: معناه أنهم لايكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه، ويحتمل أن يكون المراد لاكراع له فينضجونه.

قوله (ليس[1] لهم ضرع) ليس لهم ما يحلبونه، وقوله (ولا زرع) أي ليس لهم نبات.

قوله (وخشيت أن تأكلهم الضبع) أي السنة المجدبة، ومعنى تأكلهم أي تهلكهم.

قوله (ثكلتك أمك) هي كلمة تقولها العرب للإنكار ولا تريد بها حقيقتها.

قوله (نستفيء) أي نسترجع، يقول هذا المال أخذته فيئاً، وقوله «سهماننا» أي أنصباؤنا من الغنيمة،

٤١٦٢ ـ عَنْ سعيدِ بن المسيّب عن أبيهِ قالَ: «لَقَدْ رَأيت الشجرةَ، ثمَّ أنسيتها بعدُ فلم أعرِفْها» قالَ محمود: «ثم أُنسيتها بعد».

[الحديث ٤١٦٢ - أطرافه في: ٤١٦٣، ٤١٦٤، ٤١٦٥]

٤١٦٣ ـ عنْ طارقِ بن عبْدِ الرَّحْمنِ قالَ: «انْطَلقتُ حاجًا فَمررتُ بقومٍ يصلُّون، قلت: ماهذا المسجد؟ قالُوا: هذهِ الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعةَ الرِّضوان.

فأتيت سعيد بن المسيَّب فأخبرته، فقال سعيدٌ: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرَةِ، قالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا منَ العام المقبل َنسِيناها فلم نقدر عليها، فقال َسعيد: إن أصحاب محمدٍ ﷺ لَمْ يَعلموها، وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم!».

٤١٦٤ ـ عَنْ سَعيدِ بنِ المسيَّب عن أبيهِ أنه كانَ ممن بايع تحت الشجرة، فرجَعنا إليها العام المقبل فَعميَت علينا».

٤١٦٥ ـ عَنْ طَارقٍ قالَ: «ذُكرتْ عند سعيد بن المسيَّب الشجرةُ فضَحِك فقال: أخبرني أبي وكان شَهِدها...».

قوله (لقد رأيت الشجرة) أي التي كانت بيعة الرضوان تحتها.

قوله (فقال سعيد) أي ابن المسيب «إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم) قال سعيد هذا الكلام منكرا، وقوله «فأنتم أعلم» هو على سبيل التهكم،

قوله (فعميت علينا) أي أبهمت.

قوله (ذكرت عند سعيد بن المسيب الشجرة فضحك فقال: أخبرني أبي وكان شهدها) زاد الإسماعيلي أنهم أتوها من العام القابل فأنسيناها» وقد قدمت الحكمة في إخفائها عنهم في «باب البيعة على الحرب» من كتاب الجهاد[2] عند الكلام على حديث ابن عمر في معنى

(١) رواية الباب واليونينية ولا لهم ضرع...
(٢) كتاب الجهاد باب / ١١٠ ح ٢٩٥٨ - ٢ / ٦١٤.

ذلك، لكن إنكار سعيد بن المسيب على من زعم أنه عرفها معتمدا على قول أبيه إنهم لم يعرفوها في العالم المقبل لايدل على رفع معرفتها أصلا، فقد وقع عند المصنف من حديث جابر الذي قبل هذا «لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة» هذا يدل على أنه كان يضبط مكانها بعينه، ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أنَّ عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت.

٤١٦٦ - عَنْ عَمْرِو بن مُرَّةَ قال: سمعت عبدَ الله بن أبي أوفى وكانَ من أصحاب الشجرةِ قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا أتَاهُ قومٌ بصدقةٍ قال: اللهمَّ صلِّ عَلَيْهِمْ، فَأَتَاهُ أبي بصدقَتِهِ فقالَ: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى آل أبي أوفى».

٤١٦٧ - عَنْ عبَّادِ بن تميم قال: «لما كان يومُ الْحَرَّةِ -والنَّاسُ يبايِعُونَ لِعَبْدِ اللَّه بن حنظلةَ- فقال ابنُ زيدٍ: على ما يبايُع ابنُ حَنظلةَ الناسَ؟ قيل له: على الموت، قال: لا أبايع عَلَى ذلِكَ أحداً بَعْدَ رسول اللَّهِ ﷺ، وكَانَ شهد معهُ الْحُديبية».

قوله (لما كان يوم الحرة) أي لماخلع أهل المدينة بيعة يزيد بن معاوية وبايعوا عبد الله بن حنظلة أي ابن أبي عامر الانصاري.

قوله (لا أبايع على ذلك أحدا بعد رسول الله ﷺ فيه إشعار بأنه بايع النبي ﷺ على الموت «وقد تقدم شرح ذلك مستوفى في «باب البيعة على الحرب» من كتاب الجهاد[(١)].

٤١٦٨ - عَنْ إياسِ بن سلمةَ بن الأكوع قال: حدَّثني أبي وكان من أصحاب الشجرة قال: «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النبيِّ ﷺ الجمعة ثم ننصرفُ وليس للحيطان ظلٌّ نستَظِلُّ فيه».

٤١٦٩ - عَنْ يزيدَ بن أبي عُبَيدٍ قال: «قلتُ لسَلَمةَ بن الأكْوَعِ: على أيِّ شيءٍ بايعتُمْ رسولَ الله ﷺ يومَ الْحدَيبيةِ؟ قال: على الموت».

٤١٧٠ - عَنْ العَلاء بن المسيَّب عن أبيهِ قالَ: «لقيت البراء بن عازب رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقلت: طوبى لك، صحبت النبيَّ ﷺ وبايعته تحتَ الشجرة، فقال: يا ابن أخي، أنت لا تَدْرِي مَا أحْدَثْنَا بَعْدَهُ».

٤١٧١ - عَنْ أبي قِلابَةَ «أن ثابتَ بن الضحَّاك أخبرَهُ أنه بايع النبيَّ ﷺ تحتَ الشجرة».

قوله (ثم ننصرف وليس للحيطان ظل نستظل فيه) استدل به لمن يقول بأن صلاة الجمعة تجزئ قبل الزوال، لأن الشمس إذا زالت ظهرت الظلال، وأجيب بأن النفي إنما تسلط على وجود ظل يستظل به لا على وجود الظل مطلقا، والظل الذي يستظل به لا يتهيأ إلا بعد الزوال بمقدار يختلف في الشتاء والصيف، وقد تقدم بسط هذه المسألة ونقل الخلاف فيها في كتاب الجمعة.

---

(١) كتاب الجهاد باب / ١١٠ ح ٢٩٥٩ - ١ / ٦١٤

قوله (طوبى لك صحبت النبي ﷺ) غبطة التابعي بصحبة رسول الله ﷺ، وهو مما يغبط به، لكن سلك الصحابي مسلك التواضع في جوابه، وطوبى في الأصل شجرة في الجنة تقدم تفسيرها في صفة الجنة في بدء الخلق، وتطلق ويراد بها الخير أو الجنة أو أقصى الأمنية، وقيل هي من الطيب أي طاب عيشكم.

قوله (إنك لا تدري ما أحدثناه[١] بعده) يشير إلى ما وقع لهم من الحروب وغيرها فخاف غائلة ذلك، وذلك من كمال فضله.

٤١٧٢ ـ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مبينا} قال: الحدَيبية، قال أصحابه: هَنيئاً مَرِيئاً، فما لنا؟ فأنزلَ اللَّهُ {لِيُدخلَ المؤمنينَ والمؤمناتِ جَنات تجري من تحتِها الأنهار}، قال شعبةُ: فقَدِمتُ الكوفة فحدَّثتُ بهذا كله عن قتادة، ثُمَّ رجَعَتْ فذكَرْتُ لهُ، فقَالَ: أمَّا {إِنَّا فَتَحْنَا لكَ} فعن أنس، وأمَّا «هَنِيئاً مَرِيئاً» فعن عِكرمة.

[الحديث ٤١٧٢- طرفه في: ٤٨٣٤]

٤١٧٣ ـ عَنْ مَجْزَأَةَ بن زاهر الأَسْلَميِّ عَنْ أَبِيهِ - وكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الشَّجَرَة - قالَ: «إِنِّي لأوقد تَحْتَ القِدْرِ بلحوم الحُمر، إذ نادَى مُنادِي رسولِ اللهِ ﷺ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يَنهاكم عن لحومِ الحمر».

٤١٧٤ ـ وَعَنْ مَجْزَأَةَ عن رجل منهم من أصحابِ الشجرةِ اسمهُ أهبانُ بن أوسٍ، وكان اشتكى ركبَته، وكانَ إذَا سَجَدَ جَعَلَ تَحْتَ ركبتهِ وسادة».

٤١٧٥ ـ عَنْ سُوَيد بن النُّعمان وكان من أصحابِ الشجرة قال: «كان رسولُ الله ﷺ وأصحابه أُتُوا بسَويقٍ فلاكوه».

٤١٧٦ ـ عَنْ أَبِي جَمرةَ قال: «سألت عائذَ بن عمروٍ رضيَ الله عَنْهُ وكانَ من أصحاب النبيِّ ﷺ من أصحاب الشجرة: هل يُنقَض الوترُ؟ قال: إذا أوترتَ من أوَّله فلا توتِر من آخرِه».

قوله (هل ينقض الوتر) يعني إذا أوتر المرء ثم نام وأراد أن يتطوع هل يصلي ركعة ليصير الوتر شفعا ثم يتطوع ما شاء ثم يوتر محافظة على قوله «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا» أو يصلي تطوعا ما شاء ولا ينقض وتره ويكتفي بالذي تقدم؟ فأجاب باختيار الصفة الثانية فقال: (اذا أوترت من أوله فلا توتر من آخره)، وهذه المسألة اختلف فيها السلف فكان ابن عمر ممن يرى نقض الوتر، والصحيح عند الشافعية أنه لا ينقض كما في حديث الباب، وهو قول المالكية.

٤١٧٧ ـ عَنْ زَيْدِ بن أسلم عَنْ أبيه «أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ يسيرُ في بعض أسفارهِ

(١) رواية الباب "ما أحدثنا" بدون الهاء.

-وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا- فسألهُ عمر بن الخطاب عَنْ شيء فلم يُجبه رسولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ سألَهُ فَلَمْ يُجبه، وقالَ عمر بن الخطاب ثَكِلَتْكَ أُمُّك يا عمر، نَزَرتَ رسول الله ﷺ ثلاثَ مراتٍ كل ذلكَ لا يجيبك، قال عمرُ: فحركت بعيري ثمَّ تقدَّمتُ أمامَ المسلمين، وخَشيتُ أن ينزل فيَّ قرآن، فما نَشِبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخُ بي، قال فقلت: لقد خَشيت أن يكونَ نزل فيَّ قرآن، وجئت رسولَ الله ﷺ فسلمت عليه، فقالَ: لَقَدْ أنزلَتْ عليَّ الليلة سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ مما طَلَعتَ عليه الشمس، ثم قرأ {إنَّا فَتَحنا لك فتحاً مبينا}

[الحديث ٤١٧٧ -طرفاه في: ٤٨٣٣، ٥٠١٢]

سيأتي شرح المتن في تفسير سورة الفتح[١] إن شاء الله تعالى.

قوله (نزرت) اي ألححت.

٤١٧٨، ٤١٧٩ ـ عَنِ المِسوَر بن مَخرمةَ ومروان بن الحكم -يزيد أحدهما على صاحبه- قالا: «خرجَ النبيُّ ﷺ عام الحدَيبية في بضعِ عشرةَ مائة من أصحابهِ، فلما أتى ذا الحُليفةِ قلد الهدي وأشعرَه، وأحرَمَ منها بعمرةٍ، وبَعث عيناً لهُ من خُزاعةَ، وسار النبيُّ ﷺ حتَّى كانَ بغَدير الأشطاط أتاهُ عينهُ قال: إن قريشًا جمعوا لك جموعاً، وقد جَمعوا لكَ الأحابيشَ، وهم مُقاتلوك وصادُّوك عن البيتِ ومانعوك، فقال: أشيروا أيُّها الناس عليَّ أترَونَ أن أميلَ إلى عيالهم وذراريِّ هؤلاء الذين يريدونَ أن يَصدُّونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عزوجل قد قطعَ عيناً من المشركين، وإلا تركناهُمْ مَحروبين، قال أبو بكر: يا رسول الله خرجتَ عامداً لهذا البيت لا تريدُ قتل أحدٍ ولا حربَ أحدٍ، فتوجهْ له، فمن صدَّنا عنه قاتلناه، قال: امْضوا على اسم الله».

٤١٨٠، ٤١٨١ ـ عن عروة بن الزبير أنه سمع مَروانَ بن الحكم والمِسْوَر بن مَخرمةَ يُخبران خبراً من خبرِ رسولِ الله ﷺ في عمرةِ الحُديبية، فكان فيما أخبرَني عروةُ عنهما أنه «لما كاتبَ رسولُ الله ﷺ سُهيلَ بن عمروٍ يومَ الحُديبية على قَضيةِ المدَّة وكان فيما اشترطَ سُهيل بن عمروٍ أنه قالَ: لا يأتيكَ منَّا أحدٌ وإن كان على دينكَ إلا رَدَدْتَهُ إلينا وخَلَّيتَ بينَنا وبينَه، وأبى سُهيل أن يُقاضيَ رسولَ الله ﷺ إلا عَلى ذلِكَ، فكَرِهَ المؤمنون ذلك وامَّعضوا فتكلموا فيه، فلمَّا أبى سُهيل أن يقاضيَ رسولَ اللهِ ﷺ إلا عَلى ذلكَ كاتبَهُ رسولُ الله ﷺ، فردَّ رسولُ الله ﷺ أبا جَندلَ بن سُهيلٍ يومئذٍ إلى أبيهِ سهيلِ بن عمروٍ، ولم يأت رسولَ اللهِ ﷺ أحدٌ من الرِّجال إلا ردَّهُ في تلك المدَّة وإن كان مسلماً، وجاءَتِ المؤمناتُ مُهاجِراتٍ، فكانت أمُّ كلثومٍ بنتُ عُقبة بن أبي مُعَيط ممن خَرَجَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وَهِيَ عاتق، فجاءَ أهلُها يَسألون رسولَ الله ﷺ أن يَرجَعَها إليهم، حتَّى أنزل الله تعالى

---

(١) كتاب التفسير "الفتح" باب / ١ ح ٤٨٣٣ - ٣ / ٦٨٥.

في المؤمنات ما أنزل».

قوله (وامَّعضوا) وفي رواية الكشميهني «وامتعضوا» والمعنى شق عليهم.

قوله (ولم يأت رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا رده) أي إلى المشركين في تلك المدة وإن كان مسلما.

قوله (فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ) أي من مكة إلى المدينة مهاجرة مسلمة، فقوله «وهي عاتق» أي بلغت واستحقت التزويج ولم تدخل في السن، وقيل هي الشابة، وقيل فوق المعصر، وقيل استحقت التخدير، وقيل بين البالغ والعانس، وتقدم بسط ذلك في كتاب العيدين(١).

قوله (حتى أنزل الله في المؤمنات ما أنزل) أي من استثنائهن من مقتضى الصلح على رد من جاء منهم مسلما، وسيأتي بيان ذلك مشروحا في أواخر كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

٤١٨٢ - عن عروة بن الزبير أن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النبيِّ ﷺ قالت: «إن رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَمتحنُ من هاجرَ من المؤمناتِ بهذه الآية {يا أَيُّها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمنات يُبايعنكَ} /١٢ الممتحنة/، وعن عمهِ قالَ: «بَلَغَنا حين أمر الله رسولَهُ ﷺ أن يَرُدَّ إلى المشركينَ ما أنفقوا على من هاجرَ من أزواجهم، وبَلَغَنا أنَّ أبَا بَصيرٍ ... فذكرهُ بطولهِ».

٤١٨٣ - عَنْ نافعٍ أن عَبْدَ اللهِ بنِ عمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا خرَجَ مُعتمراً في الفتنة فقال: إن صُددتُ عنِ البيت صَنعنا كما صَنَعنا مع رسولِ اللهِ ﷺ، فأهلَّ بعُمرةٍ من أجل أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ أهلَّ بعُمرة عامَ الحُديبيةِ».

٤١٨٤ - عَنِ ابنِ عمرَ أنه أهلَّ وقال: إن حِيلَ بيني وبينه فعلت كما فعلَ النبيُّ ﷺ حين حالَتْ كفّارُ قريشٍ بينَه، وتلا /٢١ الأحزاب/ {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رسولِ اللهِ ﷺ أسوةٌ حسنة}.

٤١٨٥ - عَنْ نَافعٍ «أنَّ بعض بني عبد اللهِ قال له: لو أقمتَ العامَ، فإني أخافُ أن لا تَصِلَ إلى البيت، قالَ: خرَجْنا معَ النبيِّ ﷺ، فحال كفّار قريشٍ دُونَ البيت، فنحر النبيُّ ﷺ هَداياه وحَلَقَ وقَصَّرَ أصحابه وقال: أشهِدكم أني أوجَبْتُ عمرةً فإن خُلِّيَ بيني وبينَ البيت طُفتُ، وإن حِيلَ بيني وبينَ البيت صَنَعتُ كمَا صَنَعَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَسَارَ سَاعةً ثم قالَ: ما أرى شأنَهما إلاّ واحداً، أشهِدكم أني قد أوجَبت حَجةً مع عمرتي، فطاف طوافاً واحداً وسَعياً واحدا حتى حلَّ منهما جميعًا».

(١) كتاب العيدين باب / ٢١ ح ٩٨١ - ١ / ٥١٣

٤١٨٦ - عَنْ نَافعٍ قالَ: «إنَّ الناسَ يتحدَّثون أنَّ ابنَ عمر أسلم قبلَ عمر، ولَيْسَ كذلكَ، ولكنْ عمرُ يومَ الْحُدَيبية أرسل عبد الله إلى فرسٍ لهُ عند رجلٍ من الأنصار يأتي بهِ ليقاتل عَليه -ورَسولُ الله ﷺ يُبايعُ عندَ الشجرةِ، وعمرُ لا يدري بذلك- فبايَعَهُ عبدُ اللهِ، ثُمَّ ذهب إلى الفَرسَ فجاء به إلى عمرَ وعمرُ يَسْتَلئِمُ للقتال، فأخبرَهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ يُبايع تحتَ الشجرة قال فانطلق فذهب معه حتَّى بايع رسولَ الله ﷺ، فهيَ التي يتحدَّثُ الناسُ أن ابنَ عمر أسلم قبلَ عمَر».

٤١٨٧ - عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا «أنَّ الناسَ كانوا معَ النبيِّ يومَ الْحديبيةِ تَفرَّقوا في ظِلالِ الشجر، فإذا الناس مُحدقونَ بالنبيِّ ﷺ فقال ياعبدَ الله، انظرْ ماشأن الناس قد أحدَقوا برسولِ اللهِ (ﷺ) فوَجَدَهمْ يُبايعونَ فبايَعَ ثم رجَعَ إلي عمرَ فخرج فبايع»

قوله (وعمر يستلئم للقتال) أي يلبس اللأمة بالهمز وهي السلاح.

قوله (فاذا الناس محدقون بالنبي ﷺ) أي محيطون به ناظرون إليه بأحداقهم.

قوله (فقال: يا عبد الله) القائل يا عبد الله هو عمر.

٤١٨٨ - عن عَبْدِ اللهِ بن أبِي أوفَى رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «كُنَّا معَ النبيِّ ﷺ حِينَ اعتمر فطافَ فطفنا معه، وصلَّى وصلَّيْنا مَعَهُ، وسَعَى بَيْنَ الصفا والمروة، فكُنَّا نستره من أهل مكةَ لا يصيبه أحد بشيء».

٤١٨٩ - عن أبي حَصينٍ قال: قال أبو وائلٍ: «لما قَدِمَ سهلُ بن حُنَيف من صِفِّين أتَيناهُ نَستخبِرُه فقال: اتهِموا الرأيَ، فلقد رأيتُني يوم أبي جَندل ولو أستطيع أن أرُدَّ على رسولِ الله ﷺ أمرَه لردَدت، والله ورسولهُ أعلم، وما وَضَعنا أسيافنا على عواتقنا لأمرٍ يُفظِعُنا إلاَّ أسهلْنَ بنا إلى أمرٍ نَعرِفه، قبل هذا الأمر: ما نَسُدُّ منها خُصْمًا إلا تَفَجَّر علينا خُصمٌ ماندري كيف نأتي له».

٤١٩٠ - عنِ كعب بنِ عجرةَ رضيَ الله عنهُ قالَ: «أتى عليَّ النبيُّ ﷺ زمنَ الحدَيبيةِ والقملُ يَتَناثرُ على وجهي فقال: أيؤذيكَ هوامُّ رأسِك؟ قلت: نعم، قال فاحلِق وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مَساكينَ، أوِ انسُكْ نسيكةً، قال أيوب: لا أدري بأيِّ هذا بدأ».

٤١٩١ - عَنْ كعبِ بن عجرةَ قال: «كنَّا مع رسولِ الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون، وقد حَصرَنا المشركون، قال: وكانت لي وفرة فجعَلَتِ الهوامُّ تسَّاقط على وجهي، فمر بي النبيُّ ﷺ فقالَ: أيؤذِيكَ هوامُّ رأسِك؟ قلت: نعم، وأنزلَتْ هذهِ الآية /١٩٦ البقرة/: {فمن كانَ منكم مريضاً أو بهِ أذىً من رأسهِ ففدْيَةٌ من صيامٍ أو صدَقَة أو نسُك}.

قوله (لا يصيبه أحد بشيء) أي لئلا يصيبه، وهذا كان في عمرة القضاء وقد تقدم أن عبد الله بن أبي أوفى كان ممن بايع تحت الشجرة وهو في عمرة الحديبية، وكل من شهد

الحديبية وعاش إلى السنة المقبلة خرج مع النبي ﷺ معتمرا في عمرة القضاء، وقد تقدم هذا الحديث في آخر الجهاد.

٣٦ ـ باب قصة عُكلٍ وعُرَينة

٤١٩٢ ـ عن قتادةَ أنَّ أنساً رضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدَّثهم أنَّ ناساً من عُكلٍ وعُرَينةَ قَدِموا المدينةَ على النبيِّ ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبيَّ الله إنّا كنّا أهلَ ضَرْعٍ ولم نكن أهلَ رِيف، واستوخَموا المدينةَ، فأمرَ لهم رسول الله ﷺ بذَودٍ وراعٍ، وأمرَهم أن يَخرُجوا فيه فيشربُوا من ألبانها وأبوالها، فانطلَقوا، حتّى إذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الحَرَّةِ كفروا بعدَ إسلامهم، وقتلوا راعيَ النبيِّ، واستاقوا الذَّودَ، فبلغَ النبيَّ ﷺ فَبعَثَ الطلبَ في آثارهم، فأمرَ بهم فسمَروا أعيُنَهم وقَطعوا أيديَهم، وتُركوا في ناحية الحرَّةِ حتى ماتوا على حالهم».

قال قَتادة: «بَلغَنا أن النبيَّ ﷺ بعدَ ذلك كان يَحُثُّ على الصدَقةِ وينهى عنِ المُثْلةِ».

٤١٩٣ ـ عن أبي رجاء مولى أبي قِلابة أن عمر بن عبدِ العزيز استشارَ الناس يوماً قال: ماتقولون في هذه القسامةِ؟ فقالوا: حقٌّ، قضى بها رسول الله ﷺ، وقضت بها الخلفاء قبلك، قال: وأبو قِلابة خلفَ سريرِه: فقال عنبسة بن سعيدٍ: فأينَ حديث أنسٍ في العُرنيين؟ قال أبو قلابة: إيّاي حدثه أنس بن مالكٍ».

قوله [(١)]وبلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة).

سيأتي شرح المثلة في الذبائح[(٢)]إن شاء الله تعالى.

٣٧ ـ باب غزوةُ ذات القَرَد

وهي الغزوةُ التي أغاروا على لِقاحِ النبيِّ ﷺ قبلَ خَيبر بثلاث

٤١٩٤ ـ عن سلمةَ بن الأكوعِ يقول «خَرجتُ قبل أن يُؤَذَّنَ بالأولى، وكانت لِقاحُ رسول الله ﷺ تَرعى بذي قَرد، قال: فلقِيَني غلامٌ لعبدِ الرحمن بن عوفٍ فقال: أخذَت لِقاحُ رسول الله ﷺ، قلتُ: من أخذها؟ قال: غطفَان، قال فصرختُ ثلاثَ صرخاتٍ: يَا صبَاحاه، قال فأسمعتُ ما بين لابتيِ المدنية، ثم اندفَعتُ على وَجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يَستقونَ من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي - وكنتُ رامياً - وأقول: أنا ابن الأكوع، اليومَ يومُ الرُّضَّع، وأرتجز حتى استنقذت اللّقاح منهم، واستَلَبْت منهم ثلاثين بُردةً، قال: وجاء النبيَّ ﷺ والناسُ، فقلت: يا نبيَّ اللّه، قد حَميتُ القومَ الماء وهم عطاش، فابعث اليهمُ الساعة، فقال: يا ابن الأكوع، مَلكتَ فأسْجِحْ، قال: ثم رجَعنا، ويُردِفني رسولُ الله ﷺ على ناقتهِ حتى دخَلنا المدينة».

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون حرف العطف.
(٢) كتاب الذبائح باب / ٢٥ ح ٥٥١٥ - ٤ / ٢٥٣

قال القرطبي شارح مسلم في الكلام على حديث سلمة بن الأكوع: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية، فيكون ماوقع في حديث سلمة من وهم بعض الرواة، قال: ويحتمل أن يجمع بأن يقال: يحتمل أن يكون النبي ﷺ كان أغزى سرية فيهم سلمة بن الأكوع الى خيبر قبل فتحها، فأخبر سلمة عن نفسه وعمن خرج معه يعني حيث قال: «خرجنا إلى خيبر» قال: ويؤيده أن ابن إسحق ذكر أن النبي ﷺ أغزى إليها عبد الله بن رواحة قبل فتحها مرتين انتهى، وسياق الحديث يأبى هذا الجمع، فإن فيه بعد قوله «حين خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، فجعل عمر يرتجز بالقول» وفيه قول النبي ﷺ «من السائق» وفيه مبارزة علي لمرحب وقتل عامر وغير ذلك مما وقع في غزوة خيبر حين خرج إليها النبي ﷺ، فعلى هذا ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أهل السير.

قوله (وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد) اللقاح ذوات الدر من الإبل واللقوح الحلوب، وذكر ابن سعد أنها كانت عشرين لقحة، قال: وكان فيهم ابن أبي ذر و امرأته فأغار المشركون عليهم فقتلوا الرجل وأسروا المرأة.

قوله (فأسمعت ما بين لابتي المدينة) فيه إشعار بأنه كان واسع الصوت جدا، ويحتمل ان يكون ذلك من خوارق العادات، ولمسلم «فعلوت أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثا» وللطبراني «فصعدت في سلع ثم صحت: يا صباحاه، فانتهى صياحي إلى النبي ﷺ، فنودي في الناس الفزع الفزع»، وهو عند إسحق بمعناه،

قوله (يا صباحاه[١]) هي كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه،

قوله (ثم اندفعت على وجهي) أي لم ألتفت يمينا ولا شمالا بل أسرعت الجري، وكان شديد العدو كما سيأتي بيانه في آخر الحديث.

قوله (وأقول: أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع) جمع راضع وهو اللئيم، فمعناه اليوم يوم اللئام اي اليوم يوم هلاك اللئام، والأصل فيه أن شخصا كان شديد البخل، فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لئلا يحلبها فيسمع جيرانه أو من يمر به صوت الحلب فيطلبون منه اللبن.

قوله (وجاء النبي ﷺ والناس) في رواية مسلم «وأتاني عمي عامر بن الأكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة فيها لبن، فتوضأت وشربت» ثم أتيت النبي ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه، فإذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته منهم، ونحر له بلال ناقته.

قوله (قد حميت القوم الماء) أي منعتهم من الشرب.

---

(١) في الباب واليونينة ... "ياصباحاه" مصدقه على "فأسمعت".

قوله (فابعث إليهم الساعة) في رواية مسلم «فقلت يا رسول الله خلني أنتخب من القوم مائة رجل فأتبعهم فلا يبقي منهم مخبر، قال: فضحك» وعند ابن إسحق «فقلت: يارسول الله لو سرحتني في مائة رجل لأخذت بأعناق القوم».

قوله (فقال يا ابن الأكوع ملكت فأسجح) والمعنى قدرت فاعف، والسجاحة السهولة.

قوله (ثم رجعنا) إلى المدينة (ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة) في رواية مسلم «ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء» وذكر قصة الأنصاري الذي سابقه فسبقه سلمة، قال: «فسبقت إلى المدينة، فو الله مالبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر -وفيه- فقال رسول الله ﷺ: خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا اليوم سلمة، قال سلمة ثم أعطاني سهم الراجل والفارس جميعا».

وفي الحديث جواز العدو الشديد في الغزو، والإنذار بالصياح العالي، وتعريف الإنسان نفسه إذا كان شجاعا ليرعب خصمه، واستحباب الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليستزيد من ذلك ومحله حيث يؤمن الافتتان، وفيه المسابقة على الأقدام ولا خلاف في جوازه بغير عوض، وأما بالعوض فالصحيح لا يصح، والله أعلم.

٣٨ ـ باب غزوةِ خَيبرَ

٤١٩٥ ـ عن بُشيرِ بن يَسارٍ أنَّ سُوَيدَ بن النعمان أخبرَه [(١)] «أنه خرجَ مع النبيِّ ﷺ عام خَيبرَ حتى إذا كنّا بالصَّهْباء -وهي من أدنى خيبَرَ- صلّى العصرَ، ثم دَعا بالأزوادِ فلم يُؤتَ إلاّ بالسَّويق، فأمرَ به فثُرِّي، فأكلَ وأكلنا، ثُمَّ قام إلى المغربِ فمضمضَ ومضمَضْنا ثمَّ صلّى ولم يَتوضّأ».

٤١٩٦ ـ عن سلمةَ بن الأكوع رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «خَرجنا معَ النَّبيِّ ﷺ إلى خيبرَ، فسِرنا ليلا، فقال رجلٌ من القوم لعامرٍ: ياعامر ألا تُسمِعُنا من هُنَيهاتِك؟ وكان عامرٌ رجلا شاعراً، فنزَلَ يَحدو بالقَوم يقول:

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتَدينا ... ولا تَصدَّقنا ولا صلَّينـــا

فاغفِر فِداءً لك ما اتقينـــا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينـــا

وَألقيَنْ سَــكينةً علينـــا ... إنّا إذا صيحَ بنا أبَيْنَــا

(١) رواية الباب واليونينية بدون حرف العطف.

وبالصيَّاحِ عوَّلوا علينـــا

فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: مَن هذا السائق؟ قالوا: عامرُ بن الأكْوع، قال: يَرحمهُ اللّه، قال رجلٌ من القوم: وَجَبَت يا نبيَّ اللّه، لولا أمتعْتَنا به، فأتينا خيبرَ فحاصرناهم، حتى أصابتنا مَخْمصةٌ شديدة، ثم إنَّ اللّهَ تعالى فتحها عليهم، فلما أمسى الناسُ مساء اليوم الذي فُتِحتْ عليهم أوقدوا نِيراناً كثيرة، فقال النبيُّ ﷺ: ما هذهِ النيرانُ؟ على أيِّ شيء تُوقِدون؟ قالوا: على لحم، قال: على أيِّ لحم؟ قالوا: لحمُ حُمُر الإنسيةِ، قال النبيُّ ﷺ: اهريقوها واكسروها، فقال رجلٌ يا رسولَ اللّه، أو نهرِيقها ونغسلها، قال: أوذاك، فلمَّا تَصافَّ القومُ كان سيفُ عامرٍ قَصيراً، فتناوَل به ساقَ يهوديٍّ ليضربَه، ويرجعُ ذبابُ سَيفِه فأصابَ عَيْنَ رُكبة عامر فمات منه، قال: فلما قفلوا قال سلمةُ: رآني رسولُ اللّه ﷺ وهوَ آخذَ بيدي، قال: مالكَ؟ قلتُ له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حَبِط عمله، قال النبيُّ ﷺ: كذَب من قاله، إنَّ لهُ لأجرَين -وجمع بي إصبعيهِ- إنه لجاهدٌ مجاهد، قلَّ عربيٌّ مشى بها مثله»، حدَّثنا قتيبة حدثنا حاتم قال: «نَشأ بها».

قوله (باب غزوة خيبر) وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

قال ابن إسحق: خرج النبي ﷺ في بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها في صفر، وروى يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحق في حديث المسور ومروان قالا: انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله فيها خيبر بقوله {وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه} يعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

قوله (من هنيهاتك) والهنيهات جمع هنيهة وهي تصغير هنة[١].

قوله (وكان عامر رجلا شاعرا) قيل هذا يدل على أن الرجز من أقسام الشعر، لأن الذي قاله عامر حينئذ من الرجز، وسيأتي بسط ذلك في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى.

قوله (اللهم لولا أنت ما اهتدينا) وقد تقدم في الجهاد[٢] من حديث البراء بن عازب وأنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا منه،

(١) الهنة: مؤنث الهن والجمع هنات وهنوات، وفي الحديث: "ستكون هنات وهنات" : أي شرور وفساد.
(٢) كتاب الجهاد باب / ١٦١ ح ٣٠٣٤ - ٢ / ٦٤٥.

بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، أو استعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة.

قوله (فاغفر فداء لك ما اتقينا) وقد استشكل هذا الكلام لأنه لا يقال في حق الله، إذ معنى فداء لك نفديك بأنفسنا وحذف متعلق الفداء للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء، وأجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يراد بها ظاهرها بل المراد بها المحبة والتعظيم مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ، وقيل المخاطب بهذا الشعر النبي ﷺ، والمعنى لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك، وعلى هذا فقوله «اللهم» لم يقصد بها الدعاء، وإنما افتتح بها الكلام، والمخاطب بقول الشاعر «لولا أنت» النبي ﷺ الخ، ويعكر عليه قوله بعد ذلك .

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فإنه دعا الله تعالى ويحتمل أن يكون المعنى فاسأل ربك أن ينزل ويثبت والله أعلم.

قوله (إنا إذا صيح بنا أتينا) أي جئنا إذا دعينا إلى القتال أو إلى الحق.

قوله (وبالصياح عولوا علينا) أي قصدونا بالدعاء بالصوت العالي واستغاثوا علينا.

قوله (قال يرحمه الله) في رواية إياس بن سلمة «قال غفر لك ربك» قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، وبهذه الزيادة يظهر السر في قول الرجل «لولا أمتعتنا به».

قوله (قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به) اسم هذا الرجل عمر سماه مسلم في رواية إياس بن سلمة ولفظه «فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله لولا أمتعتنا بعامر».

قوله (فأتينا خيبرا) أي أهل خيبر.

قوله (حتى أصابتنا مخمصة) أي مجاعة شديدة وسيأتي شرح قصة الحمر الأهلية في كتاب الذبائح إن شاء الله تعالى.

قوله (ويرجع ذباب سيفه) أي طرفه الأعلى وقيل حده.

قوله (فأصاب عين ركبة عامر) أي طرف ركبته الأعلى فمات منه.

قوله (زعموا أن عامرا حبط عمله) في رواية إياس «بطل عمل عامر قتل نفسه» وسمي من القائلين أسيد بن حضير، في رواية قتيبة الآتية في الأدب وعند ابن إسحق «فكان

المسلمون شكوا فيه وقالوا إنما قتله سلاحه».

قوله (كذب من قاله) أي أخطأ.

قوله (إن له أجرين[١]) في رواية ابن إسحق «إنه لشهيد، وصلى عليه».

قوله (قلَّ عربي مشى بها مثله) والضمير للأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة.

٤١٩٧ ـ عَنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أتى خيبرَ ليلاً -وكان إذا أتى قوماً بليلٍ لم يقرَبهم حتى يُصبح -فلما أصبحَ خرجَتِ اليهود بمساحِيهم ومَكاتِلهم، فلمَّا رأوهُ قالوا: محمدٌ واللهِ، محمد والخميس، فقال النبيُّ ﷺ خَرِبَت خيبرُ، إنا إذا نزَلنا بساحةِ قومٍ فساء صبَاحُ المنذَرين».

٤١٩٨ ـ عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «صَبَّحْنا خَيْبَرَ بُكرةً، فخرجَ أهلُهَا بالمساحي، فلما بَصُروا بالنبيِّ ﷺ قالوا: محمدٌ واللهِ، محمدٌ والخميسُ، فقال النبيُّ ﷺ: اللهُ أكبرُ، خَـربَت خيبرُ، إنّا إذَا نزلنا بساحةِ قومٍ فساء صبَاحُ المنذَرين، فأصَبْنا من لحوم الحمرِ، فنادي مُنادَى النبيِّ ﷺ: إنَّ اللهَ ورسولهُ يَنْهَيانكم عن لحوم الحمرِ، فإنها رِجس».

٤١٩٩ ـ عنْ أَنَسِ بنِ مَالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جاءَهُ جاءٍ فقالَ: أكلتِ الحمرُ، فسكت، ثم أتاهُ الثانية فقال: أكلت الحمرُ فسكت، ثم أتاهُ الثالثة فقال: أفنيتِ الحمرُ، فأمر مُنادياً فنادَى في الناس: إنَّ اللهَ ورسولهُ يَنهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية، فأكفِئَتِ القُدور، وإنَّها لتَفور باللحم».

قوله (أتى خيبر ليلا) أي قرب منها.

قوله (بمساحيهم) وهي من آلات الحرث (ومكاتلهم) جمع مكتل وهو القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره.

قوله (محمد والخميس) «والخميس» يعني الجيش.

قوله (خربت خيبر) زاد في الجهاد فرفع يديه وقال: «الله اكبر، خربت خيبر» قال السهيلي: يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل، لأنه ﷺ لما رأى آلات الهدم أخذ منه أن مدينتهم ستخرب، انتهى، ويحتمل أن يكون قال: «خربت خيبر» بطريق الوحي، ويؤيده قوله بعد ذلك «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

قوله (ينهيانكم) وهو دال على جواز جمع اسم الله مع غيره في ضمير واحد، فيرد به على من زعم أن قوله للخطيب «بئس خطيب القوم أنت» لكونه قال: «ومن يعصمها فقد

(١) رواية الباب واليونينية لأجرين.

غوى» وقد تقدمت الإشارة إلى مباحث ذلك في كتاب الصلاة.

٤٢٠٠ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «صَلَّى النبيَّ ﷺ الصبحَ قريباً من خَيبرَ بغَلسٍ ثُمَّ قالَ: اللّه أكبرُ، خَرِبت خيبرُ، إنَّا إذ نَزلنا بساحةِ قومٍ فساء صباحُ المنذَرين، فخرجوا يَسعون في السِّكك، فقتل النبيُّ ﷺ المقاتل، وسبى الذُّرِّيَّة، وكان في السبي صفيةُ فصارت إلى دِحيةَ الكلبيِّ، ثم صارت إلى النبيِّ، فجعل عِتقها صَداقَها، فقال عبدُ العزيزِ بن صُهيبٍ لثابت يا أبا محمدٍ آنت قلت لأنسٍ: ما أصدَقها؟ فحرك ثابتٌ رأسَهُ تَصديقاً لهُ».

٤٢٠١ ـ عن أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «سَبى النبيُّ ﷺ صفيةَ فأعتقها وتزوَّجَها، فقال ثابت لأنسٍ: ما أصدقها؟ قالَ: أصدَقها نفسَها فأعتقها».

قوله (وكان في السبي صفية بنت حيي[١] فصارت إلى دحية، ثم صارت إلى النبي ﷺ في رواية عبد العزيز عن أنس «فجاء دحية فقال: أعطني يارسول اللّه جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية، فجاء رجل فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، قال ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها» وعند ابن إسحق فلما استرجع النبي ﷺ صفية من دحية أعطاه بنت عمها، قال السهيلي: لا معارضة بين هذه الأخبار فإنه أخذها من دحية قبل القسم، والذي عوضه عنها ليس على سبيل البيع بل على سبيل النقل، قلت: وقع في رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند مسلم أن صفية وقعت في سهم دحية، وعنده أيضا فيه «فاشتراها من دحية بسبعة أرؤس» فالأولى في طريق الجمع أن المراد بسهمه هنا نصيبه الذي اختاره لنفسه، وذلك أنه سأل النبي ﷺ أن يعطيه جارية فأذن له أن يأخذ جارية فأخذ صفية، فلما قيل للنبي ﷺ إنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له انها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص النبي ﷺ بها، فان في ذلك رضا الجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء، وأما إطلاق الشراء على العوض فعلى سبيل المجاز، ولعله عوضه عنها بنت عمها أو بنت عم زوجها فلم تطب نفسه فأعطاه من جملة السبي زيادة على ذلك.

ويأتي الكلام على قوله في الحديث «وجعل عتقها صداقها» في كتاب النكاح[٢] إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "بنت حيي".
(٢) كتاب النكاح باب / ١٣ ح ٥٠٨٦ - ٤ / ٤٥.

٤٢٠٥ - عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «لمَّا غَزَا رسولُ اللهِ ﷺ خيبرَ -أو قال: لما توجَّهَ رسولُ اللّه ﷺ - أشرف الناسُ على وادٍ فرفَعوا أصواتَهم بالتكبير، اللّه أكبر، اللّه أكبر، لا إله إلاّ اللّه فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ اربعوا عَلَى أنفسِكُمْ، إنكُمْ لا تدعونَ أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم، وأنا خَلفَ دابةِ رسولِ اللّهِ ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حَولَ ولاَقوةَ إلا باللّه، فقالَ لِي: يَا عبدَ اللّه بن قيس، قلتُ: لبيكَ رسول اللّه، قال: ألا أدُلُّكَ على كلمةٍ من كنزٍ من كنوز الجنة؟ قلتُ: بلى يارسول اللّه، فداك أبي وأمي، قال: لا حَولَ ولا قوةَ إلاّ باللّه».

قوله (أشرف الناس على واد -فذكر الحديث إلى قول أبي موسى- فسمعنى وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله) هذا السياق يوهم أن ذلك وقع وهم ذاهبون إلى خيبر، وليس كذلك بل إنما وقع ذلك حال رجوعهم، لأن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر مع جعفر كما سيأتي في الباب من حديثه واضحا، وعلى هذ ففي السياق حذف تقديره: لما توجه النبي ﷺ إلى خيبر فحاصرها ففتحها ففرغ فرجع أشرف الناس الخ، وسيأتي شرح المتن في كتاب الدعوات[1] إن شاء اللّه تعالى.

٤٢٠٢ - عَنْ سَهل بن سعدٍ الساعديِّ رضيَ اللّهُ عنه «أنَّ رسولَ اللّه ﷺ التقى هو والمشركونَ فاقتتَلوا، فلما مالَ رسولُ اللّه إلى عسكره ومالَ الآخرون إلى عسكرهم - وفي أصحابِ رسولِ اللّه ﷺ رجلٌ لا يَدَعُ لهم شاذَّةً ولا فاذَّةً إلاّ اتبعها يَضربها بسيفه، فقيل: ما أجزأَ منّا اليومَ أحدٌ كما أجزأَ فلان، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: أما إنه من أهلِ النار، فقال رجلٌ من القوم: أنا صاحبه، قال فخرَجَ معه كلما وقفَ وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال فجُرحَ الرجلُ جُرحاً شديداً، فاستعجَلَ الموت، فوضع سَيْفَهُ بالأرض وذُبابَهُ بين ثَدْيَيه؛ ثم تحامَل على سيفهِ فقتل نفسه، فخرجَ الرجل إلى رسولِ اللّه ﷺ فقال: أشهدُ أنك رسولُ اللّه، قال: وما ذاك؟ قالَ: الرجلُ الذي ذكرتَ آنفاً أنَّهُ من أهلِ النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكُمْ بهِ، فَخَرَجتُ في طلبهِ، ثم جُرحَ جُرحاً شديداً فاستعجلَ الموتَ، فوضع نصلَ سَيْفَهُ في الأرض وذُبابَهُ بين ثدييْه، ثم تحاملَ عليه فقتل نفسَه، فقال رسولُ اللّه ﷺ عند ذلك: إن الرجُلَ ليعملُ عَملَ أهلِ الجنةِ فيما يَبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعملَ عمل أهلِ النار فيما يبدو للناس، وهو من أهلِ الجنة».

٤٢٠٣ - عَنْ أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «شَهِدْنَا خَيْبَرَ، فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ لرجُلٍ ممن معهُ يدَّعي الإسلامَ: هذا من أهل النار، فلما حضرَ القتالُ قاتل الرجلُ أشدَّ القتالِ حتى كثرت بهِ الجراحة، فكادَ بعضُ الناس يرتابُ، فوجد الرجلُ ألم الجراحةِ، فأهوَى بيده

(١) كتاب الدعوات باب / ٥٠ ح ٦٣٨٤ - ٥ / ٦٠٢

إلى كنانته فاستخرَج منها أسهُما فنحرَ بها نفسَه، فاشتدَّ رجالٌ من المسلمين فقالوا: يارسول اللَّه، صدَّقَ اللّه حديثَك، انتحر فلان فقتل نفسَه، قال: قم يافلانُ فأذِّنْ أنه لا يدخُلُ الجنةَ إلاَّ مُؤمن، إن اللَّه يؤيِّدُ الدِّينَ بالرجل الفاجر».

٤٢٠٤ ـ عَنْ أبي هُريرَةَ قالَ: «شهدنَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ حَنينا».

قوله (فلما مال رسول اللّه ﷺ إلى عسكره) أي رجع بعد فراغ القتال في ذلك اليوم

قوله (شاذَّةً ولا فاذَّةً) والمعنى أنه لا يلقى شيئاً إلا قتله، وقيل المراد بالشاذ والفاذ ما كبر وصغر، وقيل الشاذ الخارج والفاذ المنفرد.

قوله (وهو من أهل الجنة) زاد في حديث أكثم «تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها» وسيأتي شرح الكلام الأخير في كتاب القدر(١) إن شاء اللّه تعالى، وفي الحديث إخباره ﷺ بالمغيبات، وذلك من معجزاته الظاهرة، وفيه جواز إعلام الرجل الصالح بفضيلة تكون فيه والجهر بها.

٤٢٠٦ ـ عَنْ يَزيد بنِ أبِي عُبيدٍ قالَ: «رَأيتُ أثَر ضربةٍ في ساق سَلمةَ فقلت: يا أبا مُسلمٍ، ماهذه الضربةُ؟ فقالَ: هذه ضَربةٌ أصابَتْها يومَ خيبرَ، فقال الناسُ: أُصيبَ سَلمة، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فنفثَ فيه ثلاثَ نَفَثات، فما اشتكيت حتى الساعة».

٤٢٠٧ ـ عَنْ سهلٍ قالَ: «التقى النبيُّ ﷺ والمشركون في بعض مَغازيه فاقتتلوا، فمال كلُّ قومٍ الى عسكرِهم، وفي المسلمينَ رجلٌ لا يدعُ من المشركينَ شاذَّةً ولا فاذَّةً إلاَّ اتَّبعها فضربَها بسيفه، فقيل: يارسولَ اللّه، ما أجزأَ أحدٌ ما أجزأَ فلان، فقال: إنَّهُ من أهل النار، فقالوا: أيُّنا من أهلِ الجَنة إن كان هذا من أهلِ النار؟ فقال رجلٌ منَ القوم: لأتبعَنَّه، فإذا أسرعَ وأبطأَ كنتُ معه، حتَّى جُرحَ فاستعجلَ الموتَ، فوضعَ نصابَ سيفه بالأرض وذُبابهُ بينِ ثديَيه، ثم تحامَل عليهِ فقتلَ نفسه، فجاء الرجُلُ إلَى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: أشهدُ أنَّكَ رسولُ اللّه، فقالَ: وَمَا ذَاكَ؟ فأخبرهَ، فقالَ: إن الرجلَ ليعملُ بعملِ أهل الجنةِ فيما يبدو للناس، وإنَّهُ من أهل النار، ويعمَلُ بعملِ أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنةِ».

٤٢٠٨ ـ عن أبي عمرانَ قالَ «نظر أنسُ إلى الناس يومَ الجمعةِ فرأى طيالسةً فقال: كأنهمُ الساعةَ يهودُ خيبرَ».

قوله (أصابتها يوم خيبر) أي أصابت ركبته.

قوله (فنفث فيه) أي في موضع الضربة، وقد تقدم أنه فوق النفخ ودون النقل.

قوله (فرأى طيالسة) أي عليهم، وفي رواية أن أنسا قال: «ما شبهت الناس اليوم في المسجد وكثرة الطيالسة إلا بيهود خيبر» والذي يظهر أن يهود خيبر كانوا يكثرون من لبس الطيالسة، وكان غيرهم من الناس الذين شاهدهم أنس لا يكثرون منها، فلما قدم البصرة رآهم يكثرون من لبس الطيالسة فشبههم بيهود خيبر، ولا يلزم من هذا كراهية لبس

(١) كتاب القدر باب / ٥ ح ٦٦٠٧ - ٥ / ١٠٢

الطيالسة، وقيل المراد بالطيالسة الأكسية وإنما أنكر ألوانها لأنها كانت صفراء.

٤٢٠٩ ـ عن سَلَمة رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عَنْهُ تخلَّفَ عنِ النبي ﷺ في خيبر، وكان رَمِداً، فقال: أنا أتخلَّفُ عن النبيِّ ﷺ؟ فلَحِقَ به، فلما بتْنا الليلةَ التي فُتِحَت قال: لأُعطينَّ الرايةَ غداً - أو لَيأخُذَنَّ الراية غداً - رجلٌ يُحبُّهُ الله ورسوله يُفتَح عليه، فنحنُ نرجوها، فقيل: هذا عليٌّ، فأعطاه، ففُتِحَ عليه».

٤٢١٠ ـ عَنْ سهلِ بنِ سعدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: لأُعطينَّ هذه الرايةَ غداً رجلاً يفتحُ اللهُ على يدَيه، يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ، قال: فبات الناسُ يدوكون لَيلتهم: أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسولِ الله ﷺ كلُّهم يَرجو أن يُعطاها، فقال: أينَ عليُّ بن أبي طالبٍ؟ فقيل: هوَ يارسولَ الله يَشتكي عينَيه، قال فأرسَلوا إليه فأُتي به فبصقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأنْ لم يكنْ به وَجعٌ، فأعطاهُ الرايةَ، فقال علي: يارسولَ الله، أقاتلُهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفُذْ على رِسلك حتى تنزلَ بساحَتهم، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرْهم بما يَجبُ عليهم من حقِّ الله فيه، فو الله لأنْ يَهديَ الله بك رجُلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم».

قوله (فقال أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟ فلحق به) وكأنه أنكر على نفسه تأخره عن النبي ﷺ فقال ذلك، وقوله «فلحق به» يحتمل أن يكون لحق به قبل أن يصل إلى خيبر، ويحتمل أن يكون لحق به بعد أن وصل إليها.

قوله (لأعطين الراية غدا أو ليأخذن الراية غدا) وفي حديث بريدة (إني دافعٌ اللواء غداً إلى رجلٍ يحبه الله ورسوله) والراية بمعنى اللواء وهو العلم الذي في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم العسكر.

قوله (يحبه الله ورسوله) زاد في حديث سهل بن سعد «ويحب الله ورسوله» وفي رواية ابن إسحق «ليس بفرار» وفي حديث بريدة «لا يرجع حتى يفتح الله له».

قوله (فأعطاه ففتح عليه) في حديث سهل «فأعطاه الراية» وفي حديث أبي سعيد عند أحمد «فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها» وقد اختلف في فتح خيبر هل كان عنوة أو صلحا، وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس التصريح بأنه كان عنوة وبه جزم ابن عبد البر، ورد على من قال فتحت صلحا قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم، وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال انتهى، والذي يظهر أن الشبهة في ذلك قول ابن عمر «أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على النخل وألجأهم إلى القصر فصالحوه على أن يجلوا منها وله الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ما حملت ركابهم على أن لا يكتموا ولا يغيبوا» الحديث وفي آخره «فسبى نساءهم وذراريهم، وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا، وأراد أن يجليهم فقالوا: دعنا في هذه الأرض نصلحها».

قوله (حتى يكونوا مثلنا) أي حتى يسلموا.

قوله (ثم ادعهم إلى الإسلام)، واستدل بقوله «ادعهم» أن الدعوة شرط في جواز القتال، والخلاف في ذلك مشهور فقيل: يشترط مطلقا، وهو عن مالك سواء من بلغتهم الدعوة أو لم تبلغهم قال: إلا أن يعجلوا المسلمين، وقيل لا مطلقًا وعن الشافعي مثله، وعنه لايقاتل من لم تبلغه حتى يدعوهم وأما من بلغته فتجوز الإغارة عليهم بغير دعاء، وهو مقتضى الأحاديث، ويحمل ما في حديث سهل على الاستحباب، بدليل أن في حديث أنس أنه ﷺ أغار على أهل خيبر لمّا لم يسمع النداء، وكان ذلك أول ما طرقهم، وكانت قصة علي بعد ذلك، وعن الحنفية تجوز الإغارة عليهم مطلقا وتستحب الدعوة.

قوله (فوالله لأن يهدي الله بك رجلا الخ) يؤخذ منه أن تألف الكافر حتى يسلم أولى من المبادرة إلى قتله.

قوله (حُمْر النَّعم) وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها.

٤٢١١ ـ عنْ أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «قَدِمنا خيبرَ، فلمّا فتح اللّه عليهِ الحصن ذُكر له جمالُ صفيةَ بنت حُيَيٍّ بن أخْطَبَ، وقد قُتلَ زوجها، وكانت عروساً، فاصطفاها النبيُّ ﷺ لنفسه، فخرجَ بها، حتى بلَغْنا سدَّ الصهباء حَلّت، فبنى بها رسولُ اللّه ﷺ، ثمَّ صنعَ حَيساً في نِطعٍ صغيرٍ، ثم قال لي: آذنْ من حولَكَ، فكانت تلك وَليمَتَهُ على صفية، ثم خَرجنا إلى المدينةِ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُحوِّي لها وراءهُ بِعَباءةٍ، ثمَّ يَجلسُ عند بعيره فيَضَعُ ركبتَهُ، وتَضعُ صفيةُ رِجَلها على ركبتهِ حتى تركبَ».

٤٢١٢ ـ عَنْ حُميدٍ الطويل «سمعَ أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ أقامَ عَلَى صفيةَ بنتِ حُيي بطريقِ خيبرَ ثلاثة أيامٍ حتى أعرسَ بها، وكانت فيمن ضُربَ عليها الحجاب».

٤٢١٣ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللّهُ عنهُ قال: «أقامَ النبيُّ ﷺ بينَ خَيْبَرَ والمدينةِ ثلاثَ ليالٍ يُبنى عليهِ بصفيةَ، فدعَوتُ المسلمينَ إلى وَليمتهِ، وما كان فيها من خبزٍ ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمرَ بلالاً بالأنطاع فبُسطَت، فألقى عليها التمرَ والأقِطَ والسمنَ، فقال المسلمون: إحدَى أمّهات المؤمنين، أو ما مَلكَتْ يَمينه؟ قالوا: إن حَجبَها فهيَ إحدى أمهّاتِ المؤمنين، وإن لم يَحجُبْها فهي مما ملكت يمينهُ، فلما ارتحلَ وَطأ لها خَلفَه، ومدَّ الحجاب».

قوله (فاصطفاها [١] لنفسه) روى أبو داود وأحمد وصححه

عن عائشة قالت: «كانت صفية من الصفي»، فسره محمد بن سيرين فيما أخرجه أبو

(١) رواية الباب واليونينية فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه.

داود بإسناد صحيح عنه قال: «كان يضرب للنبي ﷺ بسهم مع المسلمين، والصفي يؤخذ له رأس من الخمس قبل كل شيء».

ومن طريق قتادة «كان النبي ﷺ إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاء، وكانت صفية من ذلك السهم» وقيل أن صفية كان اسمها قبل أن تسبى زينب، فلما صارت من الصفي سمّيت صفية.

قوله (حلت) أي طهرت من الحيض.

قوله (فبنى بها) يأتي بيان ذلك وشرح بقية الحديث فيما يتعلق بتزويج صفية في كتاب النكاح(١) إن شاء الله تعالى.

قوله (يحوى لها) أي يجعل لها حوية، وهي كساء محشوة تدار حول الراكب.

قوله (أقام على صفية بنت حيي بطريق خيبر ثلاثة أيام حتى أعرس بها) المراد أنه أقام في المنزلة التي أعرس بها فيها ثلاثة أيام، لا أنه سار ثلاثة أيام ثم أعرس.

٤٢١٤ ـ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ مُغفَّلٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كُنّا محاصري خيبرَ، فرمى إنسان بجرابٍ فيه شحم فنزَوتُ لآخذَهُ، فالتفتُّ، فإذا النبيُّ ﷺ فاستحيَيْتُ».

٤٢١٥ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عَنهُمَا «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى يومَ خيبرَ عن أكلِ الثُّوم وعن لحوم الحمرِ الأهلية».

٤٢١٦ ـ عَنْ عَليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عن متعةِ النساء يومَ خيبرَ، وعن أكل لحومِ الحُمر الإنسية».

[الحديث ٤٢١٦ - أطرافه في: ٥١١٥، ٥٥٢٣، ٦٩٦١]

٤٢١٧ ـ عَن ابنِ عمَرَ «أنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَى يومَ خيبرَ عن لحوم الحمر الأهلية».

٤٢١٨ ـ عنِ ابن عمرَ رضِيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «نَهَى النبي ﷺ عن أكل لحوم الحمر الأهلية»

٤٢١٩ ـ عَنْ جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «نَهَى رسولُ الله ﷺ يومَ خيبرَ عن لحوم الحُمر، ورَخَّص في الخيل».

[الحديث ٤٢١٩ - طرفاه في: ٥٥٢٠، ٥٥٢٤]

٤٢٢٠ ـ عنِ ابنِ أبِي أوفي رضِيَ اللهُ عَنهُمَا «أصابَتْنَا مَجاعةٌ يوم خيبرَ، فإنَّ القدورَ لَتغلِي - قال: وبعضُها نَضِجت - فجاء مُنادِي النبيِّ ﷺ: لا تأكلوا من لحوم الحمر شيئًا وأهريقوها، قال ابنُ أبي أوفى: فتحدَّثنا أنه إنما نهى عنها لأنها لم تُخمَّس، وقال بعضهم: نهى عنها البتَّةَ لأنَّها كانت تأكلُ العَذرة».

٤٢٢١، ٤٢٢٢ ـ عَنِ البراء وعَبْدِ اللهِ بنِ أبِي أوفى رضيَ اللهُ عنهُمْ «أنَّهُمْ كانُوا

---

(١) كتاب النكاح باب / ١٣ ح ٥٠٨٦ - ٤ / ٤٥.

مَعَ النبيِّ ﷺ فأصابُوا حُمراً فطبخوها، فنادَى مُنادي النبيِّ ﷺ: أكفِئوا القُدور».

[الحديث ٤٢٢١ - أطرافه في: ٤٢٢٣، ٤٢٢٥، ٤٢٢٦، ٥٥٢٥]

٤٢٢٣، ٤٢٢٤ ـ عن البراءِ وابنِ أبي أوفى رضيَ اللّهُ عنهم يُحدِّثان عنِ النبيِّ ﷺ «أنَّهُ قالَ يومَ خَيْبَرَ -وقد نصبوا القُدُورَ-: أكفئوا القُدُورَ».

٤٢٢٥ ـ عنِ البراءِ قالَ: «غَزَوْنا معَ النبيِّ ﷺ، نحوه»،

٤٢٢٦ ـ عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «أمرَنا النبيُّ ﷺ في غزوةِ خيبرَ أن نُلقيَ الحُمُرَ الأهليّةَ نِيئةً ونَضيجةً، ثم لم يأمُرنا بأكله بعدُ».

٤٢٢٧ ـ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «لا أدرِي أنهى عنهُ رسولُ اللّه ﷺ من أجل أنَّهُ كانَ حَمُولةَ الناسِ، فكَرِهَ أن تذهَبَ حَمُولَتُهم، أو حَرَّمَهُ في يوم خيبرَ لحم الحمر الأهلية».

قوله (عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية) قيل إن في الحديث تقديما وتأخيرا والصواب: نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الإنسية وعن متعة النساء، وليس يوم خيبر ظرفا لمتعة النساء لأنه لم يقع في غزوة خيبر تمتع بالنساء، وسيأتي بسط ذلك في مكانه من كتاب النكاح(١) إن شاء الله تعالى.

قوله (وقال بعضهم: نهى عنها البتة لأنها كانت تأكل العذرة) سيأتي شرح ذلك في كتاب الذبائح(٢) إن شاء الله تعالى.

قوله فيها (أنه قال يوم خيبر وقد نصبوا القدور: أكفئوا القدور) أي أميلوها ليراق ما فيها.

قوله (ثم لم يأمرنا بأكله بعد) فيه إشارة إلى استمرار تحريمه وسيأتي بسط ذلك في كتاب الذبائح إن شاء الله تعالى.

٤٢٢٨ ـ عَنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «قَسَم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومَ خَيْبَرَ للفرسَ سهمين، وللراجل سَهماً» قال: فسَّرَهُ نافعٌ فقال إذا كان مع الرجل فرسٌ فلهُ ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرسٌ فلهُ سهم.

٤٢٢٩ ـ عن جُبير بن مُطعمٍ قالَ: «مَشَيتُ أنا وعثمانُ بن عفَّانَ إلى النبيِّ ﷺ فقلنا: أعطيتَ بني المطلب من خُمسِ خيبرَ وتركتنا، ونحنُ بمنزلةٍ واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشمٍ وبنو المطلب شيءٌ واحد، قال جُبير: ولم يَقسم النبيُّ ﷺ لبني عبدِ شمسٍ وبني نوفلٍ شيئاً»،

٤٢٣٠ ـ عَنْ أبِي مُوسى رضيَ اللّهُ عَنْهُ «بَلَغَنا مَخرجُ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ باليمنِ،

(١) كتاب النكاح باب / ٣١ ح ٥١١٥ - ٤ / ٦٢
(٢) كتاب الذبائح باب / ٢٨ ح ٥٥٢١، ٥٥٢٥ - ٤ / ٢٥٥

فخرجْنَا مُهاجرين إليهِ أنا وأخَوانِ لي أنَا أصغَرُهم: أحدهما أبو بُردةَ، والآخر أبو رُهمٍ - إمّا قال: في بضعٍ، وإما قال: في ثلاثةٍ وخمسينَ، أو اثنين وخمسينَ رجُلاً من قومي - فركِبْنا سفينةً، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشيِّ بالحبشة، فوافَقْنا جعفرَ بن أبي طالبٍ فأقمنا معه، حتى قدمْنَا جميعًا، فوافَقْنا النبيَّ ﷺ حينَ افتتحَ خيبرَ، وكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السَّفِينَةِ - سبَقْناكم بالهجرة، ودخلَتْ أسماءُ بنت عُمَيسٍ هي ممن قَدِمَ معَنا - على حفصةَ زوج النبيِّ ﷺ زائرةً وقد كانت هاجَرَت إلى النَّجاشيِّ فيمن هاجرَ، فدخَلَ عمرُ على حفصة - وأسماءُ عندها - فقالَ عمر حينَ رأى أسماء: مَن هذه؟ قالت: أسماءُ بنتُ عميسٍ، قال عمرُ: آلحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبَقناكم بالهجرةِ، فنحنُ أحقُّ برسولِ اللهِ منكُمْ، فَغضِبَت وقالت: كلاَّ واللهِ، كنتم معَ رسولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جائعَكم ويَعِظُ جاهلَكم، وكنَّا في دارٍ - أو في أرضٍ - البُعَداءِ البُغَضاءِ بالحبشة، وذلك في اللهِ وفي رسولِهِ ﷺ، وأيمُ اللهِ لا أطعَمُ طعاماً ولا أشرَبُ شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسولِ اللهِ ﷺ، ونحنُ كنّا نُؤْذَى ونُخَافُ، وسأذكرُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ وأسأله، واللهِ لا أكذبُ ولا أزيغُ ولا أزيدُ عليه».

٤٢٣١ ـ «فَلَمَّا جاءَ النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيَّ اللهِ، إنَّ عمرَ قال كذا وكذا، قال: فما قلتِ له؟ قالَت: قلتُ له كذا وكذا، قالَ: ليسَ بأحقَّ بي منكم، ولهُ ولأصحابِهِ هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينةِ هجرتان قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحابَ السفينةِ يأتونني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما منَ الدنيا شيءٌ هم به أفرَح ولا أعظمُ في أنفُسِهم مما قال لهم النبيُّ ﷺ».

قال أبو بُردةَ «قالت أسماءُ: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني».

٤٢٣٢ ـ عن أبي موسى «قالَ النبيُّ ﷺ: إني لأعرف أصواتَ رُفْقة الأشعريينَ بالقرآن حين يَدخلونَ بالليل، وأعرِفُ مَنازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أرَ مَنازِلهم حين نزَلوا بالنهار، ومنهم حكيمٌ إذا لقِيَ الخيلَ -أو قال: العدوَّ- قال لهم إنَّ أصحابي يأمُرونَكم أن تنظروهم».

قوله (وذلك في الله وفي رسوله) أي لأجلهما.

قوله (هجرتان) زاد أبو يعلى «هاجرتم مرتين، هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليَّ» وظاهره تفضيلهم على غيرهم من المهاجرين، لكن لا يلزم منه تفضيلهم على الإطلاق، بل من الحيثية المذكورة.

قوله (أرسالا) بفتح الهمزة أي أفواجا.

قوله (قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم) أي تنتظروهم من الانتظار ومعناه أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلا انتظروا الفرسان حتى يأتوكم، ليثبتهم على القتال هذا بالنسبة إلى الشق الثاني وهو قوله «أو قال العدو» وأما على الشق الاول وهو قوله «إذا لقي الخيل» فيحتمل أن يريد بها خيل المسلمين، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجالة فكان هو يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا إلى العدو جميعا، وهذا أشبه بالصواب، قال ابن التين، معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال في سبيل الله ولا يبالون بما يصيبهم.

٤٢٣٣ ـ عَنْ أبِي موسى قالَ «قَدِمنا على النبيِّ ﷺ بعد أنِ افْتَتَحَ خيبرَ، فقسمَ لنا، ولم يَقسم لأحد لم يَشهَدِ الفتحَ غيرنا».

٤٢٣٤ ـ عن أبي هُرَيرَةَ رضي اللَّهُ عَنْهُ قال: «افتتحنا خيبرَ ولم نَغْنم ذَهباً ولا فضةً، إنما غنمنا البقرَ والإبلَ والمتاعَ والحَوائطَ، ثمَّ انصرَفْنا مع رسولِ الله ﷺ إلى وادي القُرَى، ومعَهُ عبد لهُ يقال له مِدْعَمٌ أهداه له أحدُ بني الضِّباب، فبينما هوَ يَحُطُّ رحلَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: بلى والذي نفسي بيدِه، إن الشَّمْلَةَ التي أصابها يومَ خيبرَ من المغانم لم تُصبْها المقاسم لَتشتَعِلُ عليه ناراً، فجاء رجل - حينَ سمعَ ذلك مَن النبيِّ ﷺ - بشِراكٍ أو بشراكَين، فقال: هذا شيء كنتُ أصبتهُ، فقال رسول الله ﷺ: شِراك أو شِراكان من نار».

[الحديث ٤٢٣٤ - طرفه في: ٦٧٠٧]

قوله (سهم عائر) أي لا يدري من رمى به، وقيل هو الحائد عن قصده.

قوله (لتشتعل عليه نارا) يحتمل أن يكون ذلك حقيقة بأن تصير الشملة نفسها نارا فيعذب بها، ويحتمل أن يكون المراد أنها سبب لعذاب النار، وكذا القول في الشراك الآتي ذكره.

قوله (بشراك أو بشراكين) الشراك سير النعل على ظهر القدم، وفي الحديث تعظيم أمر الغلول، وقد مر شرح ذلك واضحاً في أواخر كتاب الجهاد في «باب القليل من الغلول»، وفي الحديث قبول الإمام الهدية، فإن كانت لأمر يختص به في نفسه أن لو كان غير وال فله التصرف فيها بما أراد، وإلا فلا يتصرف فيها إلا للمسلمين، وعلى هذا التفصيل يحمل حديث «هدايا الأمراء غلول» فيخص بمن أخذها فاستبد بها، وخالف في ذلك بعض الحنفية فقال: له

(١) كتاب الجهاد باب / ١٩٠ ح ٣٠٧٤ - ٢ / ٦٦٣
(٢) لا يوجد في الهبة بل في كتاب الأحكام باب / ٢٤ ح ٧١٧٤ - ٥ / ٤٤١

الاستبداد مطلقا بدليل أنه لو ردها على مهديها لجاز، فلو كانت فيئا للمسلمين لما ردها، وفي هذا الاحتجاج نظر لا يخفى، وقد تقدم شيء من هذا في أواخر الهبة.

٤٢٣٥ - عن عُمَرَ بن الخطاب رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أما والذي نفسي بيده، لولا أن أترك آخر الناس بَبَّاناً ليس لهم شيء، ما فُتِحَتْ عليَّ قريةٌ إلاّ قَسَمْتُها كما قسَم النبيُّ ﷺ خيبرَ، ولكنّي أتركها خِزانةً لهم يَقتسِمونها».

٤٢٣٦ - عَنْ عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ «لوْلا آخرُ المسلمين، مافُتِحَت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسمَ النبيُّ ﷺ خيبرَ،».

قوله (لولا أن أترك آخر الناس ببّانا) وقال الأزهري: الببان المعدم الذي لا شيء له، ويقال هم على ببان واحد أي على طريقة واحدة.

قال الطبري: الببان في المعدم الذي لا شيء له، فالمعنى لولا أن أتركهم فقراء معدمين لا شيء لهم أي متساوين في الفقر.

قوله (ولكني أتركها لهم[١]خزانة يقتسمونها) أي يقتسمون خراجها.

٤٢٣٧ - عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ أتى النبيَّ ﷺ فسألَهُ، قال له بعض بني سعيدِ بن العاص: لاتُعطهِ، فقال أبو هريرة: هذا قاتلُ ابن قَوقَلٍ، فقال: واعجباً لوَبْرٍ تَدلّى من قَدُومِ الضأنِ».

٤٢٣٨ - عن أبي هُرَيْرَةَ يُخبر سعيدَ بن العاص قال: «بعثَ رسولُ الله ﷺ أبَانَ على سَرِيّةٍ منَ المدينة قِبل نجد، قال أبو هريرةَ: فقَدِمَ أبانُ وأصحابهُ على النبيِّ ﷺ بخيبرَ بعدَما افتتحها وإنَّ حُزُمَ خَيلِهم لَليفٌ، قال أبو هريرة: قلت يارسولَ الله، لا تَقسِمْ لهم، قال أبانُ: وأنتَ بهذا يا وَبْرُ تَحدَّرَ من رأس ضأنٍ فقال النبيُّ ﷺ: يا أبانُ اجلِس، فلم يَقسِمْ لهم».

٤٢٣٩ - عن يحيى بن سعيدٍ قالَ أخبرني جدّي «أنَّ أبانَ بن سعيد أقبلَ إلى النبيِّ ﷺ فسلَّمَ عليه ، فقال أبو هريرة: هذا قاتلُ ابن قوقل، وقال أبانُ لأبي هريرة: واعجبًا لك وَبْرٌ تدَأْدأ من قَدُومِ ضَأنٍ ،ينعى عليَّ امرأً أكرمَهُ الله بيدي، ومنعَه أن يُهينَني بيده».

قوله (فسأله أي سأل النبي ﷺ أن يعطيه من غنائم خيبر.

قوله (لو بر تدلى من قدوم الضأن) كذا اختصره، وقد مضى في الجهاد[٢]، وسيأتي شرحه في الذي بعده. لـى

قوله (قال بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قبل نجد) لم أعرف حال هذه

(١) رواية الباب واليونينية بحذف "لهم".
(٢) كتاب الجهاد باب / ٢٨ ح ٢٨٢٧ - ٢ / ٥٦٨

السرية، وأما أبان فهو ابن سعيد بن العاص بن أمية، وهو عم سعيد بن العاص الذي حدثه أبو هريرة، وكان إسلام أبان بعد غزوة الحديبية، وقد ذكرنا أولا في قصة الحديبية في الشروط وغيرها أن أبان هذا أجار عثمان بن عفان في الحديبية حتى دخل مكة وبلغ رسالة رسول الله ﷺ، وتقدم في هذه الغزوة أن غزوة خيبر كانت عقب الرجوع من الحديبية، فيشعر ذلك بأن أبان أسلم عقب الحديبية حتى أمكن أن يبعثه النبي ﷺ في سرية.

قوله (وأنت بهذا) أي وأنت تقول بهذا، أو وأنت بهذا المكان والمنزلة مع رسول الله ﷺ مع كونك لست من أهله ولا من قومه ولا من بلاده.

قوله (يا وبر) دابة صغيرة كالسنور وحشية.

قال الخطابي: أراد أبان تحقير أبي هريرة، وأنه ليس في قدر من يشير بعطاء ولا منع، وأنه قليل القدرة على القتال انتهى.

قوله (تحدر) في الرواية الأولى «تدلى» وهي بمعناها كأنه يقول: تهجم علينا بغتة.

قوله (من رأس ضال) كذا في هذه الرواية باللام، وفي التي قبلها بالنون، وأما قدوم فبفتح القاف للأكثر أي طرف، وأما الضان فقيل هو رأس الجبل لأنه في الغالب موضع مرعى الغنم، وهو جبل لدوس قوم أبي هريرة.

قوله (ينعى) أي يعيب عليٌّ، وقد تقدم بقية شرحه في الجهاد.

٤٢٤٠، ٤٢٤١ - عن عائشةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا «أنَّ فَاطِمَةَ عليهَا السَّلامُ بنتَ النبيِّ ﷺ أرسلَتْ إلى أبي بكرٍ تسألهُ مِيراثها من رسولِ الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينةِ وفَدَكٍ وما بقيَ من خُمس خيبرَ، فقال أبو بكر: إنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: لا نُورَثُ، ماتركنا صدقة، إنما يأكلُ آل محمد ﷺ من هذا المال، وإني والله لا أغيِّرُ شيئًا من صدقةِ رسولِ الله ﷺ عن حالها التي كانت عليْهَا فِي عهدِ رسول الله ﷺ، ولأعملنَّ فيها بما عملَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفعَ إلى فاطمةَ منها شيئاً، فوجَدَت فاطمةُ على أبي بكر في ذلك فهجَرته فلم تُكلمه حتى تُوُفيَتْ وعاشَت بعدَ النبيِّ ﷺ ستةَ أشهرٍ، فلما تُوفِّيَت دَفنها زوجُها عليٌّ ليلاً ولم يُؤْذِن بها أبا بكرٍ، وصلَّى عليها وكان لعليٍّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلما تُوفِّيتْ استنكرَ عليٌّ وجوه الناس، فالتمسَ مصالحةَ أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يُبايعُ تلكَ الأشهر، فأرسلَ إلى أبي بكر أنِ ائتنا، ولا يأتنا أحدٌ معك، كراهةً لمحضرِ عمرَ فقال عمرُ: لا والله، لا تدخُلُ عليهم وَحدك، فقال أبو بكر: وما عَسيْتَهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتِيَنهم، فدخلَ عليهم أبوبكر، فتشهَّدَ عليٌّ فقال: إنَّا قد عَرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفَسْ عليك خيراً ساقهُ الله إليك، ولكنَّكَ استبدَدْتَ علَيْنَا بالأمر، وكنا

نَرَى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نَصيباً، حتى فاضَت عينا أبي بكر، فلما تكلَّمَ أبو بكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي، وأما الذي شجرَ بيني وبينَكم من هذهِ الأموال فلم آلُ فيه عن الخير، ولم أتركْ أمراً رأيت رسولَ الله ﷺ يَصنعُهُ فيها إلا صَنعتهُ، فقال علي لأبي بكر: موعدُكَ العشيَّةُ للبيعةِ، فلما ﷺ أبو بكر الظُّهرَ رقي على المنبر فتشَهَّد، وذكرَ شأنَ عليٍّ وتخلُّفَهُ عن البيعة وعذرَهُ بالذي اعتذرَ إليه، ثم استغفر وتشهَّد عليٌّ فعظَّمَ حقَّ أبي بكر، وحدَّثَ أنهُ لم يَحمِلهُ على الذي صنعَ نفاسةٌ علي أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فضَّلهُ الله به، ولكنَّا نَرى لنا في هذا الأمر نصيباً فاستبدَّ علينا، فوَجَدْنا في أنفُسنا، فَسُرَّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبت وكان المسلمون إلى عليٍّ قريباً حين راجع الأمْرَ المعروفَ».

قوله (وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر) هذا هو الصحيح في بقائها بعده.

قوله (دفنها زوجها علي ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر) روى ابن سعد من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن العباس ﷺ عليها، ومن عدة طرق أنها دفنت ليلا، وكان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة في التستر، ولعله لم يُعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه.

وأما الحديث الذي أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود من حديث جابر في النهي عن الدفن ليلا فهو محمول على حال الاختيار لأن في بعضه «إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك».

قوله (وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة) أي كان الناس يحترمونه إكرامًا لفاطمة، فلما ماتت واستمر على عدم الحضور عند أبي بكر قصر الناس عن ذلك الاحترام لإرادة دخوله فيما دخل فيه الناس، ولذلك قالت عائشة: في آخر الحديث «لما جاء وبايع كان الناس قريبا إليه حين راجع الأمر بالمعروف» وكأنهم كانوا يعذرونه في التخلف عن أبي بكر في مدة حياة فاطمة لشغله بها وتمريضها وتسليتها عما هي فيه من الحزن على أبيها ﷺ ولأنها لما غضبت من رد أبي بكر عليها فيما سألته من الميراث رأى علي أن يوافقها في الانقطاع عنه.

قوله (فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر) أي في حياة فاطمة، قال المازري: العذر لعلي في تخلفه مع ما اعتذر هو به أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ولا يجب الاستيعاب، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده ويضع يده في يده، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه ولا يشق العصا عليه، وهذا كان حال علي لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبي بكر، وقد ذكرت سبب ذلك.

قوله (كراهية ليحضر عمر) في رواية الأكثر «لمحضر عمر» والسبب في ذلك ما ألفوه من قوة عمر وصلابته في القول والفعل، وكان أبو بكر رقيقا لينا، فكأنهم خشوا من حضور عمر كثرة المعاتبة التي قد تفضي إلى خلاف ما قصدوه من المصافاة.

قوله (لا تدخل عليهم) أي لئلا يتركوا من تعظيمك ما يجب لك.

قوله (ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك) أي لم نحسدك على الخلافة.

قوله (فلم آل) أي لم أقصر.

قوله (موعدك العشية) أي بعد الزوال.

قوله (وكان المسلمون إلي على قريبا) أي كان ودهم له قريبا (حين راجع الأمر بالمعروف) أي من الدخول فيما دخل فيه الناس قال القرطبي: من تأمل مادار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا لكن الديانة ترد ذلك والله الموفق.

٤٢٤٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: «لمَّا فتحت خيبرُ قلنا: الآن نشبعُ منَ التمر».

٤٢٤٣ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ماشبعنا حتى فتحنا خيبرَ».

قوله (قلنا الآن نشبع من التمر) أي لكثرة ما فيها من النخيل، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا قبل فتحها في قلة من العيش.

٣٩ ـ باب استعمال النبيِّ ﷺ على أهلِ خيبر

٤٢٤٤، ٤٢٤٥ ـ عَنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ وأبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا« أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ استعملَ رجلاً على خيبرَ، فجاءهُ بتمرٍ جَنيبٍ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : كلُّ تمر خيبرَ هكذا؟ فقال: لا والله يا رسولَ الله، إنا لنأخذُ الصاعَ من هذا بالصاعَين بالثلاثة، فقال: لا تفعل، بعِ الجمعَ بالدراهم، ثمَّ ابتَعْ بالدراهم جنيباً».

٤٢٤٦، ٤٢٤٧ ـ عَنْ سعيدٍ أنَّ أبا سعيدٍ وأبا هريرةَ حدَّثاه «أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ أخا بني عديٍّ من الأنصار إلى خيبرَ، فأمَّرَهُ عليها».

قوله (باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر) أي بعد فتحها لتنمية الثمار.

٤٠ ـ باب مُعاملةِ النبيِّ ﷺ أهلَ خيبرَ

٤٢٤٨ ـ عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أعطى النبيُّ ﷺ خَيْبَرَ لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها».

قوله (باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر) ذكر فيه حديث ابن عمر مختصرا وقد تقدم في المزارعة مع شرحه واضحا.

٤١ ـ باب الشَّاةِ الَّتي سُمَّت للنبيِّ ﷺ بخيبر

رواه عُروةُ عن عائشةَ عن النبيِّ ﷺ.

٤٢٤٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «لَمَّا فُتحت خَيْبَرُ أهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيهم سُمٌّ».

قوله (باب الشاة التي سُمَّت للنبي ﷺ بخيبر) أي جعل فيها السم، والسم مثلث السين.

قوله (لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم) قال ابن إسحق: لما اطمأن النبي ﷺ بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية، وكانت سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ قيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته، فذكر القصة، وأنه صفح عنها، وأن بشر بن البراء مات منها، وروى البيهقي من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة «أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومه فأكل، فقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة، وقال لها: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبيا فيطلعك الله، وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك، قال فما عرض لها» ومن طريق أبي نضرة عن جابر نحوه فقال: «فلم يعاقبها» وروى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري عن أبي بن كعب مثله وزاد «فاحتجم على الكاهل» قال قال الزهري: «فأسلمت فتركها» قال معمر: والناس يقولون قتلها.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون تركها أولا ثم لما مات بشر بن البراء من الأكله قتلها، وبذلك أجاب السهيلي وزاد: إنه كان تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصًا، قلت: ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت، وإنما أخر قتلها حتى مات بشر لأن بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه، وقد اشتملت قصة خيبر على أحكام كثيرة: فيها جواز قتال الكفار في أشهر الحرم، والإغارة على من بلغته الدعوة بغير إنذار، وقسمة الغنيمة على السهام، وأكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليه بشرط أن لا يدخره ولا يحوله، وأن مدد الجيش إذا حضر بعد انقضاء الحرب يسهم له إن رضي الجماعة كما وقع لجعفر والأشعريين، ولا يسهم لهم إذا لم يرضوا كما وقع لأبان بن سعيد وأصحابه، وبذلك يجمع بين الأخبار، ومنها تحريم لحوم الحمر الأهلية، وأن مالا يؤكل لحمه لا يطهر

بالذكاة، وتحريم متعة النساء، وجواز المساقاة والمزارعة، ويثبت عقد الصلح والتوثق من أرباب التهم، وأن من خالف من أهل الذمة ما شرط عليه انتقض عهده وهدر دمه، وأن من أخذ شيئا من الغنيمة قبل القسمة لم يملكه ولو كان دون حقه، وأن الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها وتركها، وجواز إجلاء أهل الذمة إذا استغنى عنهم، وجواز البناء بالأهل بالسفر، والأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم، وقد ذكرت غالب هذه الأحكام في أبوابها. والله الهادي للصواب.

٤٢ ـ باب غزوةِ زيد بن حارثةَ

٤٢٥٠ ـ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «أمَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ أسامَةَ على قومٍ فطعنوا في إمارتهِ فقال إن تَطعنوا في إمارته فَقَدْ طعنتم في إمارةِ أبيه من قبلهِ، وأيمُ الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعدَه».

قوله (غزوة زيد بن حارثة) مولى النبي ﷺ ووالد أسامة بن زيد، ذكر فيه حديث ابن عمر في بعث أسامة، وسيأتي شرحه في أواخر المغازي[١]، والغرض منه قوله «فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله» وسيأتي قريبا بعد غزوة مؤتة حديث أبي عاصم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: «غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات، وغزوت مع ابن حارثة، استعمله علينا».

٤٣ ـ باب عُمرة القضاء

ذكرَهُ أنسٌ عن النبيِّ ﷺ

٤٢٥١ ـ عنِ البراءِ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «لمَّا اعتمرَ النبيُّ ﷺ في ذي القَعدةِ فأبى أهلُ مكةَ أن يَدَعوه يدخلُ مكةَ حتى قاضاهم على أن يُقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتابَ كتبوا: هذا ما قاضى عليهِ محمد رسول الله، قالوا: لا نقرُّ لك بهذا، لو نعلم أنكَ رسولُ الله ما مَنَعناك شيئاً، ولكنْ أنتَ محمدُ بن عبدِ الله، فقال: أنا رسولُ اللهِ، وأنا محمدُ بن عبدِ الله، ثمَّ قال: لعلي: أمح رسولَ الله، قال عليٌ: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسولُ الله ﷺ الكتاب - وليسَ يحسن يكتب - فكَتَبَ: هذا مَاقاضى محمدُ بن عبد الله، لا يُدخلُ مكةَ السلاحَ إلا السيفَ في القِراب، وأن لا يَخرُجَ من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يَتبعهُ، وأن لا يمنعَ من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيمَ بها، فلما دخلها ومضى الأجلُ أتوا علياً فقالوا: قُل لصاحبكَ اخرجْ عنَّا فقد مضى الأجل، فخرج النبيُّ ﷺ، فتبعَتْه ابنةُ حمزةَ

(١) كتاب المغازي باب / ٨٧ ح ٤٤٦٩ - ٣ / ٤٤٥.

تُنادي: يا عمّ ياعمّ، فتَناوَلها عليٌّ فأخذَ بيدها وقال لفاطمة عليها السلامُ: دونكِ ابنةَ عمكِ حمِّليها، فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرٌ: قال عليٌّ أنا أخذتها وهي بنتُ عمي، وقال جعفرٌ ابنةُ عمي وخالتُها تحتي، وقال زيدٌ ابنة أخي، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتِها وقال: الخالةُ بمنزلة الأم، وقال لعليٍّ: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي، وقال لزيد: أنتَ أخونا ومَولانا، وقال عليٌّ: ألا تتزوَّجُ بنتَ حمزة؟ قال: إنها ابنةُ أخي من الرَّضاعة».

٤٢٥٢ - عنِ ابنِ عمَرَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا «أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ خرجَ مُعتمراً، فحال كفّارُ قريشٍ بينهُ وبين البيت، فنحرَ هَديه، وحلقَ رأسَهُ بالحديبية، وقاضاهم على أن يَعتمرَ العامَ المقبلَ، ولا يحملَ سلاحاً عليهم إلا سيوفًا، ولا يقيمَ بها إلا ما أحبُّوا، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كانَ صالحهم، فَلَمَّا أن أقام بها ثلاثًا أمروهُ أن يخْرُجَ فخرَج».

قوله (باب عمرة القضاء) كذا للأكثر، وللمستملي وحده «غزوة القضاء» والأول أولى، ووجهوا كونها غزوة بأن موسى بن عقبة ذكر في المغازي عن ابن شهاب أنه ﷺ خرج مستعدا بالسلاح والمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر فبلغهم ذلك ففزعوا، فلقيه مكرز فأخبره أنه باق على شرطه وأن لا يدخل مكة بسلاح إلا السيوف في أغمادها، وإنما خرج في تلك الهيئة احتياطا فوثق بذلك، وأخّر النبي ﷺ السلاح مع طائفة من أصحابه خارج الحرم حتى رجع، ولا يلزم من إطلاق الغزوة وقوع المقاتلة، واختلف في سبب تسميتها عمرة القضاء، فقيل المراد ماوقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كتب بينهم بالحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الصلح ولذلك يقال لها عمرة القضية، وقال السهيلي: سميت عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشا، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها، لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة، ولهذا عدوا عمر النبي ﷺ أربعا كما تقدم تقريره في كتاب الحج، وقال آخرون: بل كانت قضاء عن العمرة الأولى، وعدت عمرة الحديبية في العمر لثبوت الأجر فيها لا لأنها كملت، وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت، فقال الجمهور: يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه، وعن أبي حنيفة عكسه، وعن أحمد رواية أنه لا يلزمه هدي ولا قضاء، وأخرى يلزمه الهدي والقضاء، فحجة الجمهور قوله تعالى { فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي } وحجة أبي حنيفة أن العمرة تلزم بالشروع، فإذا أحصر جاز له تأخيرها، فإذا زال الحصر أتى بها، ولا يلزم من التحلل بين الإحرامين سقوط القضاء، وحجة من أوجبها ما وقع للصحابة فإنهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدي.

قوله (حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام) أي من العام المقبل.

قوله (فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله)، النكتة في قوله «فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب» لبيان أن قوله «أرني إياها» أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك «فكتب» فيه حذف تقديره فمحاها فأعادها لعلي فكتب، وبهذا جزم ابن التين وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير كقوله: كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى،

قوله (دونك) هي كلمة من أسماء الأفعال تدل على الأمر بأخذ الشيء المشار إليه.

قوله (وقال: الخالة بمنزلة الأم) أي في هذا الحكم الخاص لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد لما دل عليه السياق، فلا حجة فيه لمن زعم أن الخالة ترث لأن الأم ترث، وفي حديث علي وفي مرسل الباقر «الخالة والدة، وإنما الخالة أم» وهي بمعنى قوله بمنزلة الأم لا أنها أم حقيقة، ويؤخذ منه أن الخالة في الحضانة مقدمة على العمة لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على غيرها، ويؤخذ منه تقديم أقارب الأم على أقارب الأب، وعن أحمد رواية أن العمة مقدمة في الحضانة على الخالة، وأجيب عن هذه القصة بأن العمة لم تطلب، فإن قيل: والخالة لم تطلب، قيل قد طلب لها زوجها، فكما أن للقريب المحضون أن يمنع الحاضنة إذا تزوجت فللزوج أيضا أن يمنعها من أخذه، فإذا وقع الرضا سقط الحرج، وفيه من الفوائد أيضا تعظيم صلة الرحم بحيث تقع المخاصمة بين الكبار في التوصل إليها، وأن الحاكم يبين دليل الحكم للخصم، وأن الخصم يدلي بحجته، وأن الحاضنة إذا تزوجت بقريب المحضونة لا تسقط حضانتها إذا كانت المحضونة أنثى أخذا بظاهر هذا الحديث قاله أحمد، وعنه لا فرق بين الأنثى والذكر ولا يشترط كونه محرما لكن يشترط أن يكون فيه مأمونا، وأن الصغيرة لا تشتهى، ولا تسقط إلا إذا تزوجت بأجنبي، والمعروف عن الشافعية والمالكية اشتراط كون الزوج جدا للمحضون.

قوله (وقال لعلي: أنت مني وأنا منك) أي في النسب والصهر والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا، ولم يرد محض القرابة وإلا فجعفر شريكه فيها.

قوله (وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي)، وهي منقبة عظيمة لجعفر، أما الخلق فالمراد به الصورة فقد شاركه فيها جماعة ممن رأى النبي ﷺ، وقد ذكرت أسماءهم في مناقب الحسن وأنهم عشرة أنفس غير فاطمة عليها السلام، وقد كنت نظمت إذ ذاك بيتين في ذلك ووقفت بعد ذلك في حديث أنس على أن إبراهيم ولد النبي ﷺ كان يشبهه، وكذا في قصة جعفر بن أبي طالب أن ولديه عبد الله وعونا كان يشبهانه فغيرت البيتين الأولين بالزيادة فأصلحتهما

هناك، ورأيت إعادتهما هنا ليكتبهما من لم يكن كتبهما إذ ذاك:

شبه النبي ليج سائب و أبي سفيان والحسنين الخال أمهما

وجعفر ولداه وابن عامر هم ومسلم كابس يتلوه مع قثما

قوله (وقال لزيد: أنت أخونا) أي في الإيمان (ومولانا) أي من جهة أنه أعتقه، وقد تقدم أن مولى القوم منهم، فوقع منه ﷺ تطييب خواطر الجميع وإن كان قضى لجعفر فقد بين وجه ذلك، وحاصله أن المقضي له في الحقيقة الخالة وجعفر تبع لها لأنه كان القائم في الطلب لها،

قوله (قال علي) أي للنبي ﷺ (ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها بنت أخي) أي من الرَّضاعة.

٤٢٥٣ ـ عَنْ مجاهدٍ قال: «دخلتُ أنا وعروةُ بن الزُّبيرِ المسجدَ، فإذا عبدُ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما جالسٌ إلى حجرةِ عائشةَ ثم قال: كم اعتمرَ النبيُّ ﷺ ؟ قال: أربعاً إحداهنَّ في رجب».

٤٢٥٤ ـ ثُمَّ سمعنَا استِنانَ عائشةَ، قال عروةُ: يا أمَّ المؤمنين؛ ألا تسمعينَ ما يقول أبو عبد الرحمن؟ إنَّ النبيَّ ﷺ اعتمرَ أربعَ إحداهن في رجب، فقالت: ما اعتمرَ النبيُّ ﷺ عمرةً إلا وهُوَ شاهِدُهُ، وما اعتمرَ في رجب قط».

٤٢٥٥ ـ عن ابن أبي أوفى قال: «لمَّا اعتمرَ رسولُ الله ﷺ سترناه من غِلمانِ المشركينَ ومِنهُمْ أنْ يُؤْذُوا رسولَ الله ﷺ».

٤٢٥٦ ـ عن سعيد بن جبيرٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهِ عَنْهُمَا قالَ: «قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ وأصْحابه، فقال المشركون: إنَّهُ يقدم علَيْكُمْ وَفدٌ وَهنَتهم حُمَّى يَثربَ فأمرَهُم النبيُّ ﷺ أن يَرمُلوا الأشواطَ الثلاثةَ وأن يَمشوا مابينَ الرُّكنَين، ولم يَمنَعْهُ أن يأمُرهم أن يَرمُلوا الأشواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم»، وزادَ ابنُ سلمةَ عن أيوبَ عن سعيدِ بن جُبيرٍ عنِ ابن عبَّاس قال: «لمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ لعامه الذي استأمن قال: ارمُلوا ليَرى المشركونَ قوَّتَكم، والمشركونَ من قِبَل قُعَيقعانَ»(١).

٤٢٥٧ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «إنَّمَا سعى النبيُّ ﷺ بالبيت وبَيْنَ الصفا والمروةِ ليُريَ المشركينَ قوَّتَهُ».

٤٢٥٨ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «تَزوجَ النبيُّ ﷺ ميمونةَ وهو محرمٌ، وبنى بها وهو حلال، وماتَت بسرِف».

٤٢٥٩ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : «تزوجَ النبيُّ ﷺ)[١] ميمونةَ في عُمرةِ القضاء».

(١) رواية الباب واليونينية "تزوج النبي ﷺ ميمونة".

قوله (سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ) أي خشية أن يؤذوه.
قوله (إلا الإبقاء عليهم) أي الرفق بهم والإشفاق عليهم.
قوله (تزوج ميمونة وهو محرم) سيأتي البحث فيه في كتاب النكاح(١).

٤٤ ـ باب غزوةِ مُؤتةَ من أرضِ الشَّام

٤٢٦٠ ـ عنِ نافعٍ أنَّ ابن عمرَ أخبرَهُ أنهُ «وقفَ على جعفرٍ يومئذٍ وهوَ قتيلٌ، فَعَدَدْتُ بهِ خمسينَ بينَ طعنةٍ وضربة، ليس منها شيء في دُبرهِ، يعني في ظَهرهِ».

[الحديث ٤٢٦٠ - طرفه في: ٤٢٦١]

٤٢٦١ ـ عنْ نَافعٍ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «أَمَرَ رسولُ اللهُ ﷺ في غزوةِ مؤتةَ زيدَ بن حارثة فقال رسولُ الله ﷺ : إن قُتِلَ زيدٌ فجعفرٌ، وإن قُتِلَ جعفرٌ فعبدُ الله بن رواحةَ، قال عبدُ الله: كنتُ فيهم في تلك الغزوةِ، فالتمسْنا جعفرَ بن أبي طالب، فوجَدناهُ في القتلى، ووجدنا ما في جسدهِ بضعاً وتسعينَ من طعنةٍ ورَميةٍ».

٤٢٦٢ ـ عَنْ أَنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابنَ رواحةَ للنّاس قبلَ أن يأتيَهم خبرهُم فقال: أخذ الراية زيدٌ فأصيب ثمَّ أخذَ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذَ ابن رَواحة فأصيب - وعيناهُ تَذرِفانِ - حتى أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوفِ الله حتى فتحَ اللهُ عليهم».

٤٢٦٣ ـ عن عَائشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «لمَّا جاءَ قَتلُ ابنِ حارثة وجعفرِ بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة رضيَ اللهُ عَنْهُمْ جلسَ رسولُ الله ﷺ يُعرَفُ فيه الحُزنُ، قالت عائشة: وأنا أطلعُ من صائر الباب - تعني من شِقّ الباب فأتاهُ رجلٌ فقال: أي رسولَ الله، إن نساء جعفرٍ - وذكرَ بُكاءهن - فأمرهُ أن ينهاهنَّ، قال فذهبَ الرجلُ ثم أتى فقال: قد نهيتهنَّ، وذكر أنه لم يُطعنْه، قال فأمرَ أيضاً، فذهبَ ثُمَّ أتى فقال: والله لقد غَلَبْننا فزعمَتْ أن رسول الله ﷺ قال: فاحثُ في أفواههنَّ من التراب، قالت عائشة فقلتُ: أرْغَمَ اللهُ أنفَك، فوالله ما أنتَ تَفعلُ، وماتركتَ رسولَ الله ﷺ من العَناء».

وفي الحديث جواز الإعلام بموت الميت ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، وقد تقدم تقرير ذلك في الجنائز، وفيه جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب، وقد اختلف هل تنعقد الولاية الثانية في الحال أولا؟ والذي يظهر أنها في الحال تنعقد، ولكن بشرط الترتيب، وقيل تنعقد لواحد لا بعينه، وتتعين لمن عينها الإمام على الترتيب، وقيل

---

(١) كتاب النكاح باب / ٣٠ ح ٥١١٤ - ٤ / ٦١.

تنعقد للأول فقط، وأما الثاني فبطريق الاختيار، واختيار الإمام مقدم على غيره لأنه أعرف بالمصلحة العامة، وفيه جواز التأمر في الحرب بغير تأمير، قال الطحاوي: هذا أصل يؤخذ منه أن على المسلمين أن يقدموا رجلا إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر، وفيه جواز الاجتهاد في حياة النبي ﷺ، وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد ولمن ذكر من الصحابة، واختلف أهل النقل في المراد بقوله «حتى فتح الله عليه» هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح انحيازه بالمسلمين حتى رجعوا سالمين؟

قوله (يعرف فيه الحزن) أي لما جعل الله فيه من الرحمة، ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء، ويؤخذ منه أن ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابرا راضيًا إذا كان قلبه مطمئنا، بل قد يقال إن من كان ينزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلا، أشار إلى ذلك الطبري وأطال في تقريره، وفي الحديث جواز معاقبة من نهى عن منكر فتمادى عليه بما يليق به، وقال النووي: معنى كلام عائشة أنك قاصر عن القيام بما أمرت به من الإنكار فينبغي أن تخبر النبي ﷺ بقصورك عن ذلك ليرسل غيرك وتستريح أنت من العناء، وفي حديث عائشة من الفوائد بيان ما هو الأولى بالمصاب من الهيئات، ومشروعية الانتصاب للعزاء على هيئته، وملازمة الوقار والتثبت، وفيه إطلاق الدعاء بلفظ لا يقصد الداعي إيقاعه بالمدعو به، لأن قول عائشة «أرغم الله أنفك» أي ألصقه بالتراب، ولم ترد حقيقة هذا، وإنما جرت عادة العرب بإطلاق هذ اللفظة في موضع الشماتة بمن يقال له، ووجه المناسبة في قوله «أحث في أفواههن» دون أعينهن مع أن الأعين محل البكاء الإشارة إلى أنّ النهي لم يقع عن مجرد البكاء، بل عن قدر زائد عليه من صياح أو نياحة، والله أعلم.

٤٢٦٤ ـ عن عامرٍ قال: «كانَ ابنُ عمرَ إذا حَيّا ابنَ جعفرٍ قال: السلامُ عليك يا ابنَ ذي الجناحَين»

٤٢٦٥ ـ عَنْ قيسِ بن أبي حازمٍ قال: «سمعتُ خالدَ بن الوَليد يقول: لقد انقطعَت في يدي يوم مؤتة تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يَمانية».

[الحديث ٤٢٦٥ - طرفه في: ٤٢٦٦]

٤٢٦٦ ـ عنْ قَيسٍ قالَ: «سمعتُ خالدَ بن الوليد يقول: لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتةَ تسعةُ أسياف، وصبَرت في يدي صفيحةٌ لي يَمانية».

قوله (دُق في يدي) فسره في الرواية الأولى بقوله «انقطعت».

٤٢٦٧ ـ عنِ النعمانِ بن بَشيرٍ رضي اللّهُ عنهما قال: «أغميَ على عبدِ اللّه بن رَواحة، فجعلَتْ أختُهُ عَمرةُ تبكي: واجَبَلاه، واكذا واكذا، تُعدِّدُ عليه، فقال حين أفاقَ: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: آنتَ كذلك».

[الحديث ٤٢٦٧ - طرفه في: ٤٢٦٨]

٤٢٦٨ ـ عنِ النعمانِ بن البشيرِ قال: «أُغميَ على عبدِ اللّه بن رواحة،،، بهذا، فلما ماتَ لم تَبكِ عليهِ».

قوله (أغمي على عبد الله بن رواحة) أي ابن ثعلب بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي أحد شعراء النبي ﷺ من الأنصار وأحد النقباء بالعقبة وأحد البدريين.

٤٥ ـ باب بعثِ النبيِّ ﷺ أسامةَ بن زيدٍ إلى الحُرقاتِ من جُهَيْنَةَ

٤٢٦٩ ـ عن أسامةَ بن زيدٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قال: «بَعثَنا رسولُ اللّه ﷺ إلى الحُرَقَةِ، فصبَّحْنا القومَ فهزَمْناهم، ولحِقْتُ أنا ورجلٌ من الأنصارِ رجلاً منهم، فلما غَشيناهُ فقال: لا إله إلاّ اللّه، فكفَّ الأنصاري، فطعنتُهُ برمحي حتى قتلتُه، فلما قدِمنا بَلغ النبيَّ ﷺ فقال: يا أسامة أقتلتَهُ بعد ما قال لا إله إلا اللّه؟ قلتُ: كان متعوذاً، فما زال يُكررُها حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمت قبلَ ذلك اليوم».

[الحديث ٤٢٦٩ - طرفه في ٦٨٧٢]

٤٢٧٠ ـ عَنْ يزيد بن أبي عُبيدٍ قال: «سمعتُ سلمةَ بن الأكوَعِ يقول: غزوتُ مع النبيِّ ﷺ سبعَ غزَواتٍ، وخرجتُ فيما يبعثُ منَ البعوثِ تسعَ غزواتٍ: مرَّةً علينا أبو بكرٍ، ومرَّةً علينا أسامة».

[الحديث ٤٢٧٠ - أطرافه في: ٤٢٧١، ٤٢٧٢، ٤٢٧٣]

٤٢٧١ ـ عن سلمةَ قال: «غزوتُ معَ النبيِّ ﷺ سبع غزواتٍ، وخرجتُ فيما يَبعثُ من البعث تسعَ غزواتٍ ، مرَّةً علينا أبو بكر، ومرَّةً أسامة».

٤٢٧٢ ـ عن سلمةَ بن الأكوَع رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «غزوتُ مع النبيِّ ﷺ تِسعَ غزوات، وغزوتُ مع ابن حارثةَ استعملَهُ علينا».

٤٢٧٣ ـ عن سلمةَ بن الأكوع رضي اللهُ عَنْهُ قالَ: «غزوتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ سَبْعَ غزَوات - فذكر خيبرَ والحديبيةَ ويومَ حُنَين ويومَ القَرَد - قال يزيد: ونسيتُ بقيتَهم».

٤٦ ـ باب غزوة الفتح

وما بعثَ به حاطِبُ بن أبي بلتعةَ إلى أهل مكة يخبرهم بغزوِ النبيِّ ﷺ

٤٢٧٤ ـ عن عُبيدِ الله بن أبي رافع قال: «سمعتُ علياً رضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ أنا والزُّبيرَ والمقدادَ فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ، فإنَّ بها ظَعينةً معها كتابٌ فخذوا منها، قال فانطلَقنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحنُ بالظَّعينةِ، قلنا لها: أخرجي الكتابَ، قالت: ما معي كتابٌ، فقلنا: لتُخرِجنَّ الكتاب أوْ لنُلقينَّ الثيابَ، قالَ فأخرَجَتْهُ من عِقاصِها، فأتَينا بهِ رسولَ الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطبِ بن أبي بَلتَعةَ - إلى ناسٍ بمكةَ من المشركين - يُخبرهُم ببعضِ أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ: فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: يَا حاطبُ ما هذا؟ قال يارسولَ الله، لا تعجَلْ عليَّ، إني كنتُ امرَءاً مُلصَقاً في قريش، يقول: كنتُ حَليفًا، ولم أكن من أنفُسِها، وكان مَن معكَ منَ المهاجرين مَن لهم بها قَراباتٌ يحمونَ أهليهم وأموالَهم، فأحبَبتُ إذ فاتني ذلكَ منَ النسب فيهم أن أتخذَ عندهم يداً يَحمُونَ قَرابتي، ولم أفعَلهُ ارتداداً عَنْ ديني ولا رضاً بالكفر بعدِ الإسلام، فقَالَ رسولُ الله ﷺ: أما إنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فقَالَ عمر: يارسولَ اللهِ، دعني أضرب عَنَقَ هذا المنافق، فقالَ: إنَّهُ قَدْ شَهِدَ بدراً، وما يُدريكَ لعل اللهُ اطَّلعَ على من شهِدَ بدراً قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم، فأنزلَ الله السورةَ /الممتحنة: ١/: {يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخِذوا عدُوِّي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق -إلى قوله - فقد ضَلَّ سواء السبيل}

قوله (باب غزوة الفتح) أي فتح مكة شرفها الله تعالى.

وسيأتي تكملة شرح هذا الحديث في سورة الممتحنة.

٤٧- باب غزوةِ الفتحِ في رمضان

٤٢٧٥-عن عُبيدِ الله بن عبدِ الله بن عُتبة أن ابنَ عباسٍ أخبرهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ غزا غَزوةَ الفتح في رمضان».

قال وسمعتُ ابن المسيب يقول مثل ذلك. وعن عُبيدِ اللهِ بن عبد الله أخبره أنَّ ابن عباس رضيَ الله عنهما قال «صامَ رسولُ اللهِ ﷺ، حتى إذا بلغَ الكَديدَ، الماء الذي بين قُدَيدٍ وعُسفانَ أفطرَ،فلم يَزلْ مُفطراً حتى انسلخَ الشهر»

٤٢٧٦-عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما «أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ في رمضانَ من المدينةِ ومعهُ عشرةُ آلاف، وذلك على رأسِ ثمانِ سنينَ ونصفٍ من مَقْدمه المدينةَ، فسار هوَ ومن معهُ من المسلمين إلى مكة، يصومُ ويصومونَ حتى بلغَ الكَديدَ - وهو ماء بين عُسفانَ وقُدَيد - أفطرَ وأفطروا» قال الزُّهري:وإنما يؤخَذُ مِن أمرِ النبيِّ ﷺ الآخِرُ فالآخِر.

٤٢٧٧-عنِ ابن عباس قال «خرجَ النبيُّ ﷺ في رمضانَ إلى حُنَين والناسُ مُختلِفون :فصائمٌ ومُفطِر، فلما استوَى على راحلتهِ دعا بإناء من لبن أو ماء فوضَعَهُ على راحَتهِ - أو على راحلتِه - ثمَّ نظرَ إلى الناس : فقال المفطِرونَ للصوَّامِ :أفطروا».

٤٢٧٨-عنِ ابن عباس رضي الله عنهما «خرجَ النبيُّ ﷺ عامَ الفتح».

٤٢٧٩-عنِ ابن عباس قال «سافرَ رسولُ اللهِ ﷺ في رمضانَ، فصامَ حتى بلغَ عُسفانَ، ثمَّ دعا بإناء من ماء فشربَ نهاراً لِيراه الناسُ فأفطرَ حتى قَدِمَ مكة قال: وكان ابنُ عباسٍ يقول «صامَ رسولُ الله ﷺ في السفرِ وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر».

قوله (باب غزوة الفتح في رمضان)أي كانت في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وقد تقدم بيان ذلك في كتاب الصيام في الكلام على حديث ابن عباس المذكور في هذا الباب، وقد تقدم هناك أنهم خرجوا من المدينة لعشر مضين من رمضان، وزاد ابن إسحق عن الزهري بهذا الإسناد أنه ﷺ استعمل على المدينة أبا رهم الغفاري.

وروى يعقوب بن سفيان من رواية ابن إسحق عن جماعة من مشايخه أن الفتح كان في عشرة بقين من رمضان، فإن ثبت حمل على أن مراده أنه وقع في العشر الأوسط، قبل أن يدخل العشر الأخير.

قوله في الطريق الثانية (ومعه عشرة آلاف) أي من سائر القبائل، وفي مرسل عروة عند ابن إسحق وابن عائذ «ثم خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفا من المهاجرين والأنصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وسليم» ويجمع بينهما بأن العشرة آلاف خرج بها من المدينة ثم تلاحق بها الألفان.

قوله (وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة)هكذا وقع في رواية معمر، وهو وهم، والصواب على رأس سبع سنين ونصف، وإنما وقع الوهم من كون غزوة الفتح كانت في سنة ثمان، ومن أثناء ربيع الأول إلى أثناء رمضان نصف سنة سواء.

٤٨- باب أينَ ركزَ النبيُّ ﷺ الرايةَ يومَ الفتح؟

٤٢٨٠-عن هشام عن أبيه قال «لما سار رسولُ اللهِ ﷺ عامَ الفتح، فبلغ ذلك قُريشاً، خرجَ أبو سفيانَ بن حرب وحكيمُ بن حِزام وبُديلُ بن ورقاءَ يلتمسون الخَبرَ عن رسولِ الله ﷺ، فأقبلوا يسيرونَ حتى أتَوا مرَّ الظَّهرانِ، فإذا هم بنيران كأنها نيرانُ عرفةَ، فقال أبو سفيانَ :ماهذه؟ لكأنها نيرانُ عرفة. فقال بُدَيلُ بن ورقاءَ :نيرانُ بنى عمرو، فقال أبو سفيان :عمرٌو أقلُّ من ذلك، فرآهم ناسٌ من حَرَس رسولِ الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسولَ الله ﷺ فأسلَم أبو سفيان، فلما سار قال للعبَّاس :احبِسْ أبا سفيانَ عند خَطْمِ الجَبل حتى ينظرَ إلى المسلمين، فحَبَسهُ العباسُ، فجَعَلت القبائل تمُرُّ مع النبي ﷺ :تَمرُّ كتيبة كتيبة على أبي سفيانَ، فمرَّت كتيبة فقال :يا عبَّاسُ من هذه ؟ فقال :هذه غِفار، قال: ما لي ولِغفار. ثمَّ مرَّت جُهَينةُ، قال مثلَ ذلك. ثمَّ مرَّت سعدُ بن هُذَيم، فقال مثل ذلك.ومرَّت سُلَيم، فقال مثل ذلك. حتى أقبلَت كتيبةٌ لم يرَ مثلَها، قال :من هذه ؟ قال :هؤلاء الأنصار : عليهم سعدُ بن عُبادة معهُ الراية، فقال سعدُ بن عُبادة :يا أبا سفيانَ، اليومَ يومُ الملحمة، اليومَ تُستحلُّ الكعبة. فقال أبو سفيان :يا عبَّاس حبَّذا يومُ الذِّمار. ثم جاءت كتيبة - وهي أقلُّ الكتائب - فيهم رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابهُ، ورايةُ النبي ﷺ معَ الزُّبير بن العوّام، فلما مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بأبي سفيانَ قال :ألم تعلم ما قال سعدُ بن عُبادة ؟ قال :ما قال ؟ قال :قال كذا وكذا فقال :كذبَ سعد، ولكنْ هذا يومٌ يُعظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ ويومٌ تُكسى فيه الكعبةُ. قال وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أن تُركزَ رايتُهُ بالحَجون» قال عروة :وأخبرني نافع بن جُبير بن مُطعِم قال «سمعتُ العباسَ يقول للزُّبير بن العوام :يا أبا عبدِ الله،ها هنا أمركَ رسولُ اللهِ ﷺ أن تَركزَ الراية، قال :وأمرَ رسولُ لله ﷺ يومئذٍ خالدَ بن الوَليد أن يَدخلَ من أعلى مكةَ، من كَداء، ودخلَ النبيُّ ﷺ من كُدا فقُتِلَ من خيلِ خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذٍ رجلان:حُبَيشُ بن الأشعَر، وكُرزُ بن جابر الفِهريّ»

قوله (باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح)أي بيان المكان الذي ركزت فيه راية النبي ﷺ بأمره.

قوله (نيران عرفة) إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة، وعند ابن سعد أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار.

قوله (فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم) **في** رواية ابن عائذ، كان رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلا تقبض العيون، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضي، فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل».

قوله (احبس أبا سفيان)في رواية موسى بن عقبة أن العباس قال لرسول الله ﷺ لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر، فاحبسه حتى تريه جنود الله، ففعل، فقال أبو سفيان:أغدراً يا بني هاشم ؟ قال العباس لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله للمشركين وما أعد الله للمشركين، فحبسه بالمضيق دون الأراك حتى أصبحوا.

قوله(عند خطم الجبل) أي ازدحامها، وإنما حبسه هناك لكونه مضيقا ليرى الجميع ولا يفوته رؤية أحد منهم.

قوله (معه الراية)أي راية الأنصار.

قوله (فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة)أي يوم حرب لا يوجد منه مخلص، أي يوم قتل، يقال لحم فلان فلاناً إذا قتله.

قوله (اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عبّاس حبّذا يوم الذّمار) ومراد سعد بقوله يوم الملحمة يوم المقتلة العظمى، ومراد أبي سفيان بقوله يوم الذمار أي الهلاك، قال الخطابي: تمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم. وقيل المراد هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه، قال ابن إسحق أن سعدا قال:اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يارسول الله ما آمن أن يكون لسعد **في** قريش صولة فقال لعلي:أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها، قال ابن هشام الرجل المذكور هو عمر، قلت: وفيه بعد،لأن عمر كان معروفاً بشدة البأس عليهم، وقد روى الأموي **في** المغازي أن أبا سفيان قال للنبيّ ﷺ لما حاذاه:أمرت بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قاله سعد بن عبادة، ثم ناشده الله والرحم، فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشاً، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس.

قوله (يوم يعظم[1]فيه الكعبة) يشير إلى ما وقع من إظهار الاسلام وأذان بلال على ظهرها وغير ذلك مما أزيل عنها مما كان فيها من الأصنام ومحو ما فيها من الصور وغير ذلك.

قوله (ويوم تكسى فيه الكعبة)قيل إن قريشاً كانوا يكسون الكعبة في رمضان فصادف ذلك اليوم، أو المراد باليوم الزمان كما قال يوم الفتح، فأشار النبي ﷺ إلى أنه هو الذي يكسوها **في** ذلك العام، ووقع ذلك.

(١) رواية الباب واليونينية "هذا يوم يعظّم الله فيه الكعبة".

قوله (وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون.)، هو مكان معروف بالقرب من مكة.

قوله (وأمر النبي[١] ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء)أي بالمد، ودخل النبي ﷺ من كدا أي بالقصر، وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية أن خالدا دخل من أسفل مكة والنبي ﷺ من أعلاها، وكذا جزم ابن إسحق أن خالداً دخل من أسفل ودخل النبي ﷺ من أعلاها وضربت له هناك قبة.

قوله (فقتل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذ رجلان: وذكر ابن إسحق أن هذين الرّجلين سلكا طريقا فشذا عن عسكر خالد فقتلهما المشركون يومئذ، وذكر ابن إسحق أن أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش، منهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية كانوا تجمعوا بالخندمة مكان أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين، فناوشوهم شيئا من القتال، فقتل من خيل خالد مسلمة بن الميلاء الجهني، وقتل من المشركين إثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر وانهزموا، وفي ذلك يقول حماس بن قيس بن خالد البكري -قال ابن هشام:ويقال هي للمرعاش الهذلي- يخاطب امرأته حين لامته على الفرار من المسلمين :

إنكِ لو شهدتِ يومَ الخنْدَمة ... إذ فرَّ صفوان وفر عكرمة
واستقبلَتْنا بالسيوف المسلمة ... يقطعْن كلَّ ساعدٍ وجُمْجمة
ضرباً فلا يُسمع إلا غمْغمه ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

وعند موسى بن عقبة :واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش، فقاتلوا خالدا، فقاتلهم، فانهزموا وقتل من بني بكر نحو عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا في الدور، وارتفعت طائفة منهم على الجبال، وصاح أبو سفيان :من أغلق بابه وكف يده فهو آمن، قال :ونظر رسول اللهِ ﷺ إلى البارقة فقال :ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ فقالوا:نظن أن خالداً قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل،ثم قال: وقال رسول اللهِ ﷺ بعد أن اطمأن لخالد بن الوليد«لمَ قاتلت وقد نَهيتُك عن القتال ؟ فقال: هم بدءونا بالقتال ووضعوا فينا السلاح، وقد كففتُ يديَّ ما استطعت.فقال: قضاء الله خير»

وروى الطبراني من حديث ابن عباس قال وقد كان رسول اللهِ ﷺ أمر أمراءه أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سمَّاهم.

وقد جمعت أسماءهم من مفرقات الأخبار وهم :عبد الرحمن بن خطَل،وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نُقَيد ومقيس بن صبابه، وهبار بن

(١) رواية الباب واليونينية "وأمر رسول الله صلى يومئذٍ خالد بن الوليد ..."

الأسود، وقينتان كانتا لابن خطل تغنيان بهجو النبي ﷺ، وسارة مولاة بني المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب، فأما ابن أبي سرح فكان أسلم ثم ارتد ثم شفع فيه عثمان يوم الفتح إلى النبي ﷺ فحقن دمه وقبل إسلامه، وأما عكرمة ففر إلى اليمن فتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فرجع معها بأمان من رسول الله ﷺ، وأما الحويرث فكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ بمكة فقتله علي يوم الفتح،وأما مقيس بن صبابه فكان أسلم ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله، وكان الأنصاري قتل أخاه هشاما خطأ، فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد، فقتله نميلة بن عبد الله يوم الفتح وأما هبار فكان شديد الأذى للمسلين وعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس بعيرها فأسقطت ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت، فلما كان يوم الفتح بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه أعلن بالاسلام فقبل منه فعفا عنه، وأما القينتان فاسمهما فرتني وقرينة، فاستؤمن لإحداهما فأسلمت وقتلت الأخرى.وأما سارة فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر، وذكر الحاكم أيضا ممن أهدر دمه كعب بن زهير وقصته مشهورة، وقد جاء بعد ذلك وأسلم ومدح، ووحشي بن حرب وقد تقدم شأنه في عزوة أحد، وهند بنت عتبة اِمرأة أبي سفيان وقد أسلمت، وأرنب مولاة ابن خطل أيضا قتلت. وأم سعد قتلت فيما ذكر ابن إسحق فكملت العدة ثمانية رجال وست نسوة.

وروى أحمد ومسلم والنسائي من طريق عبد الله بن رباح عن أبي هريرة قال «أقبل رسول الله ﷺ، وقد بعث على إحدى الجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر- أي الذين بغير سلاح - فقال لي: يا أبا هريرة اهتف لي بالأنصار، فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا به، فقال لهم :أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ ثم قال بإحدى يديه على الأخرى :احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا، قال أبو هريرة :فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحداً منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال فقال رسول الله ﷺ: من أغلق بابه فهو آمن » وقد تمسك بهذه القصة من قال إن مكة فتحت عَنوة وهو قول الأكثر،وعن الشافعي ورواية عن أحمد أنها فتحت صلحا لما وقع هذا التأمين، ولإضافة الدور إلى أهلها، ولأنها لم تقسم، ولأن الغانمين لم يملكوا دورها وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها، وحجة الأولين ما وقع من التصريح من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد، وبتصريحه ﷺ بأنها أحلت ساعة من نهار، ونهيه عن التأسي به في ذلك، وأجابوا عن ترك القسمة بأنها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها ويترك لهم دورهم وغنائمهم، لأن قسمة الأرض المغنومة ليست متفقا عليها، بل الخلاف ثابت عن الصحابة فمن بعدهم، وقد فتحت أكثر البلاد عنوة

فلم تقسم وذلك في زمن عمر وعثمان مع وجود أكثر الصحابة، وقد زادت مكة عن ذلك بأمر يمكن أن يدعى اختصاصها به دون بقية البلاد، وهي أنها دار النسك ومتعبد الخلق، وقد جعلها الله تعالى حرما سواء العاكف فيه والباد.

ويمكن الجمع بين حديث أبي هريرة في أمره ﷺ بالقتال وبين حديث الباب في تأمينه ﷺ لهم بأن يكون التأمين علق بشرط وهو ترك قريش المجاهرة بالقتال، فلما تفرقوا إلى دورهم ورضوا بالتأمين المذكور لم يستلزم أن أوباشهم الذين لم يقبلوا ذلك وقاتلوا خالد بن الوليد ومن معه فقاتلهم حتى قتلهم وهزمهم أن تكون البلد فتحت عنوة، لأن العبرة بالأصول لا بالأتباع وبالأكثر لا بالأقل، ولا خلاف مع ذلك أنه لم يجر فيها قسم غنيمة ولاسُبي من أهلها ممن باشر القتال أحد، وهو مما يؤيد قول من قال لم يكن فتحها عنوة.

٤٢٨١-عن معاويةَ بن قُرَّة قال «سمعتُ عبدَ الله بن مُغفَّل يقول :رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورةَ الفتح يُرَجِّعُ وقال :لولا أن يجتمعَ الناسُ حَولي لرجَّعتُ كما رجَّع ».

[الحديث ٤٢٨١- أطرافه في :٤٨٣٥، ٥٠٣٤، ٥٠٤٧، ٧٥٤٠]

٤٢٨٢-عن أُسامةَ بن زيد أنهُ قال زمنَ الفتح: يا رسولَ الله،أينَ نَنزِلُ غداً ؟ قال النبي ﷺ :وهل ترك لنا عَقيلٌ مِن منزل ؟».

٤٢٨٣- «ثمَّ قالَ لاَ يَرِثُ المؤمنُ الكافرَ، ولا الكافرُ المؤمن، قيل للزُّهريِّ: ومَن ورِثَ أبا طالب ؟ قال ورِثَهُ عَقيلٌ وطالب، وقال مَعمر عن الزهريِّ :أينَ ننزِلُ غداً ؟ في حَجَّتهِ، ولم يَقل يونس حَجَّتهِ ولا زمنَ الفتح »

٤٢٨٤-عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال « قال رسولُ اللهِ ﷺ مَنزِلنا إن شاء الله إذا فتح الله - الخيفُ، حيث تَقاسموا على الكفر ».

٤٢٨٥-عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال «قال رسول الله ﷺ حين أرادَ حنيناً :منزلنا غداً إن شاء اللهُ بخَيفِ بني كِنانة، حيث تَقاسَموا على الكفر ».

قوله (يرجِّع)، والترجيع ترديد القارئ، الحرف في الحلق.

قوله (ورثه عقيل وطالب) تقدم في الحج ومن رواية يونس عن الزهري بلفظ «وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئاً لأنهما كانا مسلميْن، وكان عقيل وطالب كافريْن انتهى، وهذا يدل على تقدم هذا الحكم في أوائل الإسلام، لأن أبا طالب مات قبل الهجرة، ويحتمل أن تكون الهجرة لما وقعت استولى عقيل وطالب على ما خلفه أبو طالب، وكان أبو طالب قد وضع يده على ما خلفه عبد الله والد النبي ﷺ لأنه كان شقيقه

وكان النبي ﷺ عند أبي طالب بعد موت جده عبد المطلب، فلما مات أبو طالب ثم وقعت الهجرة ولم يسلم طالب وتأخر إسلام عقيل استوليا على ما خلف أبو طالب، ومات طالب قبل بدر وتأخر عقيل، فلما تقرر حكم الاسلام بترك توريث المسلم من الكافر استمر ذلك بيد عقيل فأشار النبي ﷺ إلى ذلك، وكان عقيل قد باع تلك الدور كلها، واختلف في تقرير النبي ﷺ عقيلا على ما يخصه هو فقيل :ترك له ذلك تفضلا عليه، وقيل استمالة له وتأليفًا، وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح أنكحتهم.

قوله (حيث تقاسموا)يعنى قريشاً (على الكفر) أي لما تحالف قريش أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يؤوهم وحصروهم في الشِّعْب.

قوله في الطريق الثانية (قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا) أي في غزوة الفتح لأن غزوة حنين عقب غزوة الفتح.

قيل إنما اختار النبيُّ ﷺ النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنهم من دخول مكة ظاهرا على رغم أنف من سعى في إخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين أساءوا ومقابلتهم بالمنِّ والإحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٤٢٨٦-عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ مكةَ يومَ الفتح وعلى رأسهِ المغفرُ، فلما نزَعَهُ جاء رَجلٌ فقال :ابنُ خَطَلٍ متعلّقٌ بأستار الكعبة، فقال اقتُلْهُ، قال مالكٌ :ولم يَكنِ النبيُّ ﷺ فيما نرَى - والله أعلمُ - يؤمئذٍ مُحرِماً»

٤٢٨٧-عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال « دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ يومَ الفتح وحولَ البيتِ ستونَ وثلاثمائةِ نُصُب، فجعلَ يَطعنُها بعود في يدِه ويقول :جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ، جاء الحقُّ وما يُبدئُ الباطلُ وما يُعيد »

٤٢٨٨-عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما قدمَ مكةَ أبى أن يَدخُلَ البيتَ وفيه الآلهةُ، فأمرَ بها فأُخرِجَت، فأُخرِجَ صورةُ إبرهيمَ وإسماعيلَ في أيديهما منَ الأزْلام، فقال النبيُّ ﷺ قاتلَهمُ اللهُ،لقد علِموا ما استَقْسَما بها قط، ثُم دخلَ البيتَ فكبَّرَ في نواحي البيتِ وخرجَ ولم يُصلِّ فيه».

واستُدل بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة على أن الكعبة لا تعيذ من وجب عليه القتل، وأنه يجوز قتل من وجب عليه القتل في الحرم، وفي الاستدلال بذلك نظر لأن المخالفين تمسكوا بأن ذلك إنما وقع في الساعة التي أحل للنبي ﷺ فيها القتالُ بمكة، وقد صرح بأن حرمتها عادت كما كانت، والساعة المذكورة وقع عند أحمد من حديث عمرو بن

شعيب عن أبيه عن جده أنها استمرت من صبيحة يوم الفتح إلى العصر.

قوله (ستون وثلاثمائة نُصُب) هي واحدة الأنصاب للعبادة من دون الله تعالى.

قوله (بعود في يده ويقول: جاء الحق)، وفعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها، ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تدفع عن نفسها شيئا.

قوله (الأزلام)هي السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر.

وفي الحديث كراهية الصلاة في المكان الذي فيه صور لكونها مظنة الشرك، وكان غالب كفر الأمم من جهة الصور.

٤٩ -باب دُخولِ النبي ﷺ من أعلى مكة

٤٢٨٩-عنِ عبدِ اللهِ بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أقبلَ يومَ الفتح من أعلى مكةَ على راحلتهِ مردفاً أسامةَ بن زيد ومعهُ بلالٌ ومعهُ عثمانُ بن طلحةَ منَ الحَجبةِ حتى أناخ في المسجدِ، فأمرَهُ أن يأتيَ بمفتاح البيتِ، فدخلَ رسولُ اللهِ ﷺ ومعهُ أسامة بن زيد وبلالٌ وعثمانُ بن طلحةَ، فمكثَ فيهِ نهاراً طويلاً، ثمَّ خرجَ فاستبقَ الناسُ، فكان عبدُ اللهِ بن عمرَ أولَ من دخلَ، فوجد بلالا وراء البابِ قائماً فسأله :أينَ صلّى رسولُ اللهِ ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلّى فيه، قال عبدُ اللهِ :فنسيتُ أن أسألَه : كم صلّى سجدة».

٤٢٩٠-عن هشام بن عروةَ عن أبيهِ «انَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أخبرَتهُ أن النبيَّ ﷺ دخلَ عامَ الفتح من كَداءِ التي بأعلى مكة» تابعه أبو أسامة ووُهَيبٌ «في كَداء»

٤٢٩١-عن هشام عن أبيهِ «دخلَ النبيُّ ﷺ عامَ الفتح من أعلى مكةَ من كَداء»

قوله (باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة) أي حين فتحها، وقد روى الحاكم في «الإكليل» من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال « دخل رسول اللهِ ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعا».

قوله (فأمره أن يأتي بمفتاح البيت) روى عبد الرزاق والطبراني من جهته من مرسل الزهري «أن النبي ﷺ قال لعثمان يوم الفتح: ائتني بمفتاح الكعبة، فأبطأ عليه ورسول الله ﷺ ينتظره حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول :ما يحبسه؟ فسعى إليه رجل، وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول: إن أخذه منكم لا يعطيكموه أبداً، فلم يزل بها حتى أعطت المفتاح، فجاء به ففتح، ثم دخل البيت، ثم خرج فجلس عند السقاية فقال علي: إنا أعطينا النبوةَ والسِّقايةَ والحجابة، ما قوم بأعظمَ نصيبا منّا، فكره النبي ﷺ مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح إليه.

قال ابن إسحق :وحدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قام على باب الكعبة، فذكر الحديث،

وفيه :ثم قال يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا :خيرا،أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

٥٠ - باب منزلِ النبيِّ ﷺ يومَ الفتح

٤٢٩٢-عن عمرو عنِ ابن أبي ليلى قال «ما أخبرَنا أحدٌ أنهُ رأى النبيَّ ﷺ يصلِّي الضحى غيرَ أمِّ هانىء، فإنها ذكرَت أنَّه يومَ فتح مكةَ اغتَسلَ في بيتِها، ثمَّ ﷺ ثمانيَ ركعات، قالت لم أره ﷺ صلاة أخفَّ منها،غيرَ أنه يتمُّ الركوع والسجود »

قوله (باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح) أي المكان الذي نزل فيه، وقد تقدم قريبا في الكلام على الحديث الثالث أنه نزل بالمحصب، وهنا أنه في بيت أم هانىء، ولا مغايرة بينهما لأنه لم يقم في بيت أم هانئ وإنما نزل به حتى اغتسل وﷺ ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته عند شعب أبي طالب، وهو المكان الذي حصرت فيه قريش المسلمين.

٥١ - باب * ٤٢٩٣ -عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت « كان النبيُّ ﷺ يقول في ركوعهِ وسجودهِ سُبحانكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدِك، اللهمَّ اغفرْ لي ».

٤٢٩٤-عنِ ابن عبَّاس رضيَ اللهُ عنهما قال « كان عمرُ يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضُهم :لمَ تُدخِلُ هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثلهُ ؟ فقال : إنهُ ممن قد علمتم، فدعاهم ذاتَ يوم ودَعاني معهم، قال :وما أريتهُ دعاني يومئذ إلا لِيريَهم منِّي، فقال: ما تقولونَ في {إذا جاء نصرُ اللهِ والفتح ورأيتَ الناسَ يَدخُلونَ في دينِ اللهِ أفواجا} حتى ختَمَ السورة، فقال بعضُهم :أُمِرنا أن نحمدَ الله ونستغفِرَهُ إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم، لا ندري، أو لم يقلْ بعضُهم شيئاً، فقال لي :يا ابن عباس أكذلك تقول ؟ قلتُ :لا،قال فما تقولُ ؟ قلتُ :هو أجَلُ رسولِ الله ﷺ أعلمهُ اللهُ لهُ إذا جاءَ نصرُ الله، والفتحُ فتح مكةَ فذاكَ علامة أجَلِكَ، فسبِّح بحمد ربِّك واستغفِرهُ، إنهُ كان توّابا، قال عمرُ : ما أعلمُ منها إلاّ ما تَعلم »

٤٢٩٥-عن أبي شُرَيح العَدَويِّ أنه قال لعمرو بنِ سعيد وهو يَبعثُ البعوثَ إلى مكةَ : ائذَن لي أيُّها الأميرُ أُحدِّثكَ قولا قام بهِ رسولُ الله ﷺ الغَدَ من يوم الفتح، سمِعَتْهُ أذنايَ ووعاهُ قلبي وأبصرَتْهُ عينايَ حينَ تكلَّمَ به :أنه حَمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثمَّ قال: إنَّ مكةَ حَرَّمَها اللهُ ولم يحرِّمْها الناسُ، لا يَحِل لامرئ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يسفكَ بها دماً، ولا يعضِدَ بها شجراً، فإن أحدٌ ترخَّصَ لقتالِ رسولِ الله فيها فقولوا له: إنَّ اللهَ أذِنَ لرسولهِ ولم يَأذَنْ لكم، وإنما أذِنَ له فيه ساعة من نهار، وقد عادَت حُرمتُها اليومَ كحرمتِها بالأمس وليبلغِ الشاهدُ الغائبَ، فقيلَ لأبي شُرَيح: ماذا قال لكَ عمرٌو؟ قال: قال

أنا أعلمُ بذلكَ منك يا أبا شُرَيح، إنَّ الحرَمَ لا يُعِيذُ عاصِيا، ولا فاراً بدَم، ولا فاراً بخَرْبَة» قال أبو عبد الله الخربة البلية.

٤٢٩٦ - عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما «أنه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ عامَ الفتح وهو بمكةَ :إنَّ اللهَ ورسولَهُ حرَّمَ بيع الخمر »

قوله (ممن قد علمتم) أي فضله، وقوله (ليريهم مني)أي بعض فضيلتي.

٥٢ ـ باب مقام النبيِّ ﷺ بمكةَ زمنَ الفتح

٤٢٩٧-عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ «أقمنا مع النبيِّ ﷺ عَشراً نقصر الصلاةَ»

٤٢٩٨-عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال « أقامَ النبيُّ ﷺ بمكةَ تسعةَ عشرَ يوماً يُصلِّي ركعتين »

٤٢٩٩-عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال «أقمنا معَ النبيِّ ﷺ في سفر تسعَ عشرةَ نقصُرُ الصلاةَ، وقال ابن عباس ونحن نَقصرُ ما بينَنا وبينَ تسعَ عشرةَ، فإذا زِدنا أتممنا».

قوله (باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح) الذي أعتقده أن حديث أنس إنما هو في حجة الوداع، فإنها هي السفرة التي أقام فيها بمكة عشراً، لأنه دخل يوم الرابع وخرج يوم الرابع عشر، وأما حديث ابن عباس فهو في الفتح وقد قدمت ذلك بأدلته في باب قصر الصلاة(١).

٥٣ ـ باب * ٤٣٠٠-عنِ ابن شهاب «أخبرَني عبدُ اللهِ بن ثَعلبةَ ابن صُعَير، وكـان النبيُّ ﷺ قد مسحَ وَجهَهُ عام الفتح».

[الحديث ٤٣٠٠- طرفه في :٦٣٥٦]

٤٣٠١- عن مَعمَر عن الزُّهريِّ عن سُنَين أبي جميلةَ قال أخبرنا ونحنُ مع ابنِ المسيَّبِ «قال وزعم أبو جميلةَ أنهَ أدركَ النبيَّ ﷺ وخرجَ معهُ عام الفتح.

قوله (باب) كذا في الأصول بغير ترجمة.

٤٣٠٢- عن عمروِ بن سَلمةَ قال «قال لي أبو قِلابةَ ألا تَلقاهُ فتسألهُ فقال : كنَّا بما ممرَّ الناسِ، وكانَ يَمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم : ما الناسِ، ما الناس ؟ ما هذا الرجلُ فيقولون: يَزعمُ أنَّ الله أرسلَهُ، أوحى إليه أو أوحى اللهُ بكذا، فكنتُ أحفظُ ذاكَ الكلام فكأنما يقرُّ في صدري، وكانتِ العربُ تَلوَّمُ بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق، فلما كانت وقعة أهلِ الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامِهم، وبدرَ أبي قومي بإسلامِهم، فلما قدمَ قال: جِئتُكم واللهِ من عندِ النبيِّ ﷺ حقاً، فقال: صلُّوا صلاةَ كذا في حينِ كذا، وصلُّوا صلاةَ كذا في حينِ كذا، فإذا حَضرَت الصلاةُ فليُؤذن أحدكم، وليؤمَّكم

(١) كتاب تقصير الصلاة باب / ١ ح ١٠٨٠ - ١ / ٢٤٥

أكثركم قرآناً، فنظروا، فلم يكن أحدٌ أكثرَ قرآناً مني، لِما كنتُ أتلقَّى منَ الرُّكبانِ، فقدَّموني بينَ أيديهم وأنا ابنُ ستّ أو سبع سنينَ، وكانت عليَّ بُردةٌ كنتُ إذا سجدتُ تَقلَّصَت عني، فقالتِ امرأةٌ منَ الحيِّ : ألا تُغطُّو عنّا إستَ قارِئكم، فاشتَروا، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرِحتُ بِشيءٍ فرَحي بذلك القميص ».

قوله (ماهذا الرجل)أي يسألو عن النبي ﷺ وعن حال العرب معه.

قوله (أوحي إليه، أوحى الله بكذا) يريد حكاية ما كانوا يخبرونهم به مما سمعوه من القرآن.

قوله (تقلصت) أي انجمعت وارتفعت وفي رواية أبي داود -تكشفت عني، وفي الحديث حجة للشافعية في إمامة الصبي المميز في الفريضة، وهي خلافية مشهورة ولم ينصف من قال إنهم فعلوا ذلك باجتهادهم، ولم يطلع النبي ﷺ على ذلك لأنها شهادة نفي » ولأن زمن الوحي لا يقع التقرير فيه على ما لا يجوز، كما استدل أبو سعيد وجابر لجواز العزل بكونهم فعلوه على عهد النبي ﷺ ولو كان منهيا عنه لنُهيَ عنه في القرآن، وكذا من استدل به بأن ستر العورة في الصلاة ليس شرطا لصحتها بل هو سنة، ويجزي بدون ذلك لأنها واقعة حال فيحتمل أن يكون ذلك بعد علمهم بالحكم.

٤٣٠٣-عن عائشةَ قالت «كان عُتبَةُ بن أبي وقاص عهدَ إلى أخيهِ سعدٍ أن يقبضَ ابنَ وَليدةِ زَمعةَ، وقال عتبةُ: إنَّهُ ابني، فلما قدِمَ رسولُ الله ﷺ مكةَ في الفتح أخذَ سعدُ بن أبي وقاصٍ ابنَ وَليدةِ زَمعةَ فأقبلَ بهِ إلى رسولِ الله ﷺ وأقبلَ معهُ عبدُ بن زمعةَ فقال سعدُ بن أبي وقاص : هذا ابنُ أخي عَهِدَ إليَّ أنهُ ابنُه فقال عبدُ بن زمعةَ، يا رسول الله هذا أخي، هذا ابنُ زمعةَ وُلدَ على فراشهِ فنظرَ رسول الله ﷺ إلى ابنِ وَليدة زَمعةَ فإذا أشبَهُ الناس بعتبةَ بن أبي وَقّاص فقال رسولُ اللهِ ﷺ هَو لكَ، هو أخوكَ يا عبدُ بن زَمعة من أجلِ أنه وُلدَ على فراشهِ، وقال رسول الله ﷺ احتَجبي منه يا سَودةُ، لما رأى من شَبَهِ عتبةَ بن أبي وَقّاص» قال ابنُ شهاب قالت عائشةُ قال رسولُ الله ﷺ «الوَلدُ للفراش، وللعاهِرِ الحَجر» وقال ابنُ شهاب :وكان أبو هريرة يصيحُ بذلك.

٤٣٠٤-عن عروة بن الزُّبير «أن امرأةً سرقت في عهدِ رسولِ الله ﷺ في غزوةِ الفتح ففَزِعَ قومُها إلى أسامةَ بن زيدٍ يستشفِعونه قال عروةُ: فلما كلَّمهُ أسامةُ فيها تَلوَّنَ وَجهُ رسولِ الله ﷺ فقال: أتكلِّمُني في حدٍّ من حدودِ الله؟ قال أسامة استغفر لِي يا رسولَ الله، فلَمَّا كانَ العشيُّ قام رسول الله ﷺ خطيبا فأثنى على الله بما هوَ أهله ثم قال: أما بعدُ فإنما أهلكَ الناسَ قبلكم أنَّهُمْ كانوا إذا سرقَ فيهم الشريفُ تركوهُ، وإذا سَرقَ فيهمُ

(١) رواية الباب واليونينية "هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة"

الضعيفُ أقاموا عليهِ الحدَّ، والذي نفسُ محمد بيدِه، لو أن فاطمةَ بنتَ محمد سَرَقَتْ لقطعتُ يدَها، ثمَّ أمر رسولُ الله ﷺ بتلك المرأةِ فقُطعَت يدُها، فحسُنَت توبَتها بعد ذلك وتزوَّجت، قالت عائشة، فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفَعُ حاجتَها إلى رسولِ الله ﷺ ».

وسيأتي شرح هذا الحديث في كتاب الحدود[١]، والغرض منه هنا الإشارة إلى أن هذه القصة وقعت يوم الفتح.

٤٣٠٥، ٤٣٠٦ - عن مجاشِعَ قال «أتيتُ النبيَّ ﷺ بأخي بعدَ الفتح، فقلت :يا رسولَ اللهِ، جئتك بأخي لتبايعَه على الهجرة، قال :ذهبَ أهلُ الهجرةِ بما فيها، فقلتُ على أيِّ شيء تبايعهُ؟ قال أبايعُهُ على الإسلام والإيمان والجهاد، فلَقِيتُ معبداً بعدُ -وكان أكبرهما- فسألتهُ فقال :صدق مجاشع».

٤٣٠٧، ٤٣٠٨- عن مجاشع بن مسعود «انطلقتُ بأبي مَعبَدٍ إلى النبيِّ ﷺ ليبايعهُ على الهجرة: قال مَضَتِ الهجرةُ لأهلِها أبايعَهُ على الإسلام والجهاد، فلَقيت أبا مَعبدٍ، فسألتهُ فقال: صدقَ مجاشِعٍ» وقال خالدٌ عن أبي عثمان عن مجاشع إنه جاء بأخيه مجالد»

٤٣٠٩- عن مجاهد «قلتُ لابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما :إني أريدُ أن أهاجرَ إلى الشام، قال لا هجرة، ولكن جهادٌ، فانطلقْ فاعرِضْ نفسكَ، فإن وجدتَ شيئاً وإلا رجعت».

٤٣١٠- عن مجاهد «قلت لابن عمرَ، فقال: لا هجرةَ اليومَ -أو بعدَ رسول الله ﷺ- مثله».

٤٣١١-أنَّ عبدَ الله بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما كان يقولُ: «لا هجرةَ بعد الفتح».

٤٣١٢-عن عطاءِ بن أبي رباح قال زُرت عائشةَ معَ عبَيد بن عمير، فسألها عن الهجرةَ فقالت: لا هجرةَ اليومَ، كان المؤمن يَفرُّ أحدُهم بدينهِ إلى اللهِ إلى ورسولِه ﷺ مخافةَ أن يُفتَنَ عليه، فأما اليومَ فقد أظهرَ اللهُ الإسلامَ، فالمؤمنُ يعبد ربَّهُ حيثُ شاء، ولكن جهادٌ ونيّة ».

٤٣١٣-عن مجاهد «أنَّ رسولَ الله ﷺ قام يومَ الفتح فقال: إنَّ الله حَرَّمَ مكة يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، فهيَ حَرامٌ بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحلَّ لأحد قبلي ولا تحلُّ بعدي، ولم تحللْ لي قطُّ إلا ساعة من الدهر: لا يُنفَّرُ صيدُها، ولا يعضَدُ شجرها ولا يختلَى خلاها، ولاتحلُّ لقطتها إلا لمُنشد، فقال العباس بن عبد المطلب :إلا الإذخرَ يا رسولَ الله،فإنهُ لا بدَّ منه للقَين والبيوت، فسكتَ ثمَّ قال :إلا الإذخرَ فانَّه حَلال».

وقد تقدم شرح هذا الحديث في كتاب الحج[٢].

(١) كتاب الحدود باب / ١٢ ح ٦٧٨٨ - ٥ / ١٩٥
(٢) كتاب جزاء الصيد باب / ١٠ ح ١٨٣٤ - ٢ / ١٢٥.

٥٤ - باب قول الله تعالى /٢٥ التوبة/

{ويَومَ حُنَينٍ إذ أعجَبَتْكم كَثرتُكم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكُم الأرض بما رَحُبَتْ ثم ولَّيتم مُدبرين، ثمَّ أنزلَ الله سكينتهُ -إلى قولهِ- غفورٌ رَحيم}

قوله (باب قوله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم -إلى قوله- غفور رحيم) وحنين واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات، قال أهل المغازي :خرج النبي ﷺ إلى حنين لست خلت من شوال وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره، وكان السبب في ذلك أن مالك بن عوف النضري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون، وقصدوا محاربة المسلمين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم، قال عمر بن شبة في «كتاب مكة» عن عروة أنه كتب إلى الوليد: أما بعد فإنك كتبت إليَّ تسألني عن قصة الفتح، فذكر له وقتها، فأقام عامئذ بمكة نصف شهر، ولم يزد على ذلك حتى أتاه أن هوازن وثقيفا قد نزلوا حنينا يريدون قتال رسول الله ﷺ وكانوا قد جمعوا إليه ورئيسهم عوف بن مالك ولأبي داود بإسناد حسن من حديث سهل بن الحنظلية «أنهم ساروا مع النبي ﷺ إلى حنين فأطنبوا السير، فجاء الرجل فقال: إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم قد اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله تعالى».

٤٣١٤-عن يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل قال «رأيت بيد ابن أبي أوفى ضربةً، قال ضُربتُها مع النبيِّ ﷺ يوم حُنَين، قلتُ شَهِدتَ حُنَيناً؟ قال: قبلَ ذلك ».

٤٣١٥-عن أبي إسحاقَ قال سمعتُ البَراء رضيَ اللهُ عنه، وجاءه رجلٌ فقال :يا أبا عُمارةَ، أتولَّيت يوم حنين - فقال :أما أنا فأشهدُ على النبيِّ ﷺ أنهُ لم يُوَلِّ، ولكن عَجِلَ سَرعانُ القوم، فرشقَتْهم هَوازنُ -وأبو سفيانَ بن الحارثِ آخذٌ برأسِ بَغلتهِ البيضاء- يقول أنا النبيُّ لا كَذِب أنا ابنُ عبد المطلب».

٤٣١٦-عن أبي إسحاقَ «قيل للبراء وأنا أسمعُ :أوَلّيتُم معَ النبيِّ ﷺ يومَ حُنَينٍ؟ فقال :أمّا النبيُّ ﷺ فلا، كانوا رُماةً، فقال النبيُّ ﷺ:أنا النبيُّ لا كَذِب أنا ابنُ عبد المطلب».

٤٣١٧- عن أبي إسحاقَ سمعَ البراء - وسأله رجلٌ من قيس :أفررتم عن رسولِ اللهِ يومَ حنين ؟ فقال لكنَّ رسولَ اللهِ لم يَفِرَّ، كانت هَوازنُ رُماة وإنا لما حملنا عليهم انكشَفوا فأكبَبْنا على الغَنائم، فاستُقبلنا بالسهام، ولقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ على بَغلتهِ البَيضاء، وإنَّ أبا سُفيانَ بن الحارث آخذٌ بزِمامِها وهو يقول أنا النبيُّ لا كَذِب» قال إسرائيلُ وزُهير

« نزل النبيُّ ﷺ عن بغلتهِ »

قوله (أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يولِّ) تضمن جواب البراء إثبات الفرار لهم، لكن لا على طريق التعميم، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي ﷺ لظاهر الرواية الثانية.

قال النووي :هذا الجواب من بديع الأدب، لأن تقدير الكلام فررتم كلكم، فيدخل فيهم النبي ﷺ، فقال البراء، لا والله ما فر رسول الله ﷺ ولكن جرى كيت وكيت فأوضح أن فرار من فرَّ لم يكن على نية الاستمرار في الفرار وإنما انكشفوا من وقع السهام.

قوله (ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن) والعذر لمن انهزم من غير المؤلفه أن العدو كانوا ضعفهم في العدد وأكثر من ذلك.

قوله (وأبو سفيان بن الحارث) أي ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عم النبي ﷺ، وكان إسلامه قبل فتح مكة لأنه خرج إلى النبي ﷺ فلقيه في الطريق وهو سائر إلى فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه، وخرج إلى غزوة حنين فكان فيمن ثبت، وعند ابن أبي شيبه من مرسل الحكم بن عتيبة قال: لما فر الناس يوم حنين جعل النبي ﷺ يقول أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، فلم يبق معه إلا أربعة نفر، ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم :علي والعباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من الجانب الأيسر، قال وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل.

وروى الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد حسن قال « لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولين، وما مع رسول اللهِ ﷺ مائة رجل » وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين.

وروى أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال «كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولّى عنه الناس، وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار، فكنّا على أقدامنا، ولم نولّهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة » وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم أنه ثبت معه اِثنا عشر رجلا فكأنه أخذه مما ذكره ابن إسحق في حديثه أنه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلي وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة وأسامة بن زيد وأخوه من أمه أيمن بن أم أيمن، ومن المهاجرين أبو بكر وعمر، فهؤلاء تسعة، وقد تقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم فهؤلاء عشرة، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وعاشرنا وافى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

ولعل هذا هو الثبت، ومن زاد على ذلك يكون عجِّل في الرجوع فَعُدَّ فيمن لم ينهزم.

قال الطبري :الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود وأما الاستطراد للكثرة فهو كالتحيز إلى فئة.

قوله (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر، بخلاف عبد الله فانه مات شابا، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب، كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم: أيكم ابن عبد المطلب؟ وقيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه وقد اشتهر ذلك بينهم، وذكره سيف بن ذي يزن قديما لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنه وأراد النبيﷺ تنبيه أصحابه بأنه لا بد من ظهوره وأن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ثابت غير منهزم، وأما قوله «لا كذب» ففيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال:أنا النبي، والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله به من النصر حق، فلا يجوز عليَّ الفرار، وقيل :معنى قوله «لا كذب» أي أنا النبي حقا لا كذب في ذلك.

وفي الحديث من الفوائد حسن الأدب في الخطاب، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب وذم الإعجاب وفيه جواز الإنتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها، وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله، ولا يقال كان النبي ﷺ متيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك وهو حق، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذ بلجام بغلته وليس هو في اليقين مثل النبي ﷺ وقد استشهد في تلك الحالة أيمن بن أم أيمن كما تقدمت الإشارة إليه في شعر العباس، وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وإذا كان رأس الجيش قد وطَّن نفسه على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات، وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو.

٤٣١٨، ٤٣١٩-قال محمدُ بن شهابٍ : وزعمَ عروةُ بن الزُّبير أن مروانَ والمسوَرَ بن مخرمةَ أخبراهُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قام حينَ جاءهُ وفد هوازن مسلمينَ فسألوهُ أن يَرُدَّ إليهم أموالهم وسَبْيهم، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ :معي مَن تَرَونَ وأحَبُّ الحديثِ إليَّ أصدَقُهُ، فاختاروا إحدى الطائفتينِ : إما السَّبيَ، وإمّا المالَ، وقد كنتُ استأنيتُ بكم - وكان

أنظرهم رسولُ اللهِ ﷺ بضعَ عشرةَ ليلةً حين قَفَلَ منَ الطائف - فلما تبين لهم أن رسول اللهِ ﷺ غيرُ رادٍّ إليهم إلاَّ إحدى الطائفتَين قالوا: فإنّا نختارُ سَبْينا، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال أما بعدُ فإنَّ إخوانكم قد جاءونا تائبِين، إني قد رأيتُ أن أرُدَ إليهم سَبيَهم، فَمن أحبَّ منكم أن يطيِّبَ ذلك فلْيَفعلْ، ومن أحبَّ منكم أن يكونَ على حَظِّهِ حتى نُعطِيَهُ إيّاهُ من أوّل ما يُفيءُ الله علينا فلْيَفعلْ. فقال الناسُ : قد طيَّبْنا ذلك يا رسولَ الله، فقال رسولُ اللهِ ﷺ إنّا لا ندري مَن أذِنَ منكم في ذلك مِمَّن لم يأذن، فارجِعوا حتى يَرْفَع إلينا عُرَفاؤكم أمركم، فرجع الناسُ، فكلَّمَهُم عُرَفاؤهم، ثمَّ رجعوا إلى رسول اللهِ ﷺ فأخبَرُوهُ أنهم قد طَيَّبوا وأذِنوا، هذا الذي بلغني عن سَبيِ هوازِنَ»

قوله (قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين) ساق الزهريُّ هذه القصة من هذا الوجه مختصرة، وقد ساقها موسى بن عقبة في المغازي مطولة ولفظه « ثم انصرف رسول اللهِ ﷺ من الطائف في شوال إلى الجعرانة وبها السبي يعني سبي هوازن، وقدمت عليه وفد هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا، ثم كلموه فقالوا : يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات وهن مخازي الأقوام، فقال :سأطلب لكم، وقد وقعت المقاسم فأي الأمرين أحب إليكم السبي أم المال؟ قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال : أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين، فكلموهم وأظهروا إسلامكم، فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم، ثم قام رسول اللهِ ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال :قد رددت الذي لبني هاشم عليهم».

قوله (وقد كنت استأنيت بكم) في رواية الكشميهني «لكم» ومعنى استأنيت استنظرت، أي أخرت قسم السبي لتحضروا فأبطأتم.

قوله (فمن أحب(١) أن يطيب ذلك)أي يعطيه عن طيب نفس منه من غير عوض.

قوله (فقال الناس قد طيبنا ذلك) في رواية موسى بن عقبة «فأعطى الناس ما بأيديهم، إلا قليلا من الناس سألوا الفداء» وفي رواية عمرو بن شعيب المذكورة «فقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار كذلك، وقال الأقرع بن حابس :أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينه:أما أنا وبنو فزارة فلا :وقال العباس بن مرداس :أما أنا وبنو سليم فلا:فقالت بنو سليم :بل ما كان لنا فهو لرسول الله، قال فقال رسول اللهِ ﷺ :من تمسك

(١) رواية الباب واليونينية "فمن أحب منكم أن يطيّب ذلك".

منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم ».

٤٣٢٠-عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنه قال «لما قَفَلنا من حنَين سألَ عمرُ النبيَّ ﷺ عن نَذرٍ كان نذره في الجاهليةِ اعتكافٍ، فأمرهُ النبيُّ ﷺ بوفائه»

٤٣٢١-عن أبي قتادة قال «خرجْنا معَ النبيِّ ﷺ عامَ حُنَين، فلما التَقَيْنا كانت للمسلمين جَولةٌ، فرأيتُ رجلاً من المشركينَ قد عَلا رجلاً منَ المسلمين، فضربتهُ من ورائهِ على حبل عاتقهِ بالسيف فقطعتُ الدِّرعَ، وأقبلَ عليَّ فضمَّني ضمَّةً وجدتُ منها ريحَ الموت، ثمَّ أدركهُ الموتُ فأرسلني، فلحِقتُ عمرَ فقلتُ: ما بالُ الناس؟ قال: أمرُ الله عزَّ وجل، ثم رجعوا، وجلسَ النبيُّ ﷺ فقال: من قَتل قَتيلاً لهُ عليه بيِّنةٌ فلهُ سَلَبهُ، فقلتُ مَن يَشهدُ لي؟ ثمَّ جلست، فقال النبيُّ ﷺ مثله، قال :ثم قال النبيُّ ﷺ مثله فقمتُ فقلت: من يشهدُ لي ثم جلستُ، قال ثمَّ قال النبي ﷺ مثلَهُ، فقمتُ، فقال: ما لكَ يا أبا قَتادةَ؟ فأخبرته، فقال رجل؟ صدَقَ وسلَبُهُ عندي، فأرضهِ مني، فقال أبو بكر لاها الله، إذاً لا يعمِدُ إلى أسدٍ من أسدِ الله يُقاتلُ عنِ اللهِ ورسولهِ ﷺ فيُعطيكَ سلبَه، فقال النبيُّ ﷺ: صدقَ فأعطه، فأعطانيه، فابتعتُ به مَخرفاً في بني سَلَمةَ، فإنه لأوَّلُ مالٍ تَأَثَّلته في الإسلام».

٤٣٢٢-عن أبي قَتادةَ أن أبا قتادة قال «لما كان يوم حُنَين نَظرتُ إلى رجلٍ من المسلمين يقاتلُ رجلاً من المشركينَ وآخرُ من المشركين يَختِله من ورائهِ ليقْتُله، فأسرعتُ إلى الذي يَختِله فرفعَ يدَهُ، ليَضربني، وأضرِبُ يدهُ فقطعتُها،ثمَّ أخذَني فضمَّني ضماً شديداً حتى تخوَّفتُ، ثمَّ بركَ فتحلَّلَ، ودفعتُهُ ثمَّ قتلتهُ، وانهزَمَ المسلمونَ، وانهزمتُ معهم، فإذا بعمرَ بن الخطاب في الناس، فقلتُ له:ما شأنُ الناس ؟ فقال: أمرُ الله، ثم تراجعَ الناسُ إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: من أقامَ بيِّنةً على قتيل قتلَهُ فلهُ سلبه. فقمتُ لألتمِسَ بيِّنةً على قتيلي، فلم أرَ أحداً يشهدُ لي فجلستُ،ثم بَدا لي فذكَرْتُ أمرَهُ لرسولِ اللهِ ﷺ ،فقال رجلٌ من جُلسائه:سلاحُ هذا القتيل الذي يذكُر عندي، فأرضهِ منه، فقال أبو بكر : كلاَّ لا يعطهِ أُصَيبغَ من قريشٍ، ويَدَعَ أسداً من أُسْدِ اللهِ يُقاتلُ عنِ الله ورسولهِ، قال فقام رسول اللهِ ﷺ فأدَّاهُ إليَّ فاشتريَتُ منه خَرافاً، فكانَ أوَّلَ مالٍ تأثلته في الإسلام.

قوله (فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين) وفي رواية الليث التي بعدها «نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله» أي يريد أن يأخذه على غرّة.

قوله (على حبل عاتقه) حبل العاتق عصبه، العاتق موضع الرداء من المنكب.

قوله (وجدت منها ريح الموت) أي من شدّتها، وأشعر ذلك بأن هذا المشرك كان شديد القوة جداً.

قوله (ثم أدركه الموت فأرسلني) أي أطلقني.

قوله (أمر الله[(١)]) أي حكم الله وما قضى به.

قوله (فقال أبو بكر الصديق[(٢)]: لا ها الله، إذا لا يعمد إلى أسد من أسْدِ اللهِ يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه).

هو كقولك لمن قال لك أفعل كذا فقلت له : والله إذا لا أفعل، فالتقدير إذا والله لا يعمد إلى أسد الخ.

قوله (لا يعمد الخ)أي لا يقصد رسول اللهِ ﷺ إلى رجل كأنه أسد في الشجاعة يقاتل عن دين الله ورسوله فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه.

قوله (فيعطيك سلبه) أي سلب قتيله فأضافه إليه باعتبار أنه ملكه.

قوله (مَخْرَفاً) أي بستانا.

قوله (تأثلته) أي أصلته.

قوله (تخوفت) حذف المفعول والتقدير الهلاك.

٥٥- باب غزاة أوطاسٍ

٤٣٢٣- عن أبي موسى رضي الله عنه قال « لما فرَغَ النبيُّ ﷺ من حُنَين بَعث أبا عامرٍ على جيش إلى أوطاس، فلقيَ دُرَيدَ بن الصِّمَّة، فقُتِلَ دُرَيْدُ، وهزم اللهُ أصحابه، قال أبو موسى : وبَعثني معَ أبي عامر، فرُميَ أبو عامرٍ في ركبتهِ، رَماه جُشَميٌّ بسهمٍ فأثبتَهُ في ركبتِه، فانتهيتُ إليهِ فقلتُ :يا عمِّ مَن رَماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى فقال :ذاك قاتلي الذي رماني، فقَصَدتُ له، فلحِقته، فلمَّا رآني ولّى، فأتْبعتُهُ وجعلتُ أقول له:ألا تستحي، ألا تثبت فكفَّ، فاختلفنا ضربتَين بالسيف فقتلتهُ، ثم قلتُ لأبي عامر :قَتلَ اللهُ صاحبكَ، قال :فانزع هذا السهمَ، فنزَعتهُ فنزا منه الماء، قال :يا ابنَ أخي، أقرِئ النبي ﷺ السلامَ وقل له: استغفرْ لي: واستَخلفني أبو عامر على الناس، فمكثَ يسيراً ثم مات، فرجعتُ فدخلتُ على النبيِّ ﷺ في بيته على سريرٍ مُرمَّلٍ، وعليه فراشٌ قد أثَّر رمالُ السرير بظهرهِ وجَنبَيْه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال :قل له استغفرْ لي، فدَعا بماء فتوضأ،ثم رفعَ يدَيهَ فقال : اللهمَّ اغفرْ لعُبيدٍ أبي عامر، ورأيتُ بياضَ إبطيْه، ثمَّ قال: اللهمَّ اجعلْه يومَ القيامةِ فوق كثير من خلقكَ منَ الناس، فقلتُ ولي فاستغفرْ، فقال اللهمَّ إغفر لعبدِ الله بن

(١) رواية الباب واليونينية "أمر الله عز وجل".
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "الصديق".

قَيسٍ ذَنْبه، وأدخلْه يومَ القيامةِ مدخلاً كريماً، قال أبو بُردةَ :إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى».

قوله (باب غزوة[١] أوطاس) قال عياض : «هو واد في دار هوازن، وهو موضع حرب حنين انتهى، وهذا الذي قاله ذهب إليه بعض أهل السير، والراجح أن واديَ أوطاس غير وادي حنين، ويوضح ذلك ما ذكر ابن إسحق أن الوقعة كانت في وادي حنين، وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفةٌ إلى بجيلة وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ عسكرا مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس كما يدل عليه حديث الباب، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف. قوله (فرُمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي) أي رجل من بني جشم.

قوله (فنزا منه الماء) أي انصب من موضع السهم.

قوله (على سرير مرمل) أي معمول بالرمال، وهي حبال الحصر التي تُضفَّر بها الأسرة.

قوله (فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه) يستفاد منه استحباب التطهير لإرادة الدعاء، ورفع اليدين في الدعاء، خلافا لمن خص ذلك بالاستسقاء، وسيأتي بيان ما ورد من ذلك في كتاب الدعوات[٢].

٥٦- بابٌ غَزوةُ الطَّائفِ

في شوال سنة ثمان، قاله موسى بن عُقبة

٤٣٢٤-عن أمِّ سلمة رضيَ الله عنها «دخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ وعندي مخنَّث، فسمعتُه يقولُ لعبد الله بن أبي أميةَ : يا عبدَ الله أرأيتَ إن فتحَ الله عليكُمُ الطائفَ غداً فعليكَ بابنةِ غَيلانَ فإنها تُقبلُ بأربع وتُدبِّر بثمان، فقال النبيُّ ﷺ لا يدخُلنَّ هؤلاء عليكنَّ » قال ابن عُيَيْنةَ وقال ابنُ جُرَيجٍ : المخنَّثُ هيتٌ.

عن هشامٍ بهذا وزاد « وهو محاصرُ الطائفِ يومئذٍ»

[الحديث ٤٣٢٤- طرفاه :٥٢٣٥، ٥٨٨٧]

قوله (باب غزوة الطائف) هو بلد كبير مشهور كثير الأعناب والنخيل، على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق، وسار النبي ﷺ إليها بعد منصرفه من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة، وكان مالك بن عوف النضري قائد هوازن لما انهزم دخل الطائف وكان له حصن بلية على أميال من الطائف، فمر به النبي ﷺ وهو سائر إلى الطائف فأمر بهدمه.

قوله (في شوال سنة ثمان قاله موسى بن عقبة) قلت :كذا ذكره في مغازيه، وهو قول

---

(١) رواية الباب واليونينية "باب غزاة أو طاس".

(٢) كتاب الدعوات باب / ٤٩ ح ٦٣٨٣ - ٥ / ٦٠١

جمهور أهل المغازي.

قوله (أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف) الحديث يأتي شرحه في كتاب النكاح[١]، والغرض منه هنا ذكر حصار الطائف.

٤٣٢٥-عن عبدِ الله بن عمر قال «لما حاصرَ رسولُ الله ﷺ الطائف فلم يَنلْ منهم شيئاً قال: إنا قافلون إن شاء الله، فثقُلَ عليهم وقالوا: نذهَبُ ولا نَفتَحُه؟ وقال مرةً نقفلُ، فقال: اغدوا على القتال، فغَدَوا، فأصابهم جِراحٌ، فقال: إنا قافلونَ غداً إن شاء الله فأعجبَهم، فضحِكَ النبيُّ ﷺ وقالَ سفيانُ مرةً فتبسم »

[الحديث ٤٣٢٥- طرفاه في :٦٠٨٦، ٧٤٨٠]

قوله (لما حاصر رسول اللهِ ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً) في مرسل ابن الزبير عند ابن أبي شيبة قال«لما حاصر النبي ﷺ الطائف قال أصحابه: يا رسول الله أحرقَتْنا نبال ثقيف فادع الله عليهم، فقال: اللهم اهد ثقيفا » وذكر أهل المغازي أن النبي ﷺ لما استعصى عليه الحصن و كانوا قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة ورموا على المسلمين سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا قوما، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي فقال: هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك، فرحل عنهم » وذكر أنس في حديثه عند مسلم أن مدة حصارهم كانت أربعين يوماً .

قوله (إنا قافلون)أي راجعون إلى المدينة.

قوله (فثقل عليهم) بيَّن سبب ذلك بقولهم «نذهب ولا نفتحه» وحاصل الخبر أنهم لما أخبرهم بالرجوع بغير فتح لم يعجبهم، فلما رأى ذلك أمرهم بالقتال فلم يفتح لهم فأصيبوا بالجراح لأنهم رموا عليهم من أعلى السور فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولا تصل السهام إلى من على السور، فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع، فلما أعاد عليهم القول بالرجوع، أعجبهم حينئذ، ولهذا قال :فضحك».

٤٣٢٦ ، ٤٣٢٧-عن عاصم قال سمعت أبا عثمانَ قال «سمعتُ سعداً - وهوَ أوّلُ مَن رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرةَ وكانَ تَسوَّرَ حصْنَ الطائفِ في أناس فجاء إلى النبيِّ ﷺ فقالا :سمعنا النبي ﷺ يقول :من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمُ فالجنة عليه حَرام» قال عاصمٌ : قلتُ لقد شهدَ عندكَ رجُلان حسبُك بهما، قال :أجل، أما أحدُهما فأوَّل من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزَلَ إلى النبيِّ ﷺ ثالثَ ثلاثةٍ وعشرينَ من الطائف».

[الحديث ٤٣٢٦-طرفه في :٦٧٦٦]

[الحديث ٤٣٢٧-طرفه في :٦٧٦٧]

(١٨) كتاب النكاح باب / ١١٣ ح ٥٢٣٥ - ٤ / ١٤٣

٤٣٢٨-عن أبي موسى رضيَ اللهُ عنه قال «كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ - وهوَ نازل بالْجِعْرانةِ بينَ مكةَ والمدينة - ومعَهُ بلال، فأتى النبيُّ ﷺ أعرابيٌّ فقال :ألا تُنجزُ لي ما وعَدْتني ؟ فقال له :أبشِرْ، فقال قد أكثرتَ علي من «أبشر» فأقبلَ على أبي موسى وبلالٍ كهيئة الغَضبانِ فقال :ردَّ البُشرَى، فاقبَلا أنتما، قالا: قبِلنا، ثم دَعا بقَدح فيه ماء فغسلَ يدَيه ووجهَهُ فيه، ومجَّ فيه ثم قال: اشربَا منهُ، وأفرِغا على وُجوهِكما ونحورِكما وأبشِرا، فأخَذا القَدحَ ففعلا، فنادَت أمُّ سلمةَ من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منهُ طائفة».

قوله (وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة) أما الجِعرانه فهي بكسر الجيم، وهي بين الطائف ومكة وإلى مكة أقرب قاله عياض.

قوله (ألا تنجز لي ما وعدتني) يحتمل أن الوعد كان خاصا به، ويحتمل أن يكون عاما، وكان طلبه أن يُعجَّل له نصيبه من الغنيمة فإنه ﷺ كان أمر أن تجمع غنائم حنين بالجعرانة وتوجه هو بالعساكر إلى الطائف، فلما رجع منها قسم الغنائم حينئذ بالجعرانة، فلهذا وقع في كثير ممن كان حديث عهدٍ بالإسلام استبطاء الغنيمة واستنجاز قسمتها.

قوله (أبشر) أي بقرب القسمة، أو بالثواب الجزيل على الصبر.

قوله (فنادت أم سلمة) هي زوج النبي ﷺ وهي أم المؤمنين، ولهذا قالت :لأمكما.

قوله (فأفضلا لها منه طائفة) أي بقية، وفي الحديث منقبة لأبي عامر ولأبي موسى ولبلال ولأم سلمة رضي الله عنهم.

٤٣٢٩- عن صفوانَ بن يَعلى بن أميةَ «أنَّ يَعلى كان يقول : ليتني أرَى رسولَ اللهِ ﷺ حينَ يُنزَلُ عليه، قال فبينا النبيُّ ﷺ بالجعرانة - وعليهِ ثوبٌ قد أظلَّ به معه فيه ناسٌ من أصحابهِ - إذ جاءهُ أعرابيٌّ عليه جُبَّةٌ متضمِّخٌ بطيب فقال :يارسولَ الله كيفَ ترَى في رجلٍ أحرمَ بُعمرةٍ في جُبَّة بعدَ ما تضمَّخَ بالطيب ؟ فأشارَ عمرُ إلى يَعلى بيدهِ أن تعالَ، فجاء يَعلى، فأدخَلَ رأسه، فاذا النبيُّ ﷺ مُحمرُّ الوجه يَغطُّ كذلك ساعة، ثم سُرِّيَ عنه فقال أينَ الذي يَسألني عن العمرةِ آنفاً ، فالتُمِسَ الرجلُ فأتيَ به، فقال :أمَّا الطيبُ الذي بكَ فاغسلهُ ثلاثَ مرات، وأمَّا الجُبَّة فانزعها، ثم اصنَعْ في عُمرتك كما تَصنعُ في حَجِّك ».

٤٣٣٠- عن عبدِ الله بن زيد بن عاصم قال «لما أفاء الله على رسولهِ ﷺ يوم حُنَينٍ قسمَ في الناسِ في المؤلفةِ قلوبهم ولم يُعطِ الأنصارَ شيئاً، فكأنهم وَجَدوا إذ لم يُصبهم ما أصابَ الناس، فخطَبهم فقال : يا مَعشرَ الأنصار، ألم أجِدكم ضُلالاً فهَداكم الله بي، وكنتم متفرِّقينَ فألَّفكم الله بي، وعالةً فأغناكم الله بي ؟ كلَّما قال شيئا قالوا الله ورسولهُ أمنُّ، قال: ما يَمنعُكم أن تجيبوا رسولَ اللهِ ﷺ ، قال كلَّما قال شيئا قالوا :الله ورسوله أمنُّ، قال لو شئتم قلتم :جئتنا كذا وكذا، ألا ترضَونَ أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ، وتذهبونَ

بالنبيِّ ﷺ إلى رِحالِكم ؟ لولا الهجرةُ، لكنتُ امرءاً منَ الأنصار، ولو سلكَ الناسُ وادياً وشعبا لَسلكتُ واديَ الأنصار وشِعبَها، الأنصارُ شِعار، والناسُ دِثار، إنكم ستلقَونَ بعدي أثرةً، فاصبرِوا حتى تلقَوني على الحَوض »

[الحديث ٤٣٣٠- طرفه في :٧٢٤٥]

قوله (لما أفاء الله على رسوله[1] يوم حنين) أي أعطاه غنائم الذين قاتلهم يوم حنين، وأصل الفيء الرد والرجوع، ومنه سمي الظل بعد الزوال فيئا لأنه رجع من جانب إلى جانب، فكأن أموال الكفار سميت فيئا لأنها كانت في الأصل للمؤمنين إذ الإيمان هو الأصل والكفر طارىء عليه، فإذا غلب الكفار على شيء فهو بطريق التعدي فإذا غنمه المسلمون منهم فكأنه رجع إليهم ما كان لهم، وقد قدمنا قريبا أنه ﷺ أمر بحبس الغنائم بالجعرانة ،فلما رجع من الطائف وصل إلى الجعرانة في خامس ذي القعدة، وكان السبب في تأخير القسمة ما تقدم في حديث المسور رجاء أن يسلموا و كانوا ستة آلاف نفس من النساء والأطفال وكانت الإبل أربعة وعشرين ألفًا والغنم أربعين ألف شاة.

قوله (قسم في الناس)حذف المفعول والمراد به الغنائم.

قوله (في المؤلفة قلوبهم) المراد بالمؤلفة ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاما ضعيفا، وقيل كان فيهم من لم يسلم بعد كصفوان بن أمية، وقد اختلف في المراد بالمؤلفة قلوبهم الذين هم أحد المستحقين للزكاة فقيل: كفار يعطون ترغيبا في الاسلام، وقيل مسلمون لهم أتباع كفار ليتألفوهم، وقيل مسلمون أول ما دخلوا في الإسلام ليتمكن الإسلام من قلوبهم، وأما المراد بالمؤلفة هنا فهذا الأخير لقوله في رواية الزهري في الباب «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم» ووقع في حديث أنس الآتي في «باب قسم الغنائم في قريش» والمراد بهم من فتحت مكة وهم فيها، وفي رواية له «فأعطى الطلقاء والمهاجرين» والمراد بالطلقاء جمع طليق: من حصل من النبي ﷺ المن عليه يوم فتح مكة من قريش وأتباعهم، والمراد بالمهاجرين من أسلم قبل فتح مكة وهاجر إلى المدينة.

وقال ابن القيم: اقتضت حكمة الله أن فتح مكة كان سببا لدخول كثير من قبائل العرب في الإسلام وكانوا يقولون:دعوه وقومه، فإن غلبهم دخلنا في دينه وإن غلبوه كفونا أمره، فلما فتح الله عليه استمر بعضهم على ضلاله فجمعوا له وتأهبوا لحربه، وكان من الحكمة في ذلك أن يظهر أن الله نصر رسوله لا بكثرة من دخل في دينه من القبائل ولا بانكفاف قومه عن قتاله، ثم لما قدر الله عليه من غلبته إياهم قدَّر وقوع هزيمة المسلمين مع كثرة

(١) رواية الباب واليونينية بإثبات ﷺ بعد "رسوله".

عددهم وقوة عدتهم ليتبين لهم أن النصر الحقَّ إنما هو من عنده لا بقوتهم، ولو قدر أن لا يغلبوا الكفار ابتداء لرجع من رجع منهم شامخ الرأس متعاظما، فقدر هزيمتهم ثم أعقبهم النصر ليدخلوا مكة كما دخلها النبي ﷺ يوم الفتح متواضعا متخشعا، واقتضت حكمته أيضا أن غنائم الكفار لما حصلت ثم قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري في محبة المال فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم وتجتمع على محبته، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها، ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصورا عليهم، بخلاف قسمته على المؤلفة لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم فلما كان ذلك العطاء سببا لدخولهم في الإسلام ولتقوية قلب من دخل فيه قبل تَبِعهم مَنْ دونهم في الدخول، فكان في ذلك عظيم المصلحة، لذلك لم يقسم فيهم من أموال أهل مكة عند فتحها قليلا ولا كثيرا مع احتياج الجيوش إلى المال الذي يعينهم على ما هم فيه، فحرك الله قلوب المشركين لغزوهم، فرأى كثيرهم أن يخرجوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم فكانوا غنيمة للمسلمين، ولو لم يقذف الله في قلب رئيسهم أن سوقه معه هو الصواب لكان الرأي ما أشار إليه دريد فخالفه فكان ذلك سببا لتصييرهم غنيمة للمسلمين، ثم اقتضت تلك الحكمة أن تقسم تلك الغنائم في المؤلفة ويوكل من قلبه ممتلىء بالإيمان إلى إيمانه، ثم كان من تمام التأليف رد من سبي منهم إليهم، فانشرحت صدورهم للإسلام فدخلوا طائعين راغبين، وجبر ذلك قلوب أهل مكة بما نالهم من النصر والغنيمة عما حصل لهم من الكسر والرعب فصرف عنهم شر من كان يجاورهم من أشد العرب من هوازن وثقيف بما وقع بهم من الكسرة وبما قيض لهم من الدخول في الإسلام، ولولا ذلك ما كان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها وكثرتها، وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلى بلادهم، فسلوا عن الشاة والبعير،والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم لهم حيا وميتا، وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه، انتهى ملخصا.

قوله (ألم أجدكم ضُلاّلا) جمع ضال والمراد هنا ضلالة الشرك، وبالهداية الإيمان، وقد رتب ﷺ ما منَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبا بالغا فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بُعاث وغيرها كما تقدم في أول الهجرة، فزال ذلك كله بالإسلام كما

قال الله تعالى {لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم،ولكنَّ الله ألف بينهم}.

قوله (قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا)، فسر ذلك في حديث أبي سعيد ولفظه «فقال: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم: أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فواسيناك»، وأخرجه أحمد عن أنس بلفظ «أفلا تقولون جئتنا خائفا فآمناك، وطريداً فآويناك ومخذولا فنصرناك، فقالوا: بل المنُّ علينا لله ولرسوله» وإسناده صحيح.

قوله (لولا الهجرة كنتُ امرءا من الأنصار)، قال ابن الجوزي :لم يرد ﷺ تغير نسبه ولا محو هجرته، وإنما أراد أنه لولا ما سبق من كونه هاجر لانتسب إلى المدينة وإلى نصرة الدين، فالتقدير لولا أن النسبة إلى الهجرة نسبة دينية لا يسع تركها لانتسبتُ إلى داركم، وقال القرطبي: معناه لتسميتُ باسمكم وانتسبتُ إليكم كما كانوا ينتسبون بالحِلْف، لكن خصوصية الهجرة وترتيبها سبقت فمنعت من ذلك، وهي أعلى وأشرف فلا تتبدل بغيرها، وقيل معناه لكنت من الأنصار في الأحكام والعداد، وقيل: التقدير لولا أن ثواب الهجرة أعظم لاخترت أن يكون ثوابي ثواب الأنصار.

قوله (الأنصار شِعار والناس دثار) الشعار: الثوب الذي يلي الجلد من الجسد، والدثار: الذي فوقه وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه وأراد أيضا أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم، زاد في حديث أبي سعيد «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا».

قوله (إنكم ستلقون بعدي أثرة) والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق.

قوله (فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) أي يوم القيامة، أي اصبروا حتى تموتوا، فإنكم ستجدونني عند الحوض، فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر، وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم إقامة الحجة على الخصم وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة، والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف، وفيه علَمٌ من أعلام النبوة لقوله «ستلقون بعدي أثرة» فكان كما قال، وقد قال الزهري في روايته عن أنس في آخر الحديث «قال أنس: فلم يصبروا» وفيه أن

للإمام تفضيلَ بعض الناس على بعض في مصارف الفيء،وأن له أن يعطي الغني منه للمصلحة، وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه في ذلك، ومشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصا أم عاما، وفيه جواز تخصيص بعض المخاطبين في الخطبة، وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى، وأن المنّة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

٤٣٣١-عنِ الزهري قال أخبرَني أنسُ بن مالك رضيَ الله عنه قال « قال ناسٌ منَ الأنصار -حينَ أفاءَ الله على رسوله ﷺ ما أفاءَ من أموالِ هَوازنَ، فطفقَ النبيّ ﷺ يُعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا- يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فَحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبةٍ من أدَم، ولم يَدْعُ معهم غيرَهم، فلما اجتمعوا قام النبيُّ ﷺ فقال :ماحديثٌ بلغَني عنكم؟ فقال فقهاءُ الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسولَ الله فلم يقولوا شيئا، وأما ناسٌ منا حَديثةٌ أسنانهم فقالوا يغفرُ الله لرسولِ الله ﷺ يعطي قَريشاً ويَتركنا، وسُيوفنا تقطرُ من دمائهم، فقال النبيُّ ﷺ فإني أعطي رجالاً حَديثي عهدٍ بكفرٍ أتألفهم، أما ترضَوْنَ أن يذهبَ الناسُ بالأموالِ وتَذهبون بالنبيِّ ﷺ إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبونَ به خيرٌ مما يَنقلبونَ به، قالوا : يارسولَ الله قد رضِينا، فقال لهُم النبيُّ ﷺ ستجدون أثرةً شديدة، فاصبروا حتى تَلقَوْا الله ورسولَهُ ﷺ فإني على الحَوض، قال أنس :فلم يَصبروا».

٤٣٣٢- عن أنسٍ قال «لما كان يومُ فتح مكةَ قَسم رسول الله ﷺ غنائمَ بين قريش، فغَضِبَتِ الأنصارُ، قال النبيُّ ﷺ: أما ترضَون أن يذهبَ الناسُ بالدنيا، وتذهبونَ برسولِ الله ﷺ ؟ قالوا : بلى، قال : لو سَلكَ الناسُ وادياً أو شِعباً لسَلَكتُ واديَ الأنصارِ أو شِعبهم».

٤٣٣٣- عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال «لما كان يومُ حُنَين التقى هَوازنُ ومعَ النبيِّ ﷺ عشرة آلافٍ والطُّلقاء، فأدبروا، قال: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيكَ يا رسول الله وسَعدَيك، لبيكَ نَحن بينَ يدَيك، فنَزل النبيُّ ﷺ فقال: أنا عبدُ الله ورسوله، فانهزَم المشركون، فأعطى الطُّلقاءَ والمهاجرين، ولم يعطِ الأنصار شيئاً فقالوا، فدعاهم فأدخلَهم في قبةٍ فقال: أما ترضون أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعير، وتذهبون برسولِ الله ﷺ؟ فقال النبيُّ ﷺ لو سلكَ الناسُ واديا وسَلكَتِ الأنصارُ شِعباً لاخترتُ شعبَ الأنصار».

٤٣٣٤- عن أنسِ بن مالك رضيَ اللهُ عنه قال «جمعَ النبيُّ ﷺ ناساً منَ الأنصار فقال : إنَّ قريشاً حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ ومصيبة، وإني أردت أن أجبُرَهم وأتألفهم، أما تَرضون أن

يرجعِ الناسُ بالدنيا وترجِعون برسولِ الله ﷺ إلى بُيوتِكم ؟ قالوا بلى، قال لو سَلَك الناسُ وادياً وسَلكَتِ الأنصار شِعباً لسلكتُ واديَ الأنصارِ أو شِعبَ الأنصارِ».

٤٣٣٥-عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «لما كان يوم حُنَين أقبلتْ هَوازِنُ وغَطَفانُ وغيرُهم بنَعَمهم وذراريهم ومعَ النبي ﷺ عشرة آلاف ومن الطّلَقاء، فأدبَرُوا عنه حتى بقيَ وحده، فنادَى يومئذٍ نداءَين لم يَخلِط بينهما :التفتَ عن يمينهِ فقال: يا مَعشرَ الأنصارِ، قالوا: لبيكَ يا رسولَ الله، أبشِرْ نحنُ معكَ، ثم التفتَ عن يَسارهِ فقال: يا مَعشَرَ الأنصارِ، قالوا: لبيكَ يارسولَ الله أبشِرْ نحنُ معك، وهو على بغلةٍ بيضاء، فنزَلَ فقال: أنا عبدُ الله ورسوله، فانهزم المشركون، فأصاب يَومئذ غنائم كثيرةً، فقسَمَ في المهاجرينَ والطُّلَقاء ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، فقالتِ الأنصارُ: إذا كانت شديدةٌ فنحنُ نُدعَى، ويُعطى الغنيمةَ غيرُنا، فبَلَغهُ ذلك، فجمَعَهم في قبةٍ فقال: يا معشرَ الأنصار، ما حديثٌ بلغني عنكم؟ فسكَتوا، فقال: يا معشر الأنصار، ألا تَرضَونَ أن يَذهبَ الناسُ بالدنيا وتذهبونَ برسولِ الله ﷺ تحوزونَهُ إلى بُيوتكم؟ قالوا: بلى، فقال النبيُّ ﷺ: لو سَلكَ الناسُ وادياً وسَلكَتِ الأنصارُ شِعباً، لأخذتُ شِعبَ الأنصار، وقال هشام : قلت يا أبا حمزةَ وأنت شاهدٌ ذلك قال وأينَ أغيبُ عنه؟».

٤٣٣٦-عن عبد الله قال « لما قَسمَ النبيُّ ﷺ قسمةَ حُنَينٍ قال رجلٌ من الأنصار : ما أراد بها وَجهَ الله فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، فتغير وجهُه ثم قال:رحمة الله على موسى، لقد أوذِيَ بأكثَر مِن هذا فصبر».

٤٣٣٧-عن عبد الله رضي الله عنه قال «لما كانَ يومُ حُنَين آثرَ النبيُّ ﷺ ناساً: أعطى مائةً من الإبل، وأعطى عُيَيْنةَ مثلَ ذلك، وأعطى ناساً ، فقال رجلٌ : ما أريدَ بهذهِ القسمة وجهُ الله، فقلت : لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ قال: رَحِم الله موسى، قد أوذِيَ بأكثَر مِن هذا فصبر».

قوله في رواية منصور(فقال رجل) في رواية الأعمش « فقال رجل من الأنصار» وفي رواية الواقدي أنه معتب بن قشير من بني عمرو بن عوف، وكان من المنافقين.

وفي الحديث جواز المفاضلة في القسمة، والإعراض عن الجاهل، والصفح عن الأذى، والتأسي بمن مضى من النظراء.

٥٧- باب السَّريَّة التي قبلَ نجد

٤٣٣٨ - عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال « بَعثَ النبيُّ ﷺ سَريةً قِبلَ نجدٍ فكنتُ فيها، فبلغَتْ سِهامُنا اثني عشرَ بعيراً ونُفِّلْنا بعيراً بعيراً، فرجَعنا بثلاثةَ عشر بعيراً».

قوله (باب السرية التي قِبَل نجد) أي في جهة نجد، هكذا ذكرها بعد غزوة الطائف،

والذي ذكره أهل المغازي أنها كانت قبل التوجه لفتح مكة.

والسرية، هي التي تخرج بالليل، وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة.

٥٨- باب بعث النبيِّ ﷺ خالدَ بن الوليد إلى بني جُذَيمة

٤٣٣٩-عن سالمٍ عن أبيهِ قال « بعثَ النبيُّ ﷺ خالدَ بن الوليد إلى بني جُذَيمةَ فدَعاهم إلى الإسلام فلم يُحسِنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا، فجعل خالدٌ يقتُلُ منهم ويأسِرُ، ودفع إلى كلِّ رجلٍ منّا أسيرَه، حتى إذا كان يومٌ أمرَ خالدٌ أن يَقتُلَ كل رجلٍ منّا أسيرَه فقلت : والله لا أقتُلُ أسيري ولا يَقتُل رجلٌ من أصحابي أسيرَه، حتى قدِمنا على النبيِّ ﷺ فذكرناه فرفعَ النبيُّ ﷺ يدَيه فقال : اللهمّ إني ابرأ إليك مما صَنعَ خالد مرّتين».

[الحديث ٤٣٣٩ طرفه في ٧١٨٩]

قوله (باب بَعثَ النبيُّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة) وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازي، وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم، قال ابن سعد: بعث النبي ﷺ إليهم خالد بن الوليد في ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا.

قوله (فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا) هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادو الإسلام حقيقة ويؤيده فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم.

قوله (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) قال الخطابي: أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا.

قوله (مرتين) زاد ابن عسكر عن عبد الرزاق «أو ثلاثة» أخرجه الإسماعيلي، وفي رواية الباقين «ثلاث مرات» وزاد الباقر في روايته «ثم دعا رسول الله ﷺ عليا فقال: اخرج إلى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم أحد إلا وداه».

٥٩- باب سريةِ عبدِ الله بن حُذافةَ السهمي وعَلقمةَ بن مُجزِّزٍ المدْلجيِّ، ويقال: إنها سريةُ الأنصاريِّ

٤٣٤٠-عن عليّ رضيَ اللهُ عنه قال «بَعثَ النبيُّ ﷺ سَرِيةً فاستعملَ رجُلاً منَ الأنصار وأمرَهم أن يُطيعوه، فغَضِبَ فقال: أليسَ أمركم النبيُّ ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً فجَمعوا، فقال: أوقِدوا ناراً فأوقَدوها، فقال: ادخُلوها، فهمُّوا، وجعلَ بعضهم يُمسكُ بعضاً ويقولون: فرَرْنا إلى النبيِّ ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمَدَتِ النار،

فسكنَ غَضبهُ، فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: لو دخَلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، والطاعةُ في المعروف»

[الحديث ٤٣٤٠ طرفاه في: ٧١٤٥، ٧٢٥٧]

قوله (ما خرجوا منها إلى يوم القيامة) يعني أن الدخول فيها معصية، والعاصي يستحق النار، ويحتمل أن يكون المراد لو دخلوها مستحلين لما خرجوا منها أبداً، لأنهم ارتكبوا ما نهوا عنه من قتل أنفسهم.

قوله (الطاعة في المعروف[1]) في رواية حفص « إنما الطاعة في المعروف» وفي الحديث من الفوائد أن الحكم في حال الغضب ينفذ منه ما لا يخالف الشرع، وأن الغضب يغطي على ذوي العقول، وفيه أن الإيمان بالله ينجي من النار لقولهم «إنما فررنا إلى النبي ﷺ من النار» والفرار إلى النبي ﷺ فرار إلى الله والفرار إلى الله يطلق على الإيمان، قال الله تعالى {ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين} وفيه أن الأمر المطلق لا يعم الأحوال لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب وفي حال الأمر بالمعصية، فبين لهم ﷺ أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية، وسيأتي مزيد لهذه المسألة في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى.

٦٠-باب بَعث أبي موسى ومُعاذ إلى اليمن قبلَ حجة الوَداع

٤٣٤١، ٤٣٤٢ ـ عن أبي بُردةَ قال «بَعثَ رسولُ الله ﷺ أبا موسى ومُعاذ بن جَبل إلى اليمن، قال: وبعث كلَّ واحد منهما على مِخْلاف، قال: واليمنُ مِخلافانِ ثم قال: يَسِّرا ولا تُعسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، فانطلقَ كلُّ واحدٍ منهما إلى عمله، وكان كلُّ واحد منهما إذا سارَ في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدثَ به عهداً فسلَّمَ عليه، فسار مُعاذٌ في أرضِه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاءَ يَسيرُ على بغلتِه حتى انتهى إليه، وإذا هوَ جالس وقدِ اجتمعَ إليه الناسُ، وإذا رجُلٌ عندَهُ قد جُمِعَتْ يداهُ إلى عنقه، فقال له مُعاذ: ياعبدَ الله بن قيس أيمَ هذا؟ قال: هذا رجُلٌ كفر بعدَ إسلامه، قال لا أنزِلُ حتى يقتَلَ، قال: إنما جيءَ به لذلك، فانزِلْ، قال ما أنزلُ حتى يُقتَلَ، فأمَرَ به فقتل، ثم نزلَ فقال: يا عبدَ الله، كيف تقرَأُ القرآن؟ قال: أتفوَّقهُ تفوُّقاً قال: فكيف تقرأ أنت يا مُعاذ؟ قال أنامُ أوَّلَ الليل، فأقومُ وقد قضَيتُ جُزئي من النوم فأقرأُ ما كتبَ اللهُ لي فأحتسبُ نومتي، كما أحتسِبُ قَومتي».

[الحديث ٤٣٤٢-طرفه في :٤٣٤٥]

قوله (وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال واليمن مخلافان) المخلاف هو بلغة أهل اليمن، وهو الكورة والأقليم والرُّستاق وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن وكان من

(١) رواية الباب "والطاعة في المعروف" واليونينية توافق الشرح.

عمله الجَنَدُ وله بها مسجد مشهور إلى اليوم، وكانت جهة أبي موسى السفلى، والله أعلم.

قوله (ثم نزل فقال يا عبد الله) وهو اسم أبي موسى (كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً) أي ألازم قراءته ليلا ونهاراً شيئا بعد شيء وحينا بعد حين : مأخوذ من فواق الناقة وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب هكذا دائما.

قوله (فاحتسبت[١]نومتي كما احتسبت قومتي) ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب، لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب (تنبيه) كان بعث أبي موسى إلى اليمن بعد الرجوع من غزوة تبوك،لأنه شهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ كما سيأتي بيان ذلك في الكلام عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى واستدل به على أن أبا موسى كان عالما فطنًا حاذقا، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة، ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصاه به، ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين، قال ابن العربي وغيره: والحق أنه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك، وغاية ما وقع منه أن اجتهاده أداه إلى ما أن يجعل الأمر شورى بين من بقي من أكابر الصحابة من أهل بدر ونحوهم [٢]لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصِفِّين، وآل الأمر إلى ما آل إليه.

٤٣٤٣- عن موسى الأشعريِّ رضي الله عنه « أنَّ النبيَّ ﷺ بعثهُ إلى اليمن، فسأله عن أشربة تُصنَع بها، فقال : وما هي؟ قال: البِتْع والمِزْر، فقلت لأبي بردةَ ما البتع ؟ قال: نبيذ العسل، والمزر نبيذ الشعير فقال كلُّ مسكرٍ حرام».

٤٣٤٤، ٤٣٤٥- عن سعيد بن أبي بردة عن أبيهِ قال « بَعثَ النبيُّ ﷺ جَدَّهُ أبا موسى ومُعاذاً إلى اليمن فقال :يَسِّرا ولا تُعسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا ، وتطاوعا فقال أبو موسى يا نبيَّ الله إن أرضَنا بها شرابٌ منَ الشعيرِ :المِزر، وشرابٌ منَ العسَل :البِتعُ، فقال :كلُّ مسكرٍ حرام، فانطلَقا، فقال مُعاذ لأبي موسى: كيف تَقرأ القرآنَ؟ قال: قائماً وقاعداً وعلى راحلتي وأتفوَّقه تفوُّقاً، قال: أما أنا فأنامُ وأقوم، فأحتَسِبُ نومتي، كما أحتسبُ قومتي، وضربَ فسطاطاً فجعلا يَتزاوَرانِ، فزارَ مُعاذٌ أبا موسى فاذا رجلٌ مُوثَق، فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى :يهوديٌ أسلمَ ثمَّ ارتدَّ، فقال مُعاذ : لأضرِبنَّ عنُقَه».

---

(١) رواية الباب واليونينية "فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي".

(٢) هذا ما اتفق عليه الحكمان، وهو خلاف ما دسته الشيعة في كتب التاريخ وشوهته، فاستقر في الأذهان خطأً، لتداول مؤلفي كتب التاريخ هذا الخطأ وإقرارهم له على غير ما وقع، انظر تحقيق ذلك في كتاب "العواصم من القواصم" للقاضي أبي بكر بن العربي وتعليقات محب الدين الخطيب عليه. الشيخ محب الدين الخطيب

٤٣٤٦- عن أبي موسى الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنه قال «بَعثَني رسولُ الله ﷺ إلى أرض قومي، فجئتُ ورسولُ الله ﷺ مُنيخٌ بالأبطح فقال:أحجَجتَ يا عبدَ الله بن قيس؟ قلتُ: نعم يا رسولَ الله، قال كيفَ قلتَ قال قلت لَبَّيكَ إهلالاً كإهلالك، قال :فهل سقتَ معكَ هَدْيا؟ قلتُ لم أسق، قال: فطُف بالبيت، واسْعَ بينَ الصَّفا والمروةِ، ثمَّ حِلَّ، ففعَلتُ، حتى مَشَطَتْ لي امرأةٌ من نساءِ بني قيس، ومكثْنا بذلك حتى استُخلفَ عمر».

وقد أورده في الحج، وتقدم الكلام عليه هناك مستوفى(١).

٤٣٤٧-عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهَدُوا أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرضَ عليهم صَدَقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياكَ وكرائمَ أموالهم، واتَّقِ دَعوةَ المظلوم فإنهُ ليسَ بينَه وبين الله حجاب».

٤٣٤٨-عن عمرو بن ميمونٍ «أنَّ مُعاذاً رضيَ الله عنه لما قَدِمَ اليمن صَلّى بهم الصبح، فقرأ {واتَّخذَ الله إبراهيمَ خَليلا} فقال رجلٌ منَ القوم: لقد قَرَّتْ عينُ أمِّ إبراهيمَ».

زادَ مُعاذٌ عن شعبةَ عن حبيبٍ عن سعيدٍ عن عمرو «أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ مُعاذاً إلى اليمن، فقرأ مُعاذ في صلاةِ الصبح سورةَ النساء، فلما قال {واتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلا} قال رجلٌ خلفَهُ : قرَّت عينُ أمِّ إبراهيمَ ».

قوله (عن عمرو بن ميمون) هو الأودي وهو من المخضرمين.

قوله (فقال رجل من القوم: قرت عين أم إبراهيم) أي حصل لها السرور.

وقد استشكل تقرير معاذ لهذا القائل في الصلاة وترك أمره بالإعادة، وأجيب عن ذلك إما بأن الجاهل بالحكم يعذر، وإما أن يكون أمره بالإعادة ولم ينقل، أو كان القائل خلفهم ولكن لم يدخل معهم في الصلاة.

٦١ ـ باب: بعثُ عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلامُ وخالدِ بن الوَليد إلى اليمن قبل حَجة الوَداع.

٤٣٤٩٠-عن أبي إسحاقَ سمعتُ البَراءَ رضيَ اللهُ عنه « بَعثَنا رسول الله ﷺ معَ خالدِ بن الوَليد إلى اليمن، قال :ثمَّ بعثَ علياً بعد ذلكَ مكانه فقال :مُرْ أصحابَ خالدٍ من شاءَ منهم أن يُعقِّبَ معك فليُعقِّبْ، ومن شاء فليُقبِل، فكنتُ فيمن عَقَّبَ معه، قال فغنمت أواقيَ ذوات عَدَد».

(١) كتاب العمرة باب / ١١ ح ١٧٩٥ - ٢ / ١٠٥

قوله (باب بعث علي بن أبي طالب[١] وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع) وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي من طريق أخرى عن علي قال «بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدري وقال :اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، وقال: يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر».

قوله (بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن) كان ذلك بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة.

قوله (أن يعقب معك) أي يرجع إلى اليمن والتعقيب أن يعود بعض العسكر بعد الرجوع ليصيبوا غزوة من الغد، كذا قال الخطابي.

قوله (وكنت أبغض عليا وقد اغتسل فقلت لخالد ألا[٢] ترى) هكذا وقع عنده مختصرا، وقد أورده الإسماعيلي من طرق إلى روح بن عبادة الذي أخرجه البخاري من طريقه فقال في سياقه «بعث عليا إلى خالد ليقسم الخمس» وفي رواية له « ليقسم الفيء، فاصطفى علي منه لنفسه سبيئة» أي جارية من السبي، وفي رواية له « فأخذ منه جارية ثم أصبح يقطر رأسه، فقال خالد لبريدة: ألا ترى ما صنع هذا: قال بريدة: وكنت أبغض عليا » ولأحمد من طريق عبد الجليل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه «أبغضتُ علياً بغضا لم أبغضه أحدا. وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً، قال: فأصبنا سبيا فكتب - أي الرجل - إلى النبي ﷺ ابعث إلينا من يخمسه، قال فبعث إلينا عليا، وفي السبي وصيفة هي أفضل السبي، قال فخمس وقسَّم، فخرج ورأسه يقطر، فقلت؟ يا أبا الحسن ما هذا ؟ فقال ألم تر إلى الوصيفة، فإنها صارت في الخمس، ثم صارت في آل محمد، ثم صارت في آل علي فوقعت بها » .

قوله (فقال يا بريدة أتبغض عليا ؟فقلت: نعم، قال: لا تبغضه) زاد في رواية عبد الجليل «وإن كنت تحبه فازدد له حباً» قوله (فإن له في الخمس أكثر من ذلك)في رواية عبد الجليل «فو الذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، وزاد «قال فما كان أحد من الناس أحب إليّ من علي» .

قال أبو ذر الهروي: إنما أبغض الصحابي عليا لأنه رآه أخذ من المغنم، فظن أنه غلَّ، فلما أعلمه النبي ﷺ أنه أخذ أقل من حقه أحبه اهـ، وهو تأويل حسن، لكن يبعده صدر الحديث الذي أخرجه أحمد فلعل سبب البغض كان لمعنى آخر وزال بنهي النبي ﷺ لهم عن

(١) رواية الباب واليونينية "علي بن أبي طالب عليه السلام".
(٢) رواية الباب واليونينية "ألا ترى إلى هذا".

بغضه، وقد استشكل وقوع عليّ على الجارية بغير استبراء، وكذلك قسمته لنفسه، فأما الأول فمحمول على أنها كانت بكرا غير بالغ ورأى أن مثلها لا يستبرأ كما صار إليه غيره من الصحابة، ويجوز أن تكون حاضت عقب صيرورتها له ثم طهرت بعد يوم وليلة ثم وقع عليها وليس ما يدفعه، وأما القسمة فجائزة في مثل ذلك ممن هو شريك فيما يقسمه كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم، فكذلك من نصبه الإمام قام مقامه، ويؤخذ من الحديث جواز التسرّي على بنت رسول الله ﷺ بخلاف التزويج عليها لما وقع في حديث المسور في كتاب النكاح(١).

٤٣٥١- عَن عبد الرحمنِ بن أبي نُعم قال سمعتُ أبا سعيدٍ الخدريَّ يقول «بعثَ عليٌّ بن أبي طالب رضيَ اللهُ عنه إلى رسول الله ﷺ مِنَ اليمن بذُهيبةٍ في أديم مَقروظ لم تحصَّل من ترابها، قال فقسمَها بين أربعةِ نفر: بين عُيينة بن بدرٍ، وأقرع بن حابِس، وزيدِ الخيلِ، والرابعُ إما علقمةُ، وإما عامرُ بن الطفَيل، فقال رجلٌ من أصحابهِ: كنّا نحنُ أحقُّ بهذا من هؤلاء فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء، يأتيني خبرُ السماء صباحاً ومَساءً؟ قال فقام رَجلٌ غائرُ العينين، مشرِف الوَجنتَين، ناشز الجبهة، كثُّ اللحية، محلوق الرّأس، مشمَّر الإزار فقال: يا رسول الله اتّقِ الله، قال: وَيلَك: أوَلستُ أحقُّ أهلِ الأرض أن يتقيَ الله ؟ قال ثم ولّى الرجل، قال خالدُ بن الوَليد: يا رسول الله ألا أضرِب عُنُقه ؟ قال لا، لعلّه أن يكونَ يُصلّي، فقال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسولُ الله ﷺ إني لم أومَر أن أنقُبَ قلوبَ الناس ولا أشقَّ بطونَهم، قال ثمَّ نظرَ إليهِ وهو مُقَفٍّ فقال: إنه يَخرُجُ مِن ضِئضِيءِ هذا قومٌ يَتلون كتاب الله رَطبا لا يُجاوِزُ حَناجِرَهم يَمرقونَ من الدِّين كما يمرُقُ السهمُ منَ الرَّميَّة، وأظنُّه قال: لئن أدركتُهم لأقتلنّهم قتل ثَمود».

قوله (وزيد الخيل) أي ابن مهلهل الطائي، وقيل له زيد الخيل لكرائم الخيل التي كانت له وسمّاه النبي ﷺ زيد الخير وأثنى عليه فأسلم فحسن إسلامه ومات في حياة النبي ﷺ.

قوله (محلوق(٢)) سيأتي في أواخر التوحيد(٣) من وجه آخر أن الخوارج سيماهم التحليق، وكان السلف يوفرون شعورهم لا يحلقونها، وكانت طريقة الخوارج حلق جميع رءوسهم.

قوله (أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله) وفي رواية سعيد بن مسروق «فقال ومن يطع الله إذا عصيته» وهذا الرجل هو ذو الخويصرة التميمي كما تقدم صريحا في علامات

---

(١) كتاب النكاح باب / ١٠٩ ح ٥٢٣٠ - ٤ / ١٢٠

(٢) رواية الباب واليونينية "محلوق الرّأس".

(٣) كتاب التوحيد باب / ٢٣ ح ٧٤٣٢ - ٥ / ٥٦٧

النبوة[١] من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري، وعند أبي داود اسمه نافع ورجحه السهيلي، وقيل اسمه حرقوص بن زهير السعدي، وسيأتي تحرير ذلك في كتاب استتابة المرتدين[٢].

قوله (أن أنقب) أي إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم، قال القرطبي: إنما منع قتله وإن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولاسيما من ﷺ، كما تقدم نظيره في قصة عبد الله بن أبيّ .

قوله (يخرج من ضئضىءِ) فالمراد به النسل والعقب .

قوله (لا يجاوز حناجرهم) تقدم شرحه في علامات النبوة[٣].

قوله (يمرقون من الدين) في رواية سعيد بن مسروق «من الإسلام» وفيه رد على من أوّل الدين هنا بالطاعة، وقال: إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل، وزاد سعيد بن مسروق في روايتة «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال.

قوله (وأظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود) في رواية سعيد بن مسروق « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) ولم يتردد فيه وهو الراجح.: وقد استشكل قوله « لئن أدركتهم لأقتلنهم » مع أنه نهى خالدا عن قتل أصلهم، وأجيب بأنه أراد إدراك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه، و أول ما ظهر في زمان علي كما هو مشهور، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في « علامات النبوة» واستدل به على تكفير الخوارج، وهي مسألة شهيرة في الأصول، وسيأتي الإلمام بشيء منها في استتابة المرتدين.

٤٣٥٢- عن عَطاء قال جابرٌ « أمرَ النبي ﷺ عليا أن يُقيمَ على إحرامهِ » زاد محمدُ بن بكر عن ابن جريج قال عطاء قال جابرٌ « فقدِمَ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه بِسعايتهِ، قال له النبي ﷺ بمَ أهللتَ يا عليٌّ ؟ قال: بما أهلَّ بهِ النبيُّ ﷺ قال: فأهدِ وأمكُثْ حراما كما أنت، قال: وأهدَى له عليٌّ هَدْيا» .

٤٣٥٣ ، ٤٣٥٤- عن حُميد الطَّويل حدَّثنا بكرٌ أنه « ذكرَ لابن عمرَ أن أنساً حدَّثهم أن النبيَّ ﷺ أهلَّ بعمرةٍ وحَجَّةٍ، فقال: أهلَّ النبي ﷺ بالحجِّ، وأهللنا بهِ معه، فلما قدِمْنا مكة قال: مَن لم يكن معهُ هدي فليجعَلْها عمْرة، وكان مع النبي ﷺ هَدي، فقدِمَ علينا

(١) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٢٦١٠ - ٣ / ١٠٣
(٢) كتاب استتابة المرتدين باب / ٧ ح ٦٩٣٣ - ٥ / ٢٨٩
(٣) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٢٦١٠ - ٣ / ١٠٣

عليٌ بن أبي طالبٍ من اليمن حاجًا فقال النبيُ ﷺ بمَ أهللتَ ، فإنَّ معنا أهلكَ ؟ قال أهللتُ بما أهلَّ به النبي ﷺ قال: فأمسك فإن معَنا هَدْيا».

٦٢- باب غزوة ذي الخلصة

٤٣٥٥- عن قيسٍ عن جرير قال «كان بيتٌ في الجاهلية يقال له ذو الخَلَصة والكعبةُ اليمانية والكعبةُ الشامية، فقال لي النبيُ ﷺ ألا تُريحني من ذِي الخلَصة؟ فنَفَرت في مائةٍ وخمسين راكباً فكسَرناه وقَتلنا من وَجَدنا عندَه، فأتيت النبي ﷺ فأخبرتهُ فدَعا لنا ولأحمسَ»

٤٣٥٦-عَن قيس قال: قال لي جرير رضي الله عنه «قال لي النبي ﷺ ألا تُريحُني من ذي الخلَصة - وكان بيتاً في خَثْعَم يُسمى الكعبةَ اليمانية، فانطلقتُ في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحابَ خيل وكنتُ لا أثبتُ على الخيل، فضربَ في صدري حتى رأيتُ أثرَ أصابعه في صدري وقال اللهّم ثبِّتهُ واجعله هادياً مهديًا، فانطلق إليها فكسَرَها وحرَّقَها،ثم بعث إلى رسول الله ﷺ فقال رسولُ جرير: والذي بَعثَك بالحقِّ ما جئتُك حتى تركتُها كأنها جملٌ أجرَب، قال: فبارك في خيلِ أحمسَ ورجالها خمس مرات» .

٤٣٥٧- عن قيس عن جريرٍ قال «قال لي رسولُ الله ﷺ ألا تُريحُني من ذِي الخلَصةِ ؟ فقلتُ بلى فانطلقت في خمسينَ ومائةِ فارس من أحمس، وكانوا أصحابَ خيل وكنتُ لا أثبتُ على الخيل، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فضرب يدَهُ على صدري حتى رأيتُ أثرَ يدهِ في صدري وقال: اللهمَّ ثبِّته، واجعلهُ هادياً مَهدياً، قال: فما وقعتُ عن فرسٍ بعدُ، قال: وكان ذو الخلَصة بيتاً باليمن لِخثْعم وبجيلةَ فيه نُصُبٌ تُعبَد، يقال له الكعبة، قال فأتاها فحرَّقَها بالنار وكسَرَها، قال: ولما قدمِ جريرٌ اليمن كان بها رجلٌ يستقسِمُ بالأزلام، فقيل له: إنَّ رسولَ رسولِ الله ﷺ هاهنا، فإن قَدَر عليك ضَرَب عُنقكَ، قال فبينما هو يَضربُ بها إذ وقفَ عليهِ جرير فقال لتكسِرَنَّها ولَتَشهدَنَّ أن لا إله إلا الله أو لأضرِبنَّ عُنقَك . قال: فكسَرَها وشَهِدَ، ثُمَّ بعث جريرٌ رجلاً من أحمسَ يُكنى أبا أرْطاةَ إلى النبي ﷺ يبشِّرُه بذلك، فلما أتى النبيَّ ﷺ قال: يا رسولَ الله، والذي بَعثَكَ بالحقِّ ما جئتُ حتى تركتها كأنها جملٌ أجرَب، قال فبرَّك النبي ﷺ على خيلِ أحمسَ ورجالها خمس مرَّات ».

قوله (كانت بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة) وقد وقع ذكر ذي الخلصة في حديث أبي هريرة عند الشيخين في كتاب الفتن مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس حول ذي الخلصة» وكان صنما تعبده دَوس في الجاهلية، والذي يظهر لي أنه غير المراد في حديث الباب .

وذكر ابن دحية أن ذا الخلصة المراد في حديث أبي هريرة كان عمرو بن لحي قد نصبه أسفل مكة، وكانوا يلبسونه القلائد فظهر الافتراق وقوي التعدد، والله أعلم .

قوله (ألا تريحني) طلب يتضمن الأمر وخص جريراً بذلك لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرافهم، والمراد بالراحة راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله تعالى.

قوله (فدعا لنا ولأحْمَس) وهم إخوة بجيلة، رهط جرير ينتسبون إلى أحمس بن الغوث بن أنمار.

قوله (وكنت لا أثبت على الخيل فضرب على[1] صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري) كان ذلك للتبرك بيده المباركة.

قوله (فكسرها وحرقها) أي هدم بناءها ورمى النار فيما فيها من الخشب .

قوله في الرواية الثالثة (ولما قدم جرير اليمن الخ) يشعر باتحاد قصته في غزوة ذي الخلصة بقصة ذهابه إلى اليمن، كأنه لما فرغ من أمر ذي الخلصة وأرسل رسوله مبشرا استمر ذاهبا إلى اليمن للسبب الذي سيذكر بعد باب.

قوله (يستقسم) أي يستخرج غيب ما يريد فعله من خير أو شر، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى {وأن تستقسموا بالأزلام}

قوله (كأنها جمل أجرب) هو كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها .

وفي الحديث مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنسانا أو حيوانا أو جمادا، وفي استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم والاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح، وفضل ركوب الخيل في الحرب، وقبول خبر الواحد، والمبالغة في نكاية العدو، ومناقب لجرير ولقومه، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه .

٦٣- باب غزوة ذات السَّلاسل، وهي غزوة لخم وجذام

قاله إسماعيل بن أبي خالد ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد بليٍّ وعذرة وبني القين .

٤٣٥٨- عن أبي عثمانَ « أن رسول الله ﷺ بعث عمرَو بن العاص على جيش ذات السلاسِل، قال فأتيتُهُ فقلت: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك ؟ قال: عائشة، قلت مِنَ الرجال ؟ قال أبوها، قلتُ ثمَّ مَن قال: عمر فعدَّ رجالاً، فسكتُّ مخافةَ أن يَجعلني في آخِرِهم » .

قوله (باب غزوة ذات السلاسل) قيل سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وذكر ابن سعد أنها وراء وادي وبينها وبين المدينة عشرة أيام،

(١) رواية الباب واليونينية "فضرب في صدري"

قال: وكانت في جمادي الآخرة سنة ثمان من الهجرة .

قوله (وقال ابن إسحق عن يزيد عن عروة هي بلاد بلي وعذرة وبني القين) أما يزيد فهو ابن رومان مدني مشهور، وأما عروة فهو ابن الزبير بن العوام، وأما القبائل التي ذكرها فالثلاثة بطون من قضاعة، وذكر ابن سعد أن جمعا من قضاعة تجمعوا وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة، فدعا النبي ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواءً أبيض وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مئتين وأمره أن يلحق بعمرو وأن لا يختلفا .

وذكر ابن إسحق أن أم عمرو بن العاص كانت من بلي فبعث النبي ﷺ عمرا يستنفر الناس إلى الإسلام ويستألفهم بذلك، وروي إسحق بن راهوية والحاكم من حديث بريدة أن عمرو بن العاص أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا، فأنكر ذلك عمر، فقال له أبو بكر: دعه فإن رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب، فسكت عنه .

وروي ابن حبان من طريق قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص «أن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارا فمنعهم، فكلمُوا أبا بكرا فكلمه في ذلك فقال: لا يوقد أحد منهم نارا إلا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم، فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد . فحمد أمره .

وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية، ومزية أبي بكر على الرجال وبنته عائشة على النساء، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في المناقب، ومنقبة لعمرو بن العاص لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهما لكن يقتضي أن له فضلا في الجملة .

٦٤- باب ذهاب جرير إلى اليمن

٤٣٥٩-عن قَيس عن جرير قال « كنتُ باليمن فلقيت رجُلَين من أهلِ اليمن - ذا كلاعٍ وذا عمرو- فجعلتُ أحدِّثهم عن رسولِ الله ﷺ فقال لي ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمرِ صاحبكَ لقد مرَّ على أجَلهِ منذ ثلاثٍ، وأقبلا معي، حتى إذا كنّا في بعض الطريق رُفِعَ لنا ركبٌ من قِبَلِ المدينةِ، فسألناهم، فقالوا: قُبِض رسول الله ﷺ واستُخلفَ أبو بكر والناسُ صالحون، فقالا: أخبِر صاحبكَ أنا قد جئنا، ولعلّنا سنعود إن شاء الله ورجَعا إلى اليمن، فأخبرتُ أبا بكر بحديثهم، قال: أفلا جئتَ بهم؟ فلما كان بعدُ قال لي ذو عمرو: يا جريرُ إنَّ بك عليَّ كرامةً و إني مُخبِركَ خبراً: إنكم مَعشرَ العرب لن تَزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أميرٌ تأمَّرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يَغضبونَ غضب الملوك،

ويرَضون رِضا الملوك».

قوله (لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك) أي حقا.

قوله (لقد مر على أجله) جواب لشرط مقدر، أي إن أخبرتني بهذا أخبرك بهذا، وهذا قاله ذو عمرو عن اطلاع من الكتب القديمة لأن اليمن أقام بها جماعة من اليهود فدخل كثير من أهل اليمن في دينهم وتعلموا منهم، وذلك بَيّن في قوله ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن إنك ستأتي قوما أهل كتاب، وقال الكرماني يحتمل أن يكون سمع من بعض القادمين من المدينة سرا، أو أنه كان في الجاهلية كاهناً أو أنه صار بعد إسلامه محدَّثاً، وقد تقدم تفسيره بأنه الملهم، قلت: وسياق الحديث يدل على ما قررته لأنه علق ما ظهر له من وفاته على ما أخبره به جرير من أحواله، ولو كان ذلك مستفادا من غير ما ذكرته لما احتاج إلى بناء ذلك على ذلك لأن الأولين خبر محض والثالث وقوع شيء في النفس عن غير قصد.

قوله (فإذا كانت) أي الإمارة (بالسيف) أي بالقهر والغلبة (كانوا ملوكا) أي الخلفاء، وهذا دليل على ما قررته أن ذا عمرو كان له اطلاع على الأخبار من الكتب القديمة، وإشارته بهذا الكلام تطابق الحديث الذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره من حديث سفينة أن النبي ﷺ قال «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا».

٦٥- باب غزوةِ سيف البحر وهم يتلقَّون عيراً لقُريش، وأميرهم أبو عبيدة

٤٣٦٠-عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال «بَعثَ رسولُ الله ﷺ بَعثاً قِبَلَ الساحلِ وأمَّر عليهم أبا عبيدةَ بن الجراح وهم ثلاثمائة، فخرجنا وكنَّا ببعضِ الطريق فَنِيَ الزَّاد، فأمر أبو عبيدةَ بأزواد الجيش فجمعَ، فكان مِزوَدَي تمرٍ، فكان يقوتُنا كلَّ يوم قليلا قليلا حتى فنِيَ، فلم يكن يصيبُنا إلا تمرةٌ تمرة، فقلتُ: ما تغني عنكم تمرة فقال: لقد وَجَدنَا فقدَها حين فنِيت، ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حُوت مثلُ الظَّرِب، فأكل منه القومُ ثمانَ عشرةَ ليلة ثمَّ أمر أبو عبيدةَ بِضِلَعَين من أضلاعه فنُصبا، ثم أمرَ براحلةٍ فرُحِلَت، ثم مرَّت تحتهما، فلم تُصبهما».

٤٣٦١-عن عمرِو بن دينار قال سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول: بَعَثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب، أميرُنا أبو عبيدةَ بن الجراح نرصُدُ عِيرَ قُريش فأقمنا بالساحلِ نصف شهر، فأصابَنا جوع شديدٌ حتى أكلنا الخَبط، فسُميَ ذلك الجيشُ جيش الخَبَط، فألقىَ لنا البحر دابةٌ يقال لها العنبرُ فأكلنا منه نصف شهر، وادَّهنَّا من وَدَكهِ حتى ثابَت إلينا أجسامُنا،

فأخذَ أبو عُبيدةَ ضلَعاً من أضلاعه فنصَبَه فعمدَ إلى أطول رجل معه، قال سفيان مرة: ضليعاً من أضلاعه فنصبه، وأخذَ رجُلاً وبعيراً فمرَّ تحتَهُ، قال جابر: وكان رجلٌ منَ القوم نحرَ ثلاثَ جَزائرَ، ثم نحرَ ثلاثَ جَزائرَ ثم نحر ثلاثَ جَزائرَ ثم إنَّ أبا عبيدةَ نهاه » وكان عمرو يقول « أخبرنا أبو صالح أن قيسَ بن سعدٍ قال لأبيه: كنتُ في الجيشِ فجاعوا، قال: انحرْ ، قال: نحرتُ قال: ثم جاعوا قال: انحر، قال نحرتُ قال: ثم جاعوا قال انحر، قال نحرتُ ثم جاعوا قال: انحر، قال نُهيتُ».

٤٣٦٢- عن عمرو أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول « غزونا جَيش الخَبَط، وأمِّرَ أبو عُبيدةَ فجعنا جوعا شديداً، فألقى البحر حوتاً ميِّتاً لم نَرَ مِثلهُ يقال له العنبر، فأكلنا منه نصفَ شهر، فأخذَ أبو عُبيدةَ عظماً من عظامه، فمرَّ الراكب تحتَه، فأخبرني أبو الزُبير أنه سمع جابراً يقول: قال أبو عُبيدةَ : كلوا فلما قَدِمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: كلوا رِزقاً أخرجهُ الله، أطعمونا إن كان معكم، فأتاهُ بعضهُم بعضو فأكلَه».

قوله (باب غزوة سيف البحر) أي ساحل البحر .

قوله في الرواية الثانية (فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط) وهو ورق السلم، في رواية أبي الزبير « وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله، وهذا يدل على أنه كان يابسا .

قوله (فإذا حوت مثل الظرب) أما الحوت فهو إسم جنس لجميع السمك، وقيل هو مخصوص بما عظم منها، والظَّرِب: الجبل الصغير .

ووقع في رواية ابن جريج عن عمرو بن دينار في أواخر الباب « فألقى لنا البحر حوتا ميتا» واستدل به على جواز أكل ميتة السمك، وسيأتي البحث فيه في كتاب الأطعمة إن شاء الله تعالى .

قوله (وادهنا من ودكه) أي شحمه.

وفي الحديث من الفوائد أيضا مشروعية المواساة بين الجيش عند وقوع المجاعة وأن الاجتماع على الطعام يستدعي البركة فيه .

٦٦- باب حجِّ أبي بكرٍ بالناس في سنة تِسْعٍ

٤٣٦٣- عن أبي هريرة « أنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه بَعثه في الحجَّة التي أمَّرهُ النبيُّ ﷺ عليها قبلَ حجةِ الوداع يومَ النحر في رَهطٍ يُؤذِّنُ في الناسِ: لا يحجَّ بعدَ العام مُشرِك، ولا يَطوفُ بالبيتِ عُريان».

٤٣٦٣- عن البراء رضي الله عنه قال «آخرُ سورةٍ نَزَلتْ كاملةً بَراءة، وآخرُ سورةٍ نزلتْ خاتمة سورةِ النساء {يَستفتونَكَ قلِ اللهُ يُفتِيكم في الكلالة } .

[الحديث ٤٣٦٤- أطرافه في: ٤٦٠٥، ٤٦٥٤، ٦٧٤٤]

قوله (حج أبي بكر بالناس في سنة تسع) كذا جزم به، ونقل المحب الطبري عن صحيح ابن حبان أن فيه عن أبي هريرة « لما قفل النبي ﷺ من حنين اعتمر من الجعرانة وأمر أبا بكر في تلك الحجة» قال المحب: إنما حج أبو بكر سنة تسع والجعرانة كانت سنة ثمان، قال وإنما حج فيها عتاب بن أسيد كذا قال وكأنه تبع الماوردي فإنه قال: إن النبي ﷺ أمر عتّابا أن يحج بالناس عام الفتح، والذي جزم به الأزرقي في « أخبار مكة» خلافه فقال: لم يبلغنا أنه استعمل في تلك السنة على الحج أحدا، إنما ولّى عتابا إمرة مكة فحج المسلمون والمشركون جميعا وكان المسلمون مع عتاب لكونه الأمير، قلت والحق أنه لم يختلف في ذلك واستدل بهذا الحديث على أن فرض الحج كان قبل حجة الوداع، والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة .

٦٧- باب وفدُ بني تَميم

٤٣٦٥- عن عِمرانَ بن حصينٍ رضيَ الله عنهما قال أتى نفرٌ من بني تميمٍ النبي ﷺ فقال: اقْبلوا البُشرَى يا بني تَميم . قالوا: يا رسول الله، قد بَشَّرتَنا فأعطِنا . فرئي ذَلك في وَجهِهِ ، فجاءَ نفرٌ من اليمن فقال: اقبلوا البُشرَى إذ لم يَقبلْها بنو تَميم . قالوا قد قَبلنا يا رسولَ الله».

٦٨- باب قال ابن إسحاقَ:يكبُر غزوة عُيَينةَ بن حِصنٍ بن حُذَيفةَ بن بدرٍ بني العَنبرِ من بني تَميم بَعثهُ النبي ﷺ إليهم، فأغار وأصاب منهم ناساً وسَبى منهم سباءَ .

٤٣٦٦- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال « لا أزالُ أحِبُّ بني تَميم بعدَ ثلاثٍ سمعتهنَّ من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: هم أشدُّ أمّتي عَلَى الدجّال، وكانت فيهم سَبِيَّةٌ عندَ عائشةَ فقال: أعتِقيها فإنها من ولَدِ إسماعيل، وجاءت صدقاتهم فقال: هذه صدقاتُ قومٍ أو قومي».

٤٣٦٧- عنِ ابن أبي مُليكة أنّ عبدَ الله بن الزُّبير أخبرَهم أنهُ قدمَ ركب من بنى تميم عَلَى النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّرِ القَعْقاعَ بن مَعبَدٍ بن زُرارةَ ، فقال عمرُ: بل أمِّرِ الأقرعَ بن حابسٍ، قال أبوبكر: ما أردتَ إلاّ خِلافي، قال عمر: ما أردتُ خِلافَكَ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزَلَ في ذلك [الحجرات][يآ أيُها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بينَ يدَىَ اللهِ ورسوله} حتى انقضَت .

[الحديث ٤٣٦٧-أطرافه في: ٤٨٤٥، ٤٨٤٧، ٧٣٠٢].

ذكر الواقدي أن سبب بعث عيينة أن بني تميم أغاروا على ناس من خزاعة، فبعث النبي ﷺ إليهم عيينة بن حصن في خمسين ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري، فأسر منهم أحد عشر

رجلا وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا، فقدم رؤساؤهم بسبب ذلك، قال ابن سعد: كان ذلك في المحرم سنة تسع .

قوله (في حديث عبد الله بن الزبير الآخر، قدم ركب من بني تميم[١] فقال أبو بكر: أمر القعقاع) سيأتي شرح هذا الحديث مستوفى في أول تفسير سورة الحجرات[٢] إن شاء الله تعالى.

٦٩- باب وفدِ عبدِ القَيس

٤٣٦٨-عن أبي جَمرَةَ « قلتُ لابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: إنّ لي جرّةً تَنتَبَذُ لي نبيذاً فأشربه حُلواً في جَرٍّ، إن أكثرتُ منهُ فجالستُ القومَ فأطلتُ الجلوسَ خَشيت أن أفتَضِحَ، فقال: قَدِمَ وفد عبدِ القيس على رسولِ الله ﷺ فقال: مرحباً بالقوم غيرَ خَزايا ولا النَّدامى ، فقالوا يا رسول الله إنَّ بينَنا وبينَك المشركين من مُضَر، وإنّا لا نَصلُ إليك إلاّ في أشهُرِ الحرُم، حدِّثنا بجُمَلٍ منَ الأمرِ إن عمِلنا به دخلنا الجنّة ونَدعو بهِ مَن وراءنا،قال آمركم بأربَع وأنهاكم عن أربَع: الإيمانِ بالله - هل تدرونَ ما الإيمانُ بالله ؟ شهادةُ أن لا إلهَ إلا الله - وإقامُ الصلاةِ، وإيتاء الزكاةِ وصَومُ رمضانَ وأن تُعطوا منَ المغانم الخمسَ - وأنهاكم عن أربع: ما انُتبِذَ في الدُّباء، والنّقير، والحنتَمِ، والمزفّت» .

٤٣٦٩-عن أبي جمرةَ قال سمعتُ ابنَ عباس يقول « قَدم وَفدُ عبد القَيسِ على النبي ﷺ فقالوا يا رسولَ الله، إنّ هذا الحيَّ من ربيعةَ، وقد حالَت بيننا وبينك كفّارُ مُضَر، فلسنا نخلُصُ إليكَ إلا في شهرِ حَرام فمرنا بأشياء نأخُذُ بها وندعو إليها مَن وراءنا،قال آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمانِ بالله -شهادةِ أن لا إلهَ إلا الله، وعقدَ واحدة- وإقام الصلاةِ وإيتاء الزكاةِ وأن تؤدّوا لله خمسَ ما غَنِمتم وأنهاكم عن الدبّاء، والنقير والحَنتَم والمزفّت».

قوله (باب وفد عبد القيس) هي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة كما ثبت في آخر حديث في الباب، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلا، وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة، وكان فيهم الأشج وقال له النبي ﷺ «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» كما أخرج ذلك مسلم من حديث أبي سعيد، وروى أبو داود من طريق أم أبان بنت الوازع بن الزارع عن جدها زارع وكان في

---

(١) رواية الباب واليونينية "قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ قال ...."
(٢) كتاب التفسير "الحجرات" باب / ٢ ح ٤٨٤٧ - ٣ / ٦٩٠

وفد عبد القيس قال «فجعلنا نتبادر من رواحلنا -يعني لما قدموا المدينة- فنقبل يد النبي ﷺ » وانتظر الأشج واسمه المنذر حتى لبس ثوبيه فأتى النبي ﷺ فقال له - إن فيك لخصلتين» الحديث.

قوله (قلت لابن عباس[1] إن لي جرة تنتبذ لي نبيذا) سيأتي الكلام على ذلك في كتاب الأشربة[2] إن شاء الله تعالى.

٤٣٧٠- عن عمرو بن الحارثِ عن بُكَير أن كُرَيباً مولى ابن عباسٍ حدَّثهُ أن ابن عباس وعبدَ الرحمنِ بن أزهرَ والمِسوَرَ بن مَخرَمةَ أرسَلوا إلى عائشةَ رضيَ الله عنها فقالوا: اقرأْ عليها السلام منّا جميعا وسَلْها عن الركعتَين بعدَ العصر، فإنا أُخبرنا أنكِ تصلّينهما، وقد بلَغنا أنّ النبي ﷺ نهى عنهما، قال ابنُ عباس: وكنتُ أضرِب مع عمرَ الناس عنهما، قال كريب: فدخلتُ عليها وبلغتها ما أرسلوني فقالت: سَل أمَّ سلمةَ، فأخبرتهم، فردُّوني إلى أمّ سلمةَ بمثل ما أرسلوني إلى عائشة، فقالت أمُّ سلمةَ: سمعتُ النبي ﷺ ينهى عنهما، وإنه ﷺ العصر، ثم دخلَ عليَّ وعندي نِسوة من بني حَرام من الأنصار فصلاهما، فأرسلتُ إليهِ الخادمَ فقلتُ قُومي إلى جَنبه فقولي: تقولُ أمُّ سلمةَ يا رسولَ الله ألم أسمَعك تنهى عن هاتين الركعتَين، فأراك تصلّيهما، فإن أشارَ بيده فاستأخِري، ففعلَت الجارية، فأشار بيده فاستأخَرَت عنه فلما انصرفَ قال يا بنتَ أبي أمية، سألتِ عنِ الركعتَينِ بعدَ العصر، إنهُ أتاني أناس من عبدِ القيسِ بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتَينِ اللّتَينِ بعد الظهر، فهما هاتان» .

٤٣٧١- عنِ ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال «أولُ جمعةٍ جُمِّعَت -بعدَ جمعةٍ جمعت في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ- في مسجدِ عبدِ القيسِ بجُواثى، يعنى قريةً من البحرَين».

٧٠- باب وفدِ بني حنيفةَ، وحديثِ ثُمامةَ بن أثال

٤٣٧٢- عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال «بَعثَ النبي ﷺ خيلا قِبلَ نجدٍ، فجاءت برجل من بني حنيفةَ يقال له ثُمامة بن أُثال، فربطوهُ بساريةٍ من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندى خيرٌ، يا محمدُ إن تَقتلني تَقتلْ ذا دم، وإن تُنعِم تنعم على شاكر، وإن كنت تريدُ المال فسلْ منه ما شئتَ فُترِكَ حتى كان الغَد ثم قال لهُ: ما عندك يا ثمامة فقال: ما اقلتُ لك: إن تُنعِم تنعم على شاكر، فتركهُ حتى كان بعدَ الغدِ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلَقَ

(١) رواية الباب واليونينية "قلت لابن عباس رضي الله عنهما".
(٢) كتاب الأشربة باب / ٨ ح ٥٥٩٥ - ٤ / ٢٧٨.

إلى نخل قريب من المسجدِ فاغتسلَ، ثم دخل المسجدَ فقال: أشهد أن لا إلهَ إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، يا محمد، واللهِ ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليّ من وَجهك، فقد أصبحَ وَجهُكَ أحبَّ الوجوهِ إليّ، والله ما كان من دِين أبغضَ إليّ من دِينكَ، فأصبح دينُك أحبَّ الدِّين إليّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليّ من بلدك، فأصبحَ بلدُكَ أحبَّ البلاد إليّ وإن خَيلَك أخذَتني، وأنا أُريد العمرةَ، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ، وأمَرَه أن يعتمر، فلما قَدِم مكة قال له قائل: صَبوت؟ قال: لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا واللهِ لا يأتيكم من اليمامَةِ حَبةُ حِنطة حتى يأذَن فيها النبي ﷺ».

قوله (باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال) وهي قبيلة كبيرة شهيرة ينزلون اليمامة بين مكة واليمن، وكان وفد بني حنيفة كما ذكره ابن إسحق وغيره في سنة تسع، وذكر الواقدي أنهم كانوا سبعة عشر رجلا فيهم مسيلمة، وأما ثمامة بن أثال ابن النعمان بن مسلمة الحنفي، وهو من فضلاء الصحابة.

قوله (ماذا عندك) أي ما الذي استقر في ظنك أن أفعله بك؟ فأجاب بأنه ظن خيرا فقال: عندي يا محمد خير، أي لأنك لست ممن يظلم، بل ممن يعفو،ويحسن.

قوله (إن تقتلني تقتل ذا دم)، قال النووي: معنى رواية الأكثر إن تقتل تقتل ذا دم أي صاحب دم لدمه موقع يشتفي قاتله بقتله ويدرك ثأره لرياسته وعظمته، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه دم وهو مطلوب به فلا لوم عليك في قتله.

قوله (فبشَّره) أي بخيري الدنيا والآخرة، أو بشره بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة.

قوله (قال: لا ولكن[١] أسلمت مع محمد) كأنه قال: لا ما خرجت من الدين، لأن عبادة الأوثان ليست دينا، فإذا تركتها لا أكون خرجت من دين، بل استحدثت دين الإسلام.

قوله (مع محمد) أي وافقته على دينه فصرنا متصاحبين في الإسلام.

---

(١) رواية الباب "لا والله ولكن أسلمت محمد ﷺ واليونينية توافق الشرح.

قوله (لا تأتيكم[١] من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي ﷺ) وفي قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد، والمنّ على الأسير الكافر وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل، وفيه الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خيرٍ ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه، وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار، وأسْر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه.

٤٣٧٣- عنِ ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال «قَدِمَ مُسيلمةُ الكذّابُ على عهدِ رسول الله فجعلَ يقول: إن جعلَ لي محمدٌ الأمرَ من بعدهِ تَبعتُه وقَدِمَها في بشرٍ كثيرٍ من قومه، فأقبلَ إليهِ رسولُ الله ﷺ ومعهُ ثابتُ بن قيسِ بن شَمَّاس-وفي يد رسولِ الله ﷺ قطعةُ جَرِيد- حتى وَقَفَ على مُسيلمةَ في أصحابهِ فقال: لو سألتَني هذه القطعة ما أعطيتُكها، ولن تَعدُو أمرَ الله فيك، ولئن أدبرتَ ليَعقرنَّكَ الله، وإني لأراكَ الذى أُرِيتُ فيه مارأيتُ، وهذا ثابتٌ يُجِيبُكَ عني،ثم انصرفَ عنه».

٤٣٧٤-قال ابنُ عباسٍ «فسألتُ عن قولِ رسول الله ﷺ: إنكَ أُرَى الذي أُرِيتُ فيه ما أريت، فأخبرَني أبو هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: بينا أنا نائمٌ رأيتُ في يديَّ سِوارَينِ من ذَهب، فأهمَّني شأنُهما فأوحي إليَّ في المنام أنِ انفُخْهما، فنفختُهما فطارا، فأوّلتهما كذابَين يَخرُجانِ بعدي: أحدُهما العَنْسيُّ، والآخرُ مُسيلمة».

٤٣٧٥- عن هَمامٍ أنه سمعَ أبا هريرةَ رضيَ الله عنه يقول» قال رسولُ الله ﷺ بَينا أنا نائم أُتيتُ بخزائنِ الأرض، فوُضعَ في كفِّي سِواران من ذهب، فكَبُرا عليَّ، فأوحيَ إليَّ أن أنفُخْهما فنفختهما فذَهبا فأوَّلتُهما الكذّابَينِ الذين أنا بينهما: صاحبَ صَنعاء، وصاحبَ اليمامة» .

(١) رواية الباب واليونينية "لا يأتيكم..."

قوله (قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي[١] ﷺ) أي المدينة، قال ابن إسحق: ادعى النبوة سنة عشر، ويستفاد من هذه القصة أن الإمام يأتي بنفسه إلى من قدم يريد لقاءه من الكفار إذا تعين ذلك طريقا لمصلحة المسلمين .

قوله (ولن تعدو أمر الله) والمراد بأمر الله حكمه، وقوله «ولئن أدبرت» أي خالفت الحق، وقوله «ليعقرنك[٢] » أي يهلكك.

قوله (وهذا ثابت بن[٣]قيس يجيبك عني) أي لأنه كان خطيب الأنصار، وكان النبي ﷺ قد أعطي جوامع الكلم فاكتفى بما قاله لمسيلمة وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم عني في ذلك، ويؤخذ منه استعانة الإمام بأهل البلاغة في جواب أهل العناد ونحو ذلك .

قوله (أريت) من رؤيا المنام، وسيأتي شرحه في تعبير[٤]الرؤيا إن شاء الله تعالى.

ويؤخذ منه أن السوار وسائر آلات أنواع الحلي اللائقة بالنساء تعبر للرجال بما يسوؤهم ولا يسرهم، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب التعبير إن شاء الله تعالى.

٤٣٧٦- عن أبي رجاء العطارديِّ يقول: كنَّا نَعبُد الحجرَ، فإذا وجدنا حجراً هوَ أخْيَرُ منه ألقيناهُ وأخَذْنا الآخرَ، فإذا لم نجد حجراً جمعْنا جُثْوَةً من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلَبْناهُ عليه، ثمَّ طُفنا به، فإذا دخلَ شهرُ رجبٍ قلنا: مُنَصِّلُ الأسنَّة ، فلا نَدعُ رمحاً فيه حديدةٌ، ولا سهماً فيه حديدة إلا نَزَعْناه وألقيناهُ شهرَ رجب » .

٤٣٧٧-وسمعتُ أبا رجاء يقول: كنت يومَ بُعث النبي ﷺ غُلاماً أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه فرَرنا إلى النار، إلى مسيلمة الكذَّاب» .

---

(١) رواية الباب واليونينية "على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) رواية الباب واليونينية "ليعقرنك الله"

(٣) رواية الباب واليونينية "وهذا ثابت يجيبك عني"

(٤) كتاب التعبير باب / ٤٧ ح ٧٠٣٤ - ٥ / ٣٣٨

قوله (هو أخير منه) في رواية الكشميهني «أحسن» بدل أخير، والمراد بالخيرية الحسية من كونه أشد بياضا أو نعومة أو ذلك من صفات الحجارة المستحسنة .

قوله (كنت يوم بعث النبي ﷺ غلاما أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار، إلى مسيلمة الكذاب الذي يظهر أن مراده بقوله «بعث» أي اشتهر أمره عندهم، ومراده بخروجه أي ظهوره على قومه من قريش بفتح مكة، وليس المراد مبدأ ظهوره بالنبوة ولا خروجه من مكة إلى المدينة لطول المدة بين ذلك وبين خروج مسيلمة، ودلت القصة على أن أبا رجاء كان من جملة من بايع مسيلمة من قومه بني عطارد بن عوف بن كعب بطن من بني تميم، وكان السبب في ذلك أن سجاحا، وهي امرأة من بني تميم ادعت النبوة أيضا فتابعها جماعة من قومها ثم بلغها أمر مسيلمة فخادعها إلى أن تزوجها واجتمع قومها وقومه على طاعة مسيلمة .

٧١- باب، قصة الأسود العَنْسيّ

٤٣٧٨- عن ابن عُبيدةَ بن نَشيطٍ - وكان في موضع آخرَ اسمه عبدُ الله أنَّ عُبيدَ الله بن عبدِ الله بن عتبة قال «بلَغنا أنَّ مُسيلمةَ الكذاب قدمَ المدينة فنزَل في دارِ بنتِ الحارث، وكانت تحتَهُ بنتُ الحارثِ بن كُرَيز، وهي أمُّ عبدِ الله بن عامر،فأتاه رسولُ الله ومعه ثابتُ بن قَيسِ بن شمّاس، وهو الذي يقال له خطيبُ رسول الله ﷺ وفي يد رسولِ الله ﷺ قَضيبٌ فوقفَ عليهِ فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئتَ خَلَّينا بينكَ وبين الأمر ثم جَعلتَه لنا بعدك، فقالَ النبي ﷺ لو سألتَني هذا القضيبَ ما أعطيتُكه، وإني لأراكَ الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابتُ بن قيسٍ سيُجيبكَ عنِّي، فانصرفَ النبي ﷺ».

٤٣٧٩- قال عُبيدُ الله بن عبدِ الله: سألتُ عبدَ الله بن عبّاس عن رؤيا رسولِ الله ﷺ التي ذكرَ، فقال ابنُ عباس: ذُكر لي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: بَينا أنا نائمٌ أُريتُ أنه وُضعَ في يديَّ سواران من ذهب، ففظعْتهما وكرِهتهما، فأذنَ لي فنفَخْتُهما فطارا، فأوَّلتهما كذاَبين يَخرُجان، فقال عبيدُ الله: أحدهما العنسيُّ الذي قتلهُ فَيروزُ باليمنِ، والآخرُ مسيلمةُ الكذاب».

قوله (فقال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن، والآخر مسيلمة

الكذاب) أما مسيلمة فقد ذكرت خبره، وأما العنسي وفيروز فكان من قصته أن العنسي وهو الأسود واسمه عبهلة بن كعب وكان يقال له أيضا ذو الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يُخمِّر وجهه، وقيل وهو اسم شيطانه، وكان الأسود قد خرج بصنعاء وادعى النبوة وغلب على عامل صنعاء المهاجر بن أبي أمية، ويقال أنه مر به فلما حاذاه عثر الحمار فادعى أنه سجد له، ولم يقم الحمار حتى قال له شيئاً فقام، وروى يعقوب بن سفيان والبيهقي في «الدلائل» من طريقه من حديث النعمان بن بُزْرُج قال: خرج الأسود الكذاب وهو من بني عَنْس وكان معه شيطانان يقال لأحدهما سحيق والآخر شقيق، وكانا يخبرانه بكل شيء يحدث من أمور الناس، وكان باذان عامل النبي ﷺ بصنعاء فمات، فجاء شيطان الأسود فأخبره، فخرج في قومه حتى ملك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجة باذان،فذكر القصة في مواعدتها دادويه وفيروز وغيرهما حتى دخلوا على الأسود ليلا، وقد سقته المرزبانة الخمر صرفا حتى سكر، وكان على بابه ألف حارس، فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه، وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت، وأرسلوا الخبر إلى المدينة فوافى ذلك عند وفاة النبي ﷺ، قال أبو الأسود عن عروة: أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر به أصحابه،ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ.

٧٢- باب، قصةُ أهلِ نَجرانَ

٤٣٨٠- عن حُذَيفةَ قال «جاء العاقبُ والسيّدُ صاحبا نجرانَ إلى رسول الله ﷺ يُريدانِ أن يُلاعناه، قال فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعلْ، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلحُ نحن ولا عقبُنا من بَعدنا، قالا: إنّا نعطيكَ ما سألتَنا، وابعَثْ معنا رجُلاً أميناً، ولا تبعَثْ معنا إلاّ أميناً، فقال: لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين، فاستشرفَ له أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عُبيدةَ بن الجرّاح، فلما قام، قال رسول اللهِ ﷺ هذا أمينُ هذهِ الأمّة».

٤٣٨١-عن صلةَ بن زُفَر عن حذيفةَ رضي الله عنه قال «جاءَ أهل نَجرانَ إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعَثْ لنا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلا أميناً حقَّ أمين، فاستشرَفَ له الناس، فبعث أبا عُبيدةَ بن الجرّاح».

٤٣٨٢- عن أنسٍ عنِ النبي ﷺ قال «لكلِّ أمةٍ أمين، وأمين هذه الأمَّة أبو عُبيدةَ بن الجراح».

قوله ([١]قصة أهل نجران) بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاث وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع، وذكر ابن إسحق أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ بمكة وهم حينئذ عشرون رجلا، وقال ابن سعد: كان النبي ﷺ كتب إليهم فخرج إليه وفدهم في أربعة عشر رجلا من أشرافهم.

قوله (جاء[٢] السيد والعاقب صاحبا نجران) أما السيد فكان اسمه الأيهم ويقال شرحبيل، وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك، وأما العاقب فاسمه عبد المسيح وكان صاحب مشورتهم، وكان معهم أيضا أبو الحارث ابن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدراسهم، قال ابن سعد: دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، فقال: إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم، فانصرفوا على ذلك.

قوله (يريدان أن يلاعناه) أي يباهلاه.

وفي قصة أهل نجران من الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام، وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين، وفيها مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال، ويجري ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم، فإن كلا منهما مال يؤخذ من الكفار على وجه الصَّغار في كل عام، وفيها بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام، وفيها منقبة ظاهرة لأبي عبيدة بن الجراح

(١) رواية الباب واليونينية "باب قصة أهل نجران"

(٢) رواية الباب واليونينية "جاء العاقب والسيد صاحبا نجران".

رضي الله عنه .

٧٣- باب - قصةُ عُمانَ والبَحرَين .

٤٣٨٣- عن جابرِ بن عبد الله رضيَ الله عنهما قال: «قال لي رسولُ الله ﷺ: لو قد جاءَ مالُ البحرَين لقد أعطيتُكَ هكذا وهكذا (ثلاثا) فلم يَقدَم مالُ البحرين حتى قُبضَ رسولُ الله ﷺ، فلما قدمِ على أبي بكر أمرَ مناديًا فنادَى: مَن كان له عندَ النبيُّ ﷺ دَينٌ أو عِدَةٌ فليَأتني، قال جابر: فجئتُ أبا بكرٍ فأخبرته أنَّ النبي ﷺ قال: لو جاء مالُ البحرَين أعطيتُك هكذا وهكذا (ثلاثا)، قال: فأعطاني، قال جابر: فلقيتُ أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يُعطني، ثم أتيتُه فلم يعطِني، ثم أتيته الثالثةَ فلم يعطِني، فقلتُ له: قد أتيتُكَ فلم تعطني، ثم أتيتُكَ فلم تعطني، ثم أتيتُكَ فلم تعطني، فإمَّا أن تعطِني، وإما أن تَبخلَ عني، قال: أقلتَ تبخلُ عني؟ وأيُّ داء أدْوَأُ من البخل؟ قالها ثلاثا، ما منعتُكَ من مرةٍ إلا وأنا أُريدُ أن أعطيَكَ».

وعن عمرو عن محمد بن عليٍّ « سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول: جِئتُه فقال لي أبو بكر: عُدَّها، فعددتها فوجدتها خمسَمائة، فقال: خذ مثلَها مرَّتَين» .

قوله (قصة[١]عمان والبحرين) أما البحرين فبلد عبد القيس، وأما عمان قال عياض: هي فرضة بلاد اليمن .

٧٤- باب قدومِ الأشْعريينَ وأهلِ اليمن .

وقال أبو موسى عنِ النبي ﷺ «هم مني وأنا منهم»

٤٣٨٤- عن أبي موسى رضيَ الله عنه قال «قدِمتُ أنا وأخي منَ اليمنِ فمكثنا حِيناً ما نُرى ابنَ مسعودٍ وأمَّهُ إلا من أهلِ البيت، من كثرةِ دُخولهم ولُزومهم له»

٤٣٨٥- عن زَهْدَمَ قال لما قدم أبو موسى أكرمَ هذا الحيَّ من جَرْمٍ ، وإنَّا لجلوسٌ عندَهُ وهوَ يَتغدَّى دَجاجاً، وفي القوم رجلٌ جالسٌ، فدعاهُ إلى الغَداء فقال: إني رأيتهُ يأكل شيئاً فقَذِرتهُ، فقال له: هلمَّ ، فإني رأيتُ النبي ﷺ يأكلهُ، فقال: إني

(١) في المتن "باب قصة عمان والبحرين" واليونينية توافق الشرح.

حلفت لا آكلهُ، فقال: هلمَّ أُخبرْكَ عن يَمينك، إنا أتينا النبي ﷺ نفرٌ منَ الأشعريين، فاستَحمَلناهُ، فأبى أن يَحملَنا، فاستحملناهُ، فحلفَ أن لا يحملَنا، ثم لم يَلبثِ النبي ﷺ أن أُتيَ بنهبِ أبلٍ فأمرَ لناَ بخمسِ ذَوْدٍ، فلما قَبضْناها قلنا تَغفَّلنا النبيَّ ﷺ يمينَه، لا نُفلِحُ بعدَها أبداً، فأتَيته فقلتُ: يا رسولَ الله، إنكَ حَلفت أن لا تحملَنا، وقد حَملتَنا، قال: أجلْ لا أحلِفُ على يَمينٍ فأرَى غيرها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ منها » .

قوله (لما قدم أبو موسى) أي إلى الكوفة أميرا عليها في زمن عثمان.

٤٣٨٦- عن عمرانَ بنِ حصُين قال« جاءت بنو تميم إلى رسولِ الله ﷺ فقال: أبشِروا يا بني تميم، قالوا: أما إذ بَشَّرتَنا فأعطِنا، فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ فجاء ناسٌ من أهلِ اليمنِ، فقال النبي ﷺ اقبَلوا البُشرَى إذ لم يَقبَلها بنو تميم قالوا: قد قَبلنا يا رسولَ الله».

٤٣٨٧-عن أبي مسعود أنَّ النبي ﷺ قال «الإيمانُ هاهنا - أشار بيدهِ إلى اليمن، والجَفاءُ وغِلظُ القلوبِ في الفدّادِينَ عندَ أُصولِ الإبل من حيث يَطلعُ قرنا الشيطانِ ربيعةَ ومُضَر» .

٤٣٨٨- عن أبي هريرة رضيَ الله عنه عنِ النبي ﷺ «أتاكم أهلُ اليمنِ هم أرقُّ أفئدةً وألْيَنُ قلوبا، الإيمانُ يَمان، والحكمة يَمانية، والفخرُ والخيلاءُ في أصحابِ الإبل، والسَّكينة والوقار في أهل الغَنَم » .

٤٣٨٩- عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال «الإيمانُ يَمان، والفتنة هاهنا، ها هنا يَطلعُ قرنُ الشيطان »

٤٣٩٠- عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال أتاكم أهلُ اليمنِ أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً، الفقهُ يمان، والحكمة يَمانية» .

قوله (الإيمان يمان) سيأتي شرحه في كتاب الفتن[١] إن شاء الله تعالى.

---

(١) كتاب الفتن باب / ١٦ ح ٧٠٩٢ - ٥ / ٣٨٥.

٤٣٩١- عن علقمةَ قال «كنَّا جلوسا معَ ابن مسعودٍ فجاء خبابٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن أيستطيعُ هؤلاء الشبابُ أن يقرءوا كما تقرأ ؟ قال: أما إنكَ لو شئتَ أمرتُ بعضَهم يَقرأ عليك، قال: أجل، قال اقرأ يا علقمة فقال زيدُ بن حُدَير - أخو زيادِ بن حُدَير - أتأمرُ علقمةَ أن يقرأ وليس بأقرَئنا ؟ قال: أما إنك إن شئتَ أخبرتُك بما قال النبيُّ ﷺ في قومك وقومهِ، فقرأتُ خمسينَ آيةً من سورةِ مريمَ، فقال عبد الله: كيفَ ترَى ؟ قال: قد أحسنَ ، قال عبدُ الله: ما أقرأُ شيئاً إلا وهوَ يَقرَؤه ثمَّ التفتَ إلى خَبابٍ وعليه خاتمٌ من ذهب فقال: ألم يأنِ لهذا الخاتم أن يُلقى ؟ قال: أما إنكَ لن تراهُ عليَّ بعد اليوم، فألقاهُ »

قوله (فجاء خباب) وهو ابن الأرت الصحابي المشهور.

قوله (يا أبا عبد الرحمن) هو كنية ابن مسعود .

قوله (وقال[١] عبد الله كيف ترى) خاطب عبد الله بذلك خبابا لأنه هو الذي سأله أولا قال قد أحسن .

قوله (ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال: ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى) أي يرمى به .

وفي الحديث منقبة لابن مسعود وحسن تأنيه في الموعظة والتعليم، وأن بعض الصحابة كان يخفى عليه بعض الأحكام فاذا نبه عليها رجع، ولعل خبابا كان يعتقد أن النهي عن لبس الرجال الذهب للتنزيه، فنبهه ابن مسعود على تحريمه، فرجع إليه مسرعا .

٧٥-باب قصةُ دَوس والطُّفَيلِ بن عمرو الدَّوْسيِّ

٤٣٩٢- عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال « جاءَ الطُّفَيلُ بن عمرو إلى النبيِّ ﷺ فقال: إن دَوساً قد هَلَكت، عَصت وأبَت، فادعُ اللهَ عليهم، فقال: اللهمَّ اهدِ دَوساً وائتِ بهم » .

٤٣٩٣- عن أبي هريرةَ قال «لما قدمتُ على النبيِّ ﷺ قلتُ في الطريق:

(١) رواية الباب واليونينية "فقال عبد الله كيف ترى".

ياليلـةً من طولِها وعَنائهـا على أنها من دارةِ الكفر نَجَّتِ

وأبَقَ غُلامٌ لي في الطريق، فلما قَدِمتُ على النبيِّ ﷺ فبايعتُه فبينا أنا عندَهُ إذ طلعَ الغلامُ، فقال لي النبيُّ ﷺ: يا أَبا هريرةَ، هذا غُلامُك، فقلت وهوَ لوجهِ الله، فأعتقته».

قوله (قصة[١]دوس والطفيل بن عمرو الدوسي) والطفيل بن عمرو كان يقال له ذو النور لأنه لما أتى النبي ﷺ وأسلم بعثه إلى قومه فقال: اجعل لي آية فقال: اللهم نور له، فسطع نور بين عينيه، فقال: يا رب أخاف أن يقولوا إنه مثلة فتحول إلى طرف سوطه، وكان يضيء في الليلة المظلمة، ذكره هشام بن الكلبي في قصة طويلة، وفيها أنه دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه، وأجابه أبو هريرة وحده، قلت، هذا يدل على تقدم إسلامه.

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن الطفيل بن عمرو استشهد بأجنادين في خلافة أبي بكر.

٧٦ - باب قصة وفدِ طيِّئٍ وحديث عَديٍّ بن حاتم

٤٣٩٤- عن عَديٍّ ابن حاتم قال «أتَينا عمرَ في وَفدٍ، فجعلَ يَدعو رجلاً رجلاً ويُسمِّيهم، فقلتُ: أما تَعرفُني يا أميرَ المؤمنين؟ قال: بلى، أسلمتَ إذ كفَروا، وأقبلتَ إذ أدْبَروا، ووَفَيتَ إذ غَدروا، وعَرَفتَ إذ أنكروا، فقال عَدِيٌّ: فلا أُبالي إذاً».

قوله (أتيت[٢]عمر) أي في خلافته.

قوله (فجعل يدعو رجلا رجلاً يسميهم[٣]) أي قبل أن يدعوهم.

قوله (بلى أسلمت إذ كفروا الخ)يشير ذلك إلى وفاء عدي بالإسلام والصدقة بعد

---

(١) في المتن "باب قصة دوس ..." واليونينية توافق الشرح.

(٢) رواية الباب واليونينية "أتينا عمر".

(٣) رواية الباب واليونينية "ويسميهم".

موت النبي ﷺ، وأنه منع من أطاعه من الردة، وذلك مشهور عند أهل العلم بالفتوح.

قوله (فقال عدي: فلا أبالي إذا) أي إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي إذا قدَّمتَ عليَّ غيري .

٧٧- باب حجَّة الوَداع

٤٣٩٥- عن عائشةَ رضي الله عنها قالت «خرجنا مع رسولِ الله ﷺ في حجَّةِ الوَداع فأهْلَلنا بعُمرة، ثم قال رسولُ الله ﷺ: مَن كان معهُ هَديٌ فلْيُهلل بالحجِّ مع العمرة، ثمَّ لا يَحلُّ حتى يَحلَّ منهما جميعاً ، فقَدمت معهُ مكةَ وأنا حائض، ولم أطُف بالبيتِ ولا بينَ الصَّفا والمَروة، فشكَوتُ إلى رسولِ الله ﷺ فقال انقضي رأسَكِ وامتشِطي وأَهلِّي بالحج ودَعي العمرةَ، ففعلت فلما قَضَينا الحجَّ أرسلني رسولُ اللهِ ﷺ معَ عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق إلى التَّنعيم فاعتَمرت، فقال: هذه مكانَ عُمرتك، قالت: فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبينَ الصَّفا والمروة، ثم حَلُّوا، ثم طافوا طَوافاً آخرَ بعدَ أن رجعوا مِنًى: وأما الذين جَمعوا الحجَّ والعمرة فإنما طافوا طَوافاً واحداً».

قوله (باب حجة الوداع) ذكر جابر في حديثه الطويل في صفتها كما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ مكث تسع سنين -أي منذ قدم المدينة- لم يحج، ثم أذّن في الناس في العاشرة أن النبي ﷺ حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله، الحديث، ووقع في حديث أبي سعيد الخدري ما يوهم أنه ﷺ حج قبل أن يهاجر غير حجة الوداع، وعند الترمذي من حديث جابر حج قبل أن يهاجر ثلاث حجج».

وقد أخرج الحاكم بسند صحيح إلى الثوري «أن النبي ﷺ حج قبل أن يهاجر حججا» وقال ابن الجوزي: حج حججا لا يعرف عددها، وقال ابن الأثير في النهاية: كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر، وفي حديث ابن عباس أن خروجه من المدينة كان لخمس بقين من ذي القعدة أخرجه المصنف في الحج .

٤٣٩٦- عنِ ابن عباس « إذا طاف بالبيتِ فقد حلَّ، فقلتُ من أينَ قال هذا ابن عبّاس ؟ قال: من قول الله تعالى [٣٣ الحج] {ثم مَحلُّها إلى البيت العتيق} ومن أمرِ النبيِّ ﷺ أصحابَه أن يَحلُّوا في حَجة الوداع، قلتُ إنما كان ذلك بعدَ المعرَّف قال: كان ابنُ عبّاس يَراهُ قبلُ وبعدُ».

قوله (عن ابن عباس إذا طاف بالبيت فقد حل فقلت: من أين قال هذا ابن عباس) والمراد بالمعرَّف والوقوف بعرفة وهو ظاهر في أن المراد بذلك من اعتمر مطلقا سواء كان قارنا أو متمتعا، وهو مذهب مشهور لابن عباس، وقد تقدم البحث فيه في أبواب الطواف في « باب من طاف بالبيت إذا قدم» من كتاب الحج[١].

٤٣٩٧- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال « قَدِمتُ على النبي ﷺ بالبطحاء، فقال: أحَجَجْتَ ؟ قلت نعم، قال كيفَ أهللتَ ؟ قلت: لبيّك بإهْلالٍ كإهلال رسول الله ﷺ ، قال طُف بالبيتِ وبالصَّفا والمروة، ثم حِلَّ، فطفتُ بالبيتِ، وبالصَّفا والمروة وأتيتُ امرأةً من قيس ففلَتْ رأسي» .

٤٣٩٨- عن نافع أنَّ ابن عمرَ أخبرَه أن حفصةَ رضي اللهُ عنها زوجَ النبي ﷺ أخبرَتهُ أن النبي ﷺ أمر أزواجَهُ أن يَحلِلنَ عامَ حَجةِ الوداع فقالت حفصةُ: فما يَمنعُكَ؟ فقال لَبَّدْتُ رأسي، وقَلدْتُ هديي، فلستُ أحلُّ حتى أنحرَ هَدْيي » .

٤٣٩٩- عنِ ابن عباس رضيَ الله عنهما « انَّ امرأةً من خَثْعم استَفتَتْ رسول الله ﷺ في حَجةِ الوداع -والفضلُ بن عباس رَديفُ رسول الله ﷺ- فقالت: يا رسولَ الله إن فريضةَ الله على عبادهِ أدركَتْ أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يَستويَ على الراحلة، فهل يَقضي أن أحجَّ عنه ؟ قال: نعم » .

٤٤٠٠- عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال « أقبلَ النبيُّ ﷺ عامَ الفتح وهو مُردفٌ أُسامةَ على القَصْواء -ومعه بلالٌ وعثمانٌ بن طلحةَ- حتى أناخ عندَ البيت، ثم قال لعثمان: ائتنا بالمفتاح، فجاءه بالمفتاح ففتح له البابَ، فدخلَ النبي ﷺ وأُسامةُ وبلالٌ وعثمانُ، ثم أغلقوا عليهم البابَ، فمكثَ نهاراً طويلاً، ثم خرجَ

(١) كتاب الحج باب / ٦٣ ح ١٦١٤ - ٢ / ٤٣.

وابتدرَ الناسُ الدخولَ، فسبقتُهم، فوجدتُ بلالاً قائما من وَراء الباب، فقلتُ له: أينَ صلّى رسولُ الله ﷺ؟ فقال ﷺ بين ذينكَ العمودَين المقدَّمين، وكان البيتُ على ستة أعمدة سَطرَين، صلّى بين العمودين من السطر المقدَّم وجعلَ باب البيتَ خلفَ ظهره، واستقبل بوَجهه الذي يستقبلكَ حين تلجُ البيت بينهُ وبينَ الجدار، قال: ونسيتُ أن أسألهُ كم صلّى، وعندَ المكان الذي صلّى فيه مَرْمَرَةٌ حمراء».

٤٤٠١- عن عُروةُ بن الزُّبيرِ وأبو سَلمةَ بن عبدِ الرحمن «أن عائشةَ زوجَ النبي ﷺ أخبرَتهما أنَّ صفية بنت حُيَي زوجَ النبي ﷺ أفاضَت في حَجة الوداع، فقال النبيُّ ﷺ أحابِسَتُنا هي؟ فقلتُ إنها قد أحاضَتْ يا رسولَ الله وطافَت بالبيت، فقال النبيُّ ﷺ: فَلْتنفِرْ».

٤٤٠٢- عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال«كنا نتحدَّثُ بحجَّة الوداع والنبيُّ ﷺ بينَ أظهُرنا ولا ندري ما حجةُ الوداع، فحمِدَ اللهَ وأثنىَ عليه، ثم ذكرَ المسيحَ الدجَّالَ فأطنبَ في ذكرهِ وقال: ما بعثَ اللهُ من نبيَ إلا أنذرَ أمتَهُ، أنذرَهُ نوح والنبيونَ من بعده، وإنه يَخرُجُ فيكم، فما خفي عليكم من شأنهِ فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثا، إن ربكم ليسَ بأعور، وإنهُ أعورُ عينِ اليمنى كأنَّ عينه عنبةٌ طافية».

٤٤٠٣- ألا إنَّ اللهَ حرَّم عليكم دِماءَكم وأموالكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهمَّ اشهدْ (ثلاثاً) ويلكم - أو ويحكم - انظروا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضربُ بعضكم رِقابَ بعض».

٤٤٠٤-عن زيد بن أرقمَ «أن النبيَّ ﷺ غزا تسعَ عشرةَ غزوةً، وأنهُ حجَّ بعدما هاجرَ حَجةً واحدة لم يَحجَّ بعدَها: حَجةَ الوداع» قال أبو إسحاقَ: وبمكة أُخرى.

٤٤٠٥-عن جريرِ «أنَّ النبيَّ ﷺ قال في حَجةِ الوَداع لجريرِ: استَنصتِ الناسَ، فقال: لا ترجعوا بعدى كفاراً يَضرب بعضكم رِقابَ بعض».

٤٤٠٦-عن أبي بكرةَ عن النبي ﷺ قال «الزمانُ قد استدار كهيئه يومَ خلقَ السماواتِ والأرض: السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعةٌ حُرُم: ثلاثة متواليات -ذو القَعدةِ وذو الحجةِ والمحرَّم- ورجبُ مُضَرَ الذي بينَ جُمادَى وشعبان، أي شهرٍ هذا؟

قلنا: الله ورسولهُ أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيسمِّيهِ بغيرِ اسمه، قال أليس ذو الحجَّة؟ قلنا: بلى، قال فأيُّ بلد هذا قلنا: اللهُ ورسولهُ أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيسمِّيهِ بغيرِ اسمه قال: أليسَ البلدة؟ قلنا بلى، فأيُّ يومٍ هذا؟ قلنا: الله ورسولهُ أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيسمِّيهِ بغيرِ اسمه، قال: أليس يومَ النَّحر؟ قلنا: بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد: وأحسبُهُ قال: وأعراضَكم- عليكم حَرام، كحرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهركم هذا، وستَلقَون ربَّكم فسيسألكم عن أعمالِكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يَضربُ بعضكم رِقابَ بعض، ألا ليُبْلغِ الشاهدُ الغائبَ، فلعلَّ بعضَ مَن يُبلغُه أن يكون أوعى له من بعض مَن سَمِعَه -فكان محمدٌ إذا ذكرَهُ يقول: صدقَ محمدٌ ﷺ- ثم قال: ألا هل بلغتُ (مرَّتين)».

٤٤٠٧- عن طارق بن شهاب «أنَّ أناساً من اليهود قالوا: لو نزلَتْ هذهِ الآية فينا لاتخَذنا ذلكَ اليومَ عيداً، فقال عمرُ: أيَّةُ آية؟ فقالوا [٣ المائدة] {اليومَ أكملتُ لكم دينكم، وأتممتُ عليكم نِعمتي، ورَضيت لكُم الإسلام ديناً} فقال عمر: إني لأعلمُ أيَّ مكان أنزلت: أنزِلت ورسولُ اللهِ ﷺ واقف بعرَفة».

٤٤٠٨- عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت «خرجنا معَ رسولِ الله ﷺ فمنَّا مَن أهلَّ بعُمرة، ومنَّا من أهلَّ بحجة، ومنَّا من أهلَّ بحجٍ وعمرة، وأهلَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالحج، فأما من أهلَّ بالحج أو جمعَ الحجَّ والعمرةَ لم يَحِلُّوا حتى يوم النحر».

٤٤٠٩- عن عامر بن سعدٍ عن أبيه قال «عادَني النبي ﷺ في حجةِ الوداع من وجَعٍ أشفيتُ منه على الموت، فقلت يا رسولَ الله، بلغَ بي منَ الوجع ما ترَى، وأنا ذو مالٍ، ولا يرثُني إلا ابنةٌ لي واحدة، أفأتصدَّقُ بثُلثي مالي؟ قال: لا، قلتُ أفأتصدَّقُ بشطرِه؟ قال: لا قلت: فالثلث؟ قال والثلث كثير؟ إنك أن تَذَرَ وَرثتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تَذرهم عالةً يتكففونَ الناس، ولستَ تنفقُ نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلاَّ أُجرتَ بها، حتى اللقمةَ تجعلُها في في امرأتكَ، قلت: يا رسول الله، أأُخلَّفُ بعدَ أصحابي؟ قال: إنكَ لن تخلَّفَ فتعملَ عملاً تبتغي به وجهَ اللهِ إلا ازدَدْتَ به درجةً ورفعةً، ولعلَّكَ تُخلَّفُ حتى يَنتفعَ بك أقوامٌ ويُضَرَّ بكَ آخرون، اللهمَّ أمضِ لأصحابي هجرَتَهم، ولا ترُدَّهم على أعقابهم، لكنِ البائسُ سعدُ بن خَولة، رثى له رسولُ الله ﷺ أنْ تُوفِّي بمكة».

٤٤١٠-عن نافع أنَّ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أخبرَهم أنَّ رسولَ الله ﷺ حلق رأسَهُ في حجةِ الوَداع » .

٤٤١١- عن ابنِ عمر « أنَّ النبي ﷺ حلقَ في حجة الوداع وأُناسٌ من أصحابهِ، وقصَّر بعضهم » .

٤٤١٢- عن عبيد الله بن عبد الله أنَّ عبد الله بن عباسٍ رضيَ الله عنهما أخبره «أنه أقبل يَسيرُ عَلَى حمارٍ ورسولُ الله ﷺ قائمٌ بمِنًى في حَجة الوَداع يُصلّي بالناس، فسارَ الحمار بين يدَي بعض الصفّ، ثم نزلَ عنه فصفَّ مع الناس » .

٤٤١٣- عن هشام قال حدَّثني أبي قال «سُئلَ أُسامةُ وأنا شاهدٌ عن سَيرِ النبيِّ ﷺ في حَجتهِ فقال: العَنَقَ، فإذا وَجدَ فَجوةً نَصَّ».

٤٤١٤-عن عبدِ الله بن يزيدَ الخَطْميِّ «أنَّ أبا أيوبَ أخبرَهُ أنه صلَّى مع رسولِ الله ﷺ في حَجةِ الوداع المغربَ والعِشاءَ جميعاً».

٧٨- باب غزوةِ تَبوكَ، وهي غزوة العسْرة

٤٤١٥-عن أبي موسى رضي الله عنه قال «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسألهُ الحملانَ لهم إذ هم معه في جيشِ العُسرة وهيَ غزوةُ تَبوك، فقلت: يا نبيَّ الله إنَّ أصحابي أرسلوني إليك لتحملَهم، فقال: واللهِ لا أحملكم عَلَى شيء، ووافَقتُهُ وهو غضبانُ ولا أشْعُر، ورجعتُ حزيناً من منع النبيِّ ﷺ ومن مَخافةِ أن يكونَ النبيُّ ﷺ وَجدَ في نفسهِ عليَّ، فرَجعْتُ إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبيُّ ﷺ فلم ألبثْ إلا سُوَيعةً إذ سمعتُ بلالاً ينادي: أي عبدَ الله بن قيس، فأجبتهُ، فقال: أجبْ رسولَ الله ﷺ يدعوك، فلما أتَيتُه قال: خذ هذين القَرينَين -لستةِ أبعرةٍ ابتاعَهنَّ حينئذٍ من سَعد- فانطلقْ بهنَّ إلى أصحابكَ فقل: إن اللهَ - أو قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ يحملكم عَلَى هؤلاء، فاركبوهن، فانطلقتُ إليهم بهنَّ ، فقلت: إنَّ النبيَّ ﷺ يحملكم عَلَى هؤلاء، ولكني واللهِ لا أدَعكم حتى ينطلقَ معي بعضكم إلى مَن سمعَ مقالةَ رسولِ الله ﷺ لا تظنُّوا أنى حدَّثتُكم شيئا لم يَقُلْه رسول الله ﷺ، فقالوا لي: إنكَ عندنا لَمصدَّق، ولنفعلنَّ ما أحببتَ، فانطلقَ أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قولَ رسولِ الله ﷺ ، مَنعهُ إياهم ثم إعطاءهم بعدُ، فحدَّثوهم بمثل ما

حدَّثهم به أبو موسى».

قوله (باب غزوة تبوك) هكذا أورد المصنف هذه الترجمة بعد حجة الوداع، وهو خطأ وما أظن ذلك إلا من النساخ، فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف.

قوله (وهي غزوة العسرة) مأخوذة من قوله تعالى {الذين اتبعوه في ساعة العسرة} وهي غزوة تبوك، وفي حديث ابن عباس (قيل لعمر حدثنا عن شأن ساعة العسرة، قال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فأصابنا عطش،» الحديث أخرجه ابن خزيمة وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال «خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة، فسميت غزوة العسرة .

والحديث المذكور عند مالك ومسلم، أخرجاه من حديث معاذ بن جبل « إنهم خرجوا في عام تبوك مع النبيِّ ﷺ فقال: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا، فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء» فذكر الحديث في غسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه بشيء من مائها ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، وبينها وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، وكان السبب فيها ما ذكره ابن سعد وشيخه وغيره قالوا: بلغ المسلمين من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعا، وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب، و جاءت مقدمتهم إلى البلقاء، فندب النبيُّ ﷺ الناس إلى الخروج، وأعلمهم بجهة غزوهم كما سيأتي في الكلام على حديث كعب بن مالك، وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال« كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: أن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم، فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا، فبلغ النبي ﷺ ذلك ولم يكن للناس قوة، وكان عثمان قد جهز عيرا إلى الشام فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية، قال فسمعته يقول: لا يضر عثمان ما عمل بعدها».

قوله (خذ هذين القرينين) أي الجملين المشدودين أحدهما إلى الآخر.

قوله (حينئذ من سعد) لم يتعين لي من هو سعد إلى الآن، إلا أنه يهجس في خاطري أنه سعد بن عبادة، وفي الحديث استحباب حنث الحالف في يمينه إذا رأى غيرها خيرا منها كما سيأتي البحث في الأيمان والنذور(١)، وانعقاد اليمين في الغضب، وسنذكر هناك بقية فوائد حديث أبي موسى إن شاء الله تعالى.

٤٤١٦- عن مُصعَبِ بن سعدٍ عن أبيه « أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ إلى تبوك، واستخلَفَ علياً فقال: أتخلِّفُني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزِلة هارون من موسى، إلاّ أنَّه ليس نبيٌّ بعدي».

٤٤١٧- عن يَعلى بن أمية عن أبيهِ قال «غزَوتُ مع النبيِّ ﷺ العُسرة، قال: كان يَعلى يقول: تلك الغزوة أوثق أعمالي عندي» قال عطاء: فقال صفوانُ قال يَعلى « فكان لي أجيرٌ فقاتلَ إنساناً فَعضَّ أحدُهما يدَ الآخر - قال عطاء: فلقد أخبرَني صفوانُ أيُّهما عضَّ الآخر فنسيته - قال: فانتزعَ المعضوضُ يدَهُ من فيِّ العاضِّ: فانتزعَ إحدَى ثنيتَيه، فأتَيا النبيَّ ﷺ فأهدرَ ثنيتهُ » قال عطاء: وحسبتُ أنه قال « قال النبيُّ ﷺ أفيَدعُ يدَهُ في فيكَ تَقضَمها كأنها في فيِّ فحل يَقضَمها » .

سيأتي البحث في ذلك وتتمة شرح هذا الحديث في كتاب الديات(٢) إن شاء الله تعالى.

٧٩- باب حديثُ كعب بنِ مالك

وقولِ الله عز وجلَّ [١١٨ التوبة] {وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا}

٤٤١٨- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعبٍ من بنيه حينَ عَميَ- قال سمعتُ كعبَ بن مالك يحدِّث حينَ تخلفَ عن قصةِ تبوكَ، « قال كعب لم أتخلف عن رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلا في غزوةِ تبوكَ ، غير أنِّي كنت تخلفتُ في غزوةِ بدرٍ ، ولم يعاتبْ أحداً تخلَّفَ

(١) كتاب الأيمان والنذور باب / ١٨ ح ٦٦٧٨ - ٥ / ١٣٥.

(٢) كتاب الديات باب / ١٨ ح ٦٨٩٢ - ٥ / ٢٥٤.

عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يُريدُ عِيرَ قريشٍ حتى جمعَ اللهُ بينهم وبينَ عدوِّهم على غير مِيعاد، ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلةَ العَقبةِ حين تَواثَقْنا على الإسلام، وما أحبُّ أنَّ لي بها مَشهد بَدر، وإن كانت بدر أذكرَ في الناسِ منها، كان من خَبَري أني لم أكن قطُّ أقوَى ولا أيسرَ حين تخلَّفتُ عنه في تلك الغزاة، واللهِ ما اجتمعَتْ عندي قبلهُ راحِلَتانِ قطُّ حتى جمعتُهما في تلك الغزوةِ ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريدُ غزوةً إلاَّ ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوةُ غزاها رسولُ الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبلَ سفراً بعيداً ومَفازاً، وعدُواً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهَّبوا أُهبةَ غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يُريد، والمسلمون مع رسولِ الله ﷺ كثير، ولا يَجمعُهم كتابٌ حافظ -يُريد الدِّيوان- قال كعبٌ: فما رجُلٌ يُريدُ أن يتغيَّب إلاَّ ظنَّ أنْ سيخفى له ما لم ينزِل فيه وحيُ الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوةَ حينَ طابَتِ الثمارُ والظِلالُ، وتجهَّزَ رسول الله ﷺ والمسلمونَ معَه، فطفقتُ أغدو لكي أتجهَّزَ مَعهم، فأرجعُ ولم أقضِ شيئاً، فأقولُ في نفسي: أنا قادرٌ عليه، فلم يَزَلْ يَتمادَى بي حتى اشتدَّ بالناسِ الجِدُّ، فأصبحَ رسولُ الله ﷺ والمسلمونَ معه ولم أقضِ من جَهازي شيئاً، فقلتُ أتجهزُ بعدَهُ بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدَوتُ بعدَ أن فصَلوا لأتجهَزَ، فرجعتُ ولم أقضِ شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقضِ شيئاً فلم يَزَلْ بي حتى أسرَعُوا وتفارَطَ الغزوُ، وهَممتُ أن أرتحلَ فأُدرِكهم، وليتَني فعلتُ، فلم يُقدَّر لي ذلك، فكنتُ إذا خرجتُ في الناس -بعدَ خروج رسول الله ﷺ- فطفتُ فيهم، أحزنني أني لا أرَى إلا رجُلاً مَغموصاً عليه النفاقُ، أو رجلاً ممن عَذَر اللهُ منَ الضُّعفاء ولم يَذكرني رسولُ الله ﷺ حتى بلغَ تبوك، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوكَ: ما فعل كعبٌ؟ فقال رجلٌ من بني سَلمة: يا رسولَ الله حَبسَه برداه، ونظرهُ في عِطفه، فقال مُعاذ بن جَبَل: بئسَ ما قلت، والله يا رسولَ الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فَسَكتَ رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلمَّا بلغَني أنه تَوجَّه قافلاً حَضَرني همِّي، وطَفقتُ أتذكرُ الكذبَ وأقول: بماذا أخرُجُ من سَخَطه غداً؟ واستعنتُ على ذلك بكل ذي رأيٍ من أهلي، فلما قِيل: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أظلَّ قادماً زاحَ عني الباطِل، وعرفتُ أني لن أخرُجَ منه أبداً بشيءٍ فيه كذب، فأجْمَعتُ صدْقه و أصبحَ رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدمَ من سفرٍ بدأ بالمسجدِ فيركع فيه ركعتين

ثم جلسَ الناس، فلمَّا فعلَ ذلك جاءه المخلَّفون، فطفقوا يَعتذرون إليه ويحلفون له -وكانوا بضعةً وثمانينَ رجلاً- فقَبِل منهم رسولُ الله ﷺ علانيَتَهم وبايَعهم واستغفَرَ لهم، ووكلَ سَرائرهم إلى الله فجئته، فلمَّا سلَّمتُ عليه تَبَسَّم تبسُّم المغضَبِ ثم قال: تعالَ، فجئتُ أمشي حتى جَلست بين يَدَيه، فقال لي: ما خلَّفك ؟ ألم تكن قد ابتَعت ظهرَك ؟ فقلت: بلى، إنِّي والله لو جلست عند غيرِكَ من أهل الدنيا لَرأيت أنْ سأخرُج مِن سَخَطِه بعُذْر ولقد أُعطيتُ جَدَلاً ولكنِّي والله لقد علمت لئن حدَّثتُك اليومَ حديثَ كَذِبٍ تَرضى به عني لَيُوشكنَّ اللهُ أن يُسخِطكَ عليَّ ولئن حدَّثتُكَ حديثَ صِدقٍ تَجِدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عَفوَ الله، لا واللهِ ما كان لي من عذر، والله ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيْسَرَ مني حين تخلفت عنك، فقال رسولُ الله ﷺ: أمَّا هذا فقد صَدَق، فقم حتى يقضيَ اللهُ فيك، فقمت، وثارَ رِجالٌ من بني سَلِمة فاتَّبعوني فقالوا لي: واللهِ ما علمناكَ كنتَ أذنبت ذنباً قبلَ هذا، ولقد عَجزتَ أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذرَ إليه المتخلفون، قد كان كافيَك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك، فو الله مازالوا يُؤنِّبونني حتى أردتُ أن أرجعَ فأكذِّب نفسي. ثم قلت لهم: هل لَقِي هذا معي أحدٌ ؟ قالوا نعم، رجُلان قالا مثلَ ما قلت، فقيلَ لهما مثل ما قيل لك فقلت مَن هما ؟ قالوا: مُرارةُ بن الرَّبيع العَمريّ وهلالُ بن أميةَ الواقفيّ، فذكروا لي رجُلَين صالحين قد شَهِدا بدراً فيهما أسْوة، فمضَيت حينَ ذكروهما لي ونهى رسولُ الله ﷺ المسلمينَ عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بينِ مَن تخلفَ عنه، فاجْتنبَنا الناسُ ، وتغيَّروا لنا، حتى تَنكَّرَت في نفسي الأرضُ فما هي التي أعرف، فلبِثنا على ذلك خمسينَ ليلةً، فأمَّا صَاحِبَايَ فاستَكانا وقعدا في بُيوتهما يَبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدَهم، فكنت أخرجُ فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين وأطوفُ فى الأسواق، ولا يُكلِّمني أحد، وآتي رسولَ الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسهِ بعدَ الصلاةَ فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتَيه بردِّ السلام عَلَيَّ أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه، فأُسارِقهُ النَّظر، فإذا أقْبلتُ على صلاتي أقبلَ إليَّ وإذا التفتُّ نحوهُ أعرضَ عني حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفوةِ الناس مشَيت حتى تَسوَّرْت جِدار حائطِ أبي قَتادة وهو ابنُ عمي وأحبُّ الناس إليَّ ، فسلمت عليه، فواللهِ ما ردَّ عليَّ السلامَ، فقلت: يا أبا قَتادة، أنشُدُك باللهِ، هل تعلمني أُحبُّ اللهَ

ورسولهُ ؟ فسكت، فعُدتُ له فنَشدْته فسكت، فعُدت له فنَشدْته فقال: اللهُ ورسولهُ أعلم، ففاضَت عيناي، وتوليت حتى تَسوَّرتُ الجدار، قال: فبينا أنا أمشي بسوقِ المدينة إذا نَبَطِيٌّ من أنباطِ أهل الشام ممن قَدم بالطعام يبيعهُ بالمدينة يقول: مَن يدلُ على كعب بن مالك ؟ فطفقَ الناسُ يُشيرون له: حتى إذا جاءني دَفعَ إليَّ كتاباً من مَلك غسّانَ فإذا فيه: أما بعدُ فإنه بلغني أنَّ صاحبَك قد جَفاك، ولم يَجعلْك اللهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيعةٍ، فالْحَقْ بنا نُواسِكَ فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضاً مِنَ البَلاء، فتيمَّمْت بها التَّنُورَ فسَجَرتُهُ بها، حتى إذا مَضتْ أربعون ليلةً من الخمسين، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُرُكَ أن تَعتزِلَ امرأتكَ، فقلتُ أُطلِّقُها أم ماذا أفعلُ؟ قال: لا، بل اعتزِلها ولا تَقربْها، وأرسل إلى صاحبيَّ مثلَ ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلكِ فتكوني عندَهم حتى يقضِيَ اللهُ في هذا الأمر، قال كعبٌ: فجاءَتِ امرأةُ هِلال بن أمية رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله إن هلال بن أميةَ شيخٌ ضائع، ليس له خادم، فهل تَكرَهُ أن أخدُمه ؟ قال لا، ولكن لا يَقربك قالت: إنه والله ما بهِ حركة إلى شيء، والله ما زالَ يَبكي منذُ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعضُ أهلي لو استأذَنتَ رسولَ الله ﷺ في امرأتكَ كما أذِن لامرأةِ هلال بن أمية أن تخدُمه، فقلت، والله لا أستأذِنُ فيها رسولَ الله ﷺ وما يُدريني ما يقول رسولُ الله ﷺ إذا استأذنتهُ فيها، وأنا رجلٌ شابٌّ، فلَبِثتُ بعدَ ذلكَ عشرَ ليالٍ حتى كملَتْ لنا خمسون ليلةً من حينِ نهى رسولُ الله ﷺ عن كلامِنا فلما صلَّيتُ صلاةَ الفجر صُبحَ خمسينَ ليلةً، وأنا عَلى ظهرِ بيتٍ من بيوتنا، فبينما أنا جالسٌ على الحالِ التي ذكرَ اللهُ: قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرضُ بما رحُبَت، سمعت صوتَ صارخٍ أوفَى على جبل سَلْعٍ بأعلى صوته: يا كعبَ بن مالك أبشِرْ فخرَرتُ ساجداً وعرَفتُ أن قد جاء فَرَج، وآذنَ رسولُ الله ﷺ بتوبةِ الله علينا حينَ صلَّى صلاةَ الفجر، فذهبَ الناسُ يُبشِّروننا، وذهبَ قِبلَ صاحبيَّ مُبَشِّرون وركضَ إليَّ رجلٌ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوتُ أسرعَ من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوتَهُ يُبشِّرُني نزَعت له ثوبيَّ، فكسَوته إيَّاهما ببُشْراه، والله ما أملكُ غيرهما يومَئذ واستَعَرتُ ثوبَين فلبستهما، وانطَلقت إلى رسولِ الله ﷺ فيتلقَّاني الناسُ فَوجاً فوجاً يهنُّوني بالتوبة

يقولون: لِتَهنِك توبة الله عليك، قال كعبٌ حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حولهُ الناس، فقام إليَّ طلحةُ بن عُبيدِ الله يُهَروِلُ حتى صافحني وهنّاني، واللهِ ما قامَ إليَّ رجلٌ منَ المهاجرينَ غيرهُ ، ولا أنساها لطلحةَ، قال كعب: فلمَّا سلَّمتُ على رسولِ الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهوَ يَبرُقُ وَجهُهُ من السُّرور: أبشر بخير يوم مرَّ عليكَ منذ ولدَتك أمُّك، قال قلت: أمِن عندِك يا رسولَ الله أم من عندِ الله ؟ قال: لا، بل من عند الله، وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجههُ حتى كأنهُ قطعة قمرٍ، وكنّا نعرفُ ذلك منه، فلما جلست بينَ يديهِ قلت: يا رسولَ الله، إنَّ من توبتي أن أنخَلعَ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسولُ الله ﷺ أمسِك عليك بعضَ مَالك، فهو خير لك قلت: فإني أمسِك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسولُ الله إنَّ الله إنما نجاني بالصِّدق وإنَّ من توبتي أن لا أُحدِّثَ إلا صدقاً ما بقيت، فواللهِ ما أعلمُ أحداً من المسلمين أبلاهُ اللهُ في صِدق الحديث - منذُ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدتُ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كَذباً، وإني لأرجو أن يَحفظني اللهُ فيما بقيتُ، وأنزلَ اللهُ على رسوله ﷺ [١١٧ التوبة] {لقد تاب الله على النبيِّ والمهاجرين - إلى قوله، وكونوا مع الصادقين} فوالله ما أنعمَ اللهُ عليَّ من نعمةٍ قطُ - بعد أن هداني للإسلام - أعظم، في نفسي مِن صدقي لرسولِ الله ﷺ أن لا أكونَ كذَبتُه فأهلكَ كما هلك الذين كذبوا ،فإنَّ الله قال للذين كذَبوا حينَ أنزَل الوحيَ شرَّ ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى [٩٥ التوبة]{سيَحلفون بالله لكم إذا انقلبتم - إلى قوله - فإنَّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين } قال كعب: وكنّا تُخلّفنا أيُّها الثّلاثة عن أمر أولئك الذين قَبلَ منهم رسولُ الله ﷺ حينَ حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرناَ حتى قضى اللهُ فيه، فبذلك قال الله [١١٨ التوبة] {وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا} وليس الذي ذكرَ اللهُ مما خُلفْنا عنِ الغزو، إنما هو تَخليفهُ إيّانا وإرجاؤُهُ أمرناً عمَّن حلف واعتذر إليه فقبِلَ منه » .

قوله (مغموصا) أي مطعونا في دينه متهما بالنفاق .

قوله (حبسه برداه والنظر[١] في عطفه) وكنى بذلك عن حسنه وبهجته، والعرب

---

(١) رواية الباب واليونينية "جسه برداه ونظره في عطفه"

تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عطفا لوقوعه على عطفي الرجل .

قوله (والله لقد أعطيت جدلا[١]) أي فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليَّ بما يقبل ولا يرد .

قوله (تجد عليَّ) أي تغضب.

قوله (وثار رجال) أي وثبوا .

قوله (فأسارقه[٢]) أي أنظر إليه في خفية .

قوله (حتى تسورت) أي علوت سور الدار .

قوله (جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ) ذكر أنه ابن عمه لكونهما معا من بني سلمة، وليس هو ابن عمه أخي أبيه الأقرب .

قوله (أنشدك) أي أسألك.

قوله (من أنباط أهل الشام) نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة وهذا النبطي الشامي كان نصرانيا .

قوله (فالحق بنا نواسك) وزاد في رواية ابن أبي شيبة «في أموالنا، فقلت: إنا لله، قد طمع فيَّ أهل الكفر».

قوله (فتيممت) أي قصدت والتنور ما يخبز فيه وقوله فسجرته، أي أوقدته، ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجر ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب .

---

(١) رواية الباب واليونينية "ولقد أعطيت جدلاً"

(٢) رواية الباب واليونينية "فأسارقه النَّظر"

قوله (أن تعتزل امرأتك) هي عميرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصارية .

قوله (فقال لي بعض أهلي) لعله بعض ولده أو من النساء، ولم يقع النهي عن كلام الثلاثة للنساء اللآتي في بيوتهم.

قوله (فأوفى[١]) أي أشرف واطلع.

قوله (فخررت ساجداً وقد عرفت أنه جاء فرج) وعند ابن عائذ «فخر ساجداً يبكي فرحا بالتوبة» .

قوله (وسعى ساع من أسلم) وعند ابن عائذ أن اللذين سعيا أبو بكر وعمر، لكنه صدره بقوله "زعموا"، وعند الواقدي«وكان الذي أوفى على سلع أبا بكر الصديق فصاح: قد تاب الله على كعب والذي خرج على فرسه الزبير بن العوام، قال: وكان الذي بشرني فنزعت له ثوبي حمزة بن عمرو الأسلمي، قال: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد، قال: وخرجت إلى بني واقف فبشرته فسجد، قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه » يعني لما كان فيه من الجهد فقد قيل إنه امتنع من الطعام حتى كان يواصل الأيام صائما ولا يفتر من البكاء، وكان الذي بشر مرارة بتوبته سلكان ابن سلامة أوسلمة بن سلامة بن وقش .

قوله (والله ما أملك غيرهما يومئذ) يريد من جنس الثياب، وإلا فقد تقدم أنه كان عنده راحلتان، وسيأتي أنه استأذن أن يَخْرُجَ من ماله صدقة .

قوله (ولا أنساها لطلحة) قالوا سبب ذلك أن النبي ﷺ كان آخى بينه وبين طلحة لما آخى بين المهاجرين والأنصار، والذي ذكره أهل المغازي أنه كان أخا الزبير لكن كان الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه .

قوله (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) استشكل هذا الإطلاق بيوم إسلامه فإنه مر عليه بعد أن ولدته أمه وهو خير أيامه فقيل هو مستثنى تقديرا وإن لم ينطق به لعدم خفائه، والأحسن في الجواب أن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه، فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها فهو خير جميع أيامه، وإن كان يوم

---

(١) رواية الباب واليونينية "أوفى".

إسلامه خيرها فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها، والله أعلم.

وفيه ما كان النبيُّ ﷺ عليه من كمال الشفقة على أمته والرأفة بهم والفرح بما يسرهم.

قوله (فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله) أي أنعم عليه.

وفي قصة كعب من الفوائد غير ما تقدم جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب، وجواز الغزو في الشهر الحرام، والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره، وأن الإمام إذا استنفر الجيش عموما لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد أن لو تخلف، وقال السهيلي إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم، كذا قال ابن بطال، قال السهيلي: ولا أعرف له وجها غير الذي قال . قلت: وقد ذكرت وجها غير الذي ذكره ولعله أقعد، ويؤيده قوله تعالى {ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله} الآية، وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين في زمن النبيِّ ﷺ ، فعلى هذا فيتوجه العتاب على من تخلف مطلقا، وفيها أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة، وفيها ترك قتل المنافقين، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة، وأجاب من أجازه بأن الترك كان في زمن النبي ﷺ لمصلحة التأليف على الإسلام، وفيها عظم أمر المعصية، وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراما ولا سفكوا دما حراما ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر ؟ وفيها أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين، وجواز إخبار المرء عن تقصيره وتفريطه وعن سبب ذلك وما آل إليه أمره

تحذيرا ونصيحة لغيره، وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره وفضل أهل بدر والعقبة، ورد الغيبة وجواز ترك وطء الزوجة مدة، وفيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها كما قال تعالى {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه }

ومثله قوله تعالى {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمته وفيها جواز تمني ما فات من الخير: وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة .

وفيها أن المستحب للقادم أن يكون على وضوء وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلي ثم يجلس لمن يسلم عليه، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه، والحكم بالظاهر، وقبول المعاذير واستحباب بكاء العاصي أسفا على ما فاته من الخير وفيها إجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر إلى الله تعالى وفيها ترك السلام على من أذنب، وجواز هجره أكثر من ثلاث، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً .

وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب، وأن من عوقب بالهجر يعذر في التخلف عن صلاة الجماعة لأن مرارة وهلالا لم يخرجا من بيوتهما تلك المدة، وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إليه إذا أقبل، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة، والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به، واستحباب الصدقة عند التوبة، وأن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه.

٨٠- باب نزولُ النبيِّ ﷺ الْحِجْرَ

٤٤١٩-عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال « لما مرَّ النبيُّ ﷺ بالحجرِ قال: لا تَدخلوا مَساكنَ الذِين ظَلموا أنفُسَهم أن يُصيبَكم ما أصابهم، إلاَّ أن تكونوا باكين، ثم قنَّعَ رأسَهُ وأسرعَ السيرَ حتى أجاز الوادي » .

٤٤٢٠- عنِ ابن عمرَ رضىَ اللهُ عنهما قال « قال رسولُ الله ﷺ لأصحابِ الحِجْرِ: لا تَدخلوا على هؤلاء المعذَّبينَ إلاّ أن تكونوا باكينَ أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم »

قوله (باب نزول النبيِّ ﷺ الحجر) وهي منازل ثمود .

قوله (أن يصيبكم) أي كراهة الإصابة .

قوله (أجاز الوادي) أي قطعه .

٨١- باب * ٤٤٢١- عن المغيرة بن شُعبةَ قال « ذهبَ النبيُّ ﷺ لبعضِ حاجته فقمتُ أسكُبُ عليهِ الماءَ - لا أعلمه إلا قال في غزوةِ تَبوك - فغسلَ وجهَهُ وذهب يَغسِلُ ذِراعية، فضاقَ عليه كُمَّا الجبّة، فأخرجَهما من تحتِ جبّتِهِ فغسلَهما، ثمَّ مَسحَ على خُفَّيه».

٤٤٢٢- عن أبي حُميد قال « أقبلنا مع النبيِّ ﷺ من غزوة تَبوك، حتى إذا أشرفْنا عَلَى المدينة قال: هذهِ طابةُ، وهذا أُحُدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه » .

٤٤٢٣- عن أنسِ بن مالك رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ رجعَ من غزوةِ تبوكَ فدَنا من المدينة فقال: إنَّ بالمدينة أقواماً ما سرتم مَسيراً ولا قَطعتُم وادياً إلاَّ كانوا معَكم، قالوا: يا رسولَ الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حَبسَهمُ العُذر».

قوله (عبد الله) هو ابن المبارك، تقدمت مباحث الحديث سندا ومتنا في الجهاد[1] في «باب من حبسه العذر عن الغزو » .

٨٢- باب كتابِ النبيِّ ﷺ إلى كِسْرى وقَيصَر

٤٤٢٤- عن عُبيدُ الله بن عبدِ الله أنَّ ابن عباس أخبره «أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ بكتابِهِ إلى كِسْرَى معَ عبدِ الله بن حُذافةَ السهميِّ، فأمَرهُ أن يدفعه إلى عظيم البحرَين، فدفعَهُ عظيمُ البحرَين إلى كِسرَى، فلما قرَأهُ مزَّقهُ -فحسبتُ أنَّ ابنَ المسيَّب قال- فدَعا عليهم رسولُ الله ﷺ أن يُمزَّقوا كل ممزَّق » .

---

(١) كتاب الجهاد باب / ٣٥ ح ٢٨٣٨، ٢٨٣٩ - ٢ / ٥٧٢.

٤٤٢٥-عن أبي بكرةَ قال « لقد نفَعني اللهُ بكلمةٍ سمعتُها من رسولِ الله ﷺ أيامَ الجمل بعدما كِدتُ أن ألحقَ بأصحابِ الجمل فأُقاتلَ معهم، قال لما بلغَ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارسَ قد ملَّكوا عليهم بنتَ كِسرَى قال: لن يُفلحَ قومٌ ولَّوا أمرَهُم امرأةً » .

[الحديث ٤٤٢٥-طرفه في: ٧٠٩٩]

٤٤٢٦-عن السائبِ بن يَزيدَ قال « أذكرُ أني خرجتُ مع الغلمانِ إلى ثنيَّةِ الوداع نتلقَّي رسولَ الله ﷺ » وقال سفيانُ مرَّةً «مع الصبيان».

٤٤٢٧-عنِ الزُّهريِّ عن السائب «أذكرُ أني خرجتُ مع الصِّبيانِ نتلقى النبيَّ ﷺ إلى ثنيَّةِ الوداع مَقْدَمَهُ من غزوةِ تبوك».

قوله (باب كتاب النبيِّ ﷺ إلى كسرى وقيصر) أما كسرى فهو ابن برويز بن هرمز بن أنو شروان، وهو كسرى الكبير المشهور، وكسرى لقب كل من تملك الفرس، ومعناه بالعربية المظفري .

وأما قيصر فهو هرقل، وقد تقدم شأنه في أول الكتاب.

قوله (إلى عظيم البحرين) هو المنذر بن ساوى العبدي .

قوله (فدعا[1]عليه رسول الله ﷺ) أي على كسرى وجنوده .

قوله (أن يمزقوا كل ممزق) أي يتفرقوا ويتقطعوا وفي حديث عبد الله بن حذافة «فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مزق ملكه» وكتب إلى باذان عامله على اليمن: ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز . فكتب باذان إلى النبيِّ ﷺ فقال: أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه في هذه الليلة، قال وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي الأولى سنة سبع، وإن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، وعن الزهري قال: بلغني أن كسرى كتب إلى باذان بلغني أن رجلا من قريش يزعم أنه نبي، فسر إليه فإن تاب وإلا ابعث برأسه فذكر القصة قال: فلما بلغ باذان أسلم هو ومن معه من الفرس .

---

(١) رواية الباب واليونينية "فدعا عليهم رسول الله ﷺ...."

وروى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة قال «خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال: إن الله بعثني للناس كافة، فأدّوا عني ولا تختلفوا عليّ، فبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وسليط بن عمرو إلى هوذة بن علي باليمامة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى بهجر، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعباد إبني الجلندي بعُمان، ودحية إلى قيصر، وشجاع بن وهب إلى ابن أبي شمر الغساني، وعمرو بن أمية إلى النجاشي، فرجعوا جميعاً قبل وفاة النبيّ ﷺ غير عمرو بن العاص» .

قوله (نفعني[١]الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل)، والمراد بأصحاب الجمل العسكر الذين كانوا مع عائشة .

قوله (بعدما كدت ألحق بأصحاب الجمل) يعني عائشة رضي الله عنها ومن معها، وسيأتي بيان هذه القصة في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى، محصلها أن عثمان لما قتل وبويع علي بالخلافة خرج طلحة والزبير إلى مكة فوجدا عائشة وكانت قد حجت، فاجتمع رأيهم على التوجه إلى البصرة يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عليا فخرج إليهم، فكانت وقعة الجمل، ونسبت إلى الجمل الذي كانت عائشة قد ركبته وهي في هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح .

قوله ([٢]ملكوا عليهم بنت كسرى) هي بوران بنت شيرويه بن كسرى بن برويز، وذلك أن شيروية لما قتل أباه كما تقدم كان أبوه لما عرف أن ابنه قد عمل على قتله احتال على قتل ابنه بعد موته فعمل في بعض خزائنه المختصة به حُقا مسموما وكتب عليه: حُقُ الجِماع، من تناول منه كذا جامع كذا، فقرأه شيرويه، فتناول منه فكان فيه هلاكه، فلم يعش بعد أبيه سوى ستة أشهر، فلما مات لم يخلف أخا لأنه كان قتل إخوته حرصا على الملك ولم يخلف ذكرا، وكرهوا خروج الملك عن ذلك البيت فملكوا المرأة وإسمها بُوران ذكر ذلك ابن قتيبة في المغازي، قال الخطابي: في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء، وفيه أنها لا تزوج نفسها ولا تلي العقد على غيرها كذا قال،وهو متعقب والمنع من أن تلي الإمارة والقضاء قول الجمهور، وأجازه الطبري

(١) رواية الباب واليونينية "ولقد نفعني ....."

(٢) رواية الباب واليونينية "قد ملكوا عليهم ...."

وهي رواية عن مالك، وعن أبي حنيفة تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء، مناسبة هذا الحديث للترجمة من جهة أنه تتمة قصة كسرى الذي مزق كتاب النبيّ ﷺ فسلط الله عليه إبنه فقتله ثم قتل إخوته حتى أفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة، فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا كما دعا به النبي ﷺ .

٨٣- باب مرضِ النبيِّ ﷺ ووفاتهِ

وقولِ الله تعالى [٣٠ الزُّمر] {إنَّكَ ميِّتٌ وإنَّهم ميِّتون،ثمَّ إنكم يومَ القيامة عند ربِّكم تختَصمون}

قوله (باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقول الله تعالى {إنَّكَ ميِّتٌ وإنَّهم ميِّتون}.

وأما ابتداؤه فكان في بيت ميمونة كما سيأتي، واختلف في مدة مرضه « فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوما، وكانت وفاته يوم الإثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعا.

٤٤٢٩- عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما عن أمِّ الفضلِ بنت الحارثِ قالت «سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأُ في المغربِ بالمرسلاتِ عُرفاً ثم ما صلَّى لنا بعدَها حتى قَبضهُ اللهُ».

٤٤٣٠- عن ابن عباسٍ قال «كان عمرُ بن الخطَّابِ رضي الله عنه يُدْني ابن عبّاسٍ، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عَوفٍ: إنَّ لنا أبناءً مِثلهُ، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمرُ ابن عَباس عن هذهِ الأية « إذا جاء نصرُ الله والفتح» فقال: أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمهُ إيَّاه، فقال: ما أعلم منها إلاَّ ما تعلم».

قوله (عن ابن عباس: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدني ابن عباس) وتقدم شرح حديث الباب في غزوة الفتح[١].

وأطلنا بشرحه على تفسير سورة النصر[٢].

---

(١) كتاب المغازي باب / ٥١ ح ٤٢٩٤ - ٣ / ٣٨٠

(٢) كتاب التفسير "النصر" باب / ٤ ح ٤٩٧٠ - ٣ / ٧٦٠.

٤٤٢٨-عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النبيُّ ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة،ما أزالُ أجِدُ ألم الطعام الذي أكلتُ بخَيبرَ، فَهذا أوان وجدتُ انقطاع أبْهَري مِن ذلك السُّمِّ».

وروى ابن سعد عن شيخه الواقدي بأسانيد متعددة في قصة الشاة التي سمت له بخيبر، فقال في آخر ذلك « وعاش بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض له فيه، وجعل يقول: مازلت أجد ألم الأكله التي أكلتها بخيبر عدادا حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري» عرق في الظهر وتوفي شهيداً انتهى.

وقوله «عرق في الظهر» من كلام الراوي.

وكذا قوله «وتوفي شهيداً» وقوله «ما أزال أجد ألم الطعام» أي أحس الألم في جوفي بسبب الطعام».

وقد تقدم شرح حال الشاة التي سُمَّت بخيبر في غزوة خيبر مفصلا .

٤٤٣٩- عنِ ابن شهابٍ قال أخبرَني عروةُ أن عائشة رضي اللهُ عنها أخبرته « أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا اشتكى نفثَ على نفسهِ بِالمعوّذات، ومسحَ عنه بيدهِ فلما اشتكى وجعَهُ الذي تُوفِّي فيه طَفِقتُ أنفثُ عَلَى نفسهِ بالمعوّذاتِ التي كان يَنفثُ وأمسَحُ بيد النبي ﷺ عنه » .

[الحديث ٤٤٣٩- أطرافه في: ٥٠١٦، ٥٧٣٥، ٥٧٥١]

قوله (اشتكى) أي مرض، و(نفث) أي تفل بغير ريق أو مع ريق خفيف.

قوله (بالمعوذات) أي يقرؤها ماسحا لجسده عند قراءتها، ويحتمل أن المراد بالمعوذات هاتان السورتان مع سورة الإخلاص وأطلق ذلك تغليبا، وهذا هو المعتمد.

قوله (ومسح عنه بيده) في رواية معمر «وأمسح بيد نفسه لبركتها» .

٤٤٣١- عن سعيدِ بن جُبير قال « قال ابن عباس: يومُ الخميس وما يومُ الخميس، اشتدَّ برسول الله ﷺ وجَعهُ فقال: (ائتوني أكتُب لكم كتاباً لن تَضلُّوا بعدَه أبدا)، فتنَازعوا، ولا ينبغي عندَ نبيٍّ تنازعٌ.

فقالوا: ما شأنهُ؟ أهَجَرَ، استَفهِمُوهُ ؟

ذَهبوا يردُّون عليه.

فقال: (دَعوني، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه، وأوصاهم بثلاثٍ قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وَأَجِيزُوا الوفدَ بنحو ما كنتُ أجِيزُهُم، وسكتَ عن الثالثة أو قال فنسيتُهَا » .

٤٤٣٢- عنِ ابن عباس رضي الله عنهما قال « لما حُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبيُّ ﷺ هلُموا أكتُبْ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدَه، فقال بعضُهم إنَّ رسولَ الله ﷺ قد غلبَهُ الوجع، وعندكم القرآن، حسبُنا كتاب الله فاختَلَفَ أهلُ البيتِ واختَصَموا، فمنهم مَن يقول: قرِّبوا يكتبْ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدَه ومنهم من يقول غيرَ ذلك، فلما أكثَروا اللّغو والإختلاف قال رسولُ اللهِ ﷺ : قوموا.

قال عُبيدُ الله: فكان يقول ابنُ عباس: إنَّ الرَّزيةَ كلَّ الرَّزيةِ ما حالَ بين رسول الله ﷺ وبينَ أن يَكتبَ لهم ذلك الكتاب لإختِلافهم ولغطِهم » .

قوله (وما يوم الخميس » يستعمل عند إرادة تفخيم الأمر في الشدة والتعجب منه، زاد في أواخر الجهاد من هذا الوجه « ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى».

وبكاء ابن عباس يحتمل لكونه تذكر وفاة رسول الله ﷺ فتجدد له الحزن عليه.

ويحتمل أن يكون انضاف إلى ذلك ما فات في معتقده من الخير الذي كان يحصل لو كتب ذلك الكتاب.

وقد تقدم في كتاب العلم الجواب عمن امتنع من ذلك كعمر رضي الله عنه .

قوله (فقالوا ما شأنه؟ أهجر) وقد تكلم عياض وغيره على هذا الموضع فأطالوا، ولخصه القرطبي تلخيصا حسنا ثم لخصته من كلامه.

وحاصله أن قوله هجر الراجح فيه إثبات همزة الاستفهام وبفتحات على أنه فعل ماض.

قال: ولبعضهم أَهُجْراً على أنه مفعول بفعل مضمر أي قال هجرا.

والهجر بالضم ثم السكون الهذيان والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته، ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى {وما ينطق عن الهوى} ولقوله ﷺ «إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقاً».

وإذا عرف ذلك فإنما قاله منكرا على من توقف في امتثال أمره بإحضار الكتف والدواة فكأنه قال: كيف تتوقف أتظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه ؟ امتثل أمره وأحضره ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق، قال: هذا أحسن الأجوبة .

وفي قوله في الرواية الثانية «فاختصموا[١] فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم» ما يشعر بأن بعضهم كان مصمما على الامتثال والرد على من امتنع منهم.

ولما وقع منهم الاختلاف ارتفعت البركة كما جرت العادة بذلك عند وقوع التنازع والتشاجر.

وقد مضى في الصيام أنه ﷺ خرج يخبرهم بليلة القدر فرأى رجلين يختصمان فرفعت.

وقال النووي: اتفق قول العلماء على أن قول عمر« حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء، وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه رأيه، وأشار بقوله « حسبنا كتاب الله، إلى قوله تعالى {ما فرطنا في

---

(١) رواية الباب واليونينية "واختصموا فمنهم ....."

الكتاب من شيء} ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب، وقامت عنده قرينة بأن الذي أراد كتابته ليس مما لا يستغنون عنه، إذ لو كان من هذا القبيل لم يتركه ﷺ لأجل اختلافهم، ولا يعارض ذلك قول ابن عباس إن الرزية الخ، لأن عمر كان أفقه منه قطعا، وقال الخطابي: لم يتوهم عمر الغلط فيما كان النبي ﷺ يريد كتابته، بل امتناعه محمول على أنه لما رأى ما هو فيه من الكرب وحضور الموت خشي أن يجد المنافقون سبيلا إلى الطعن فيما يكتبه وإلى حمله على تلك الحالة التي جرت العادة فيها بوقوع بعض ما يخالف الاتفاق فكان ذلك سبب توقف عمر، لا أنه تعمد مخالفة قول النبي ﷺ ولا جواز وقوع الغلط عليه حاشا وكلا، وقد تقدم شرح حديث ابن عباس في أواخر كتاب العلم(١).

قوله (فقال دعوني: فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه) قال ابن الجوزي وغيره: يحتمل أن يكون المعنى دعوني فالذي أعاينه من كرامة الله التي أعدها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه في الحياة، أو أن الذي أنا فيه من المراقبة والتأهب للقاء الله والتفكر في ذلك ونحوه أفضل من الذي تسألونني فيه من المباحثة عن المصلحة في الكتابة أو عدمها.

قوله (وأوصاهم بثلاث) أي في تلك الحالة وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه لم يكن أمرا متحتما لأنه لو كان مما أمر بتبليغه لم يكن يتركه لوقوع اختلافهم، ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلغه لهم لفظا كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياما وحفظوا عنه أشياء لفظا، فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه والله أعلم .

قوله (أجيزوا الوفد) أي أعطوهم، الجائزة العطية.

قوله (وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها) يحتمل أن يكون القائل ذلك هو سعيد بن جبير، قال الداودي: الثالثة الوصية بالقرآن، وبه جزم ابن التين وقال المهلب: بل هو تجهيز جيش أسامة، وقواه ابن بطال بأن الصحابة لما اختلفوا على أبي بكر في تنفيذ جيش أسامة قال لهم أبو بكر: إن النبي ﷺ عهد ذلك عند موته، وقال عياض: يحتمل أن تكون هي قوله «ولا تتخذوا قبري وثنا» فإنها ثبتت في الموطأ مقرونة بالأمر بإخراج اليهود .

٤٤٣٣ ، ٤٤٣٤- عن عائشة رضيَ اللهُ عنها قالت «دَعا النبيُّ ﷺ فاطمةَ عليها السلامُ في شكواهُ الذي قُبِضَ فيه، فسارَّها بشيء فبَكت، ثم دَعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألنا عن ذلك فقالت: سارَّني النبيُّ ﷺ أنهُ يُقبَضُ في وَجعهِ الذي تُوفِّيَ فيه فبكَيتُ، ثم سارَّني فأخبرني أنّي أولُ أهلهِ يَتبَعهُ فضحكت »

(١) كتاب العلم باب / ٣٩ ح ١١٤٩ - ١ / ١١٣.

وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه .

٤٤٣٥- عن عائشة قالت: كنتُ أسمعُ أنهُ: لا يموتُ نبيٌّ حتى يُخيَّرَ بين الدنيا والآخرة، فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول في مرضِهِ الذي مات فيه - وأخَذَتهُ بُحَّةٌ - يقول {مع الذين أنعمَ الله عليهم} الآية فظننتُ أنه خُيِّرَ»

[الحديث ٤٤٣٥- أطرافه في: ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩]

٤٤٣٦- عن عائشة قالت « لما مرِضَ النبيُّ ﷺ المرضَ الذي مات فيه جعل يقول: في الرَّفيق الأعلى».

٤٤٣٧- عن عائشة قالت « كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يُقبضْ نبيٌّ قطُّ حتى يرَى مَقعدهُ من الجنة، ثمَّ يُحيَا - أو يُخيَّر - فلما اشتكى وحضرَهُ القبضُ ورأسُهُ عَلى فخذِ عائشة، غُشِيَ عليه، فلما أفاقَ شخصَ بَصرُهُ نحوَ سَقفِ البيتِ ثمَّ قال: اللهمَّ في الرفيق الأعلى، فقلتُ إذاً لا يختارُنا، فعرفتُ أنه حديثه الذي كان يحدِّثُنا وهو صحيح » .

قوله (وأخذته بحة) شيء يعرض في الحلق فيتغير له الصوت فيغلظ .

٤٤٣٨- عن عائشة «دخلَ عبد الرحمنِ بن أبي بكر على النبيِّ ﷺ وأنا مُسْنِدَتُهُ إلى صدري ومع عبدِ الرحمن سِواكٌ رَطبٌ يَستَنُّ به فأبَدَّهُ رسولُ اللهِ بصرَهُ، فأخذت السِّواكَ فقضمتُه ونفضتُه وطيَّبته، ثم دفعتهُ إلى النبيِّ ﷺ فاستَنَّ به، فما رأيت رسولَ اللهِ ﷺ استَنَّ استِناناً قطُّ أحسنَ منه، فما عَدَا أن فَرِغَ رسولُ اللهِ ﷺ رفعَ يدَهُ أو إصبَعَه ثم قال: (في الرفيق الأعلى)، ثلاثاً، ثم قَضى، وكانت تقول: ماتَ بين حاقِنَتي وذاقِنَتي».

٤٤٤٠- عن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير أن عائشةَ أخبرَته أنها سَمعتِ النبي ﷺ وأصغَتْ إليه قبل أن يموتَ وهو مُسنِدٌ إليَّ ظهرهُ يقول: اللهُمَّ اغفِر لي وارحمني وألحِقْني بالرفيق » .

[الحديث ٤٤٤٠- طرفه في: ٥٦٧٤]

قوله (يستن به) أي يستاك .

قوله (فأبدَّه) أي مدَّ نظره إليه .

قوله (فقضمته) أي مضغته والقضم الأخد بطرف الأسنان .

قوله (ثم[١]لينته ثم طيبته) أي بالماء ويحتمل أن يكون طيبته تأكيدا للينته.

قوله (وكانت تقول: مات ورأسه[٢]بين حاقنتي وذاقنتي) والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها ﷺ ورضي عنها، وهذا لا يغاير حديثها الذي قبل هذا أن رأسه كان على

(١) رواية الباب واليونينية "وطيّبته" فقط

(٢) رواية الباب واليونينية "مات بين حاقنتي وذاقنتي"

فخذها، لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها .

٤٤٤١- عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت « قال النبيُّ ﷺ في مرضِه الذي لم يقم منه: لعنَ الله اليهودَ والنصارَى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ، قالت عائشة: لولا ذلك لأبرزَ قبرُه، خَشيَ أن يُتَّخذ مسجدا » .

٤٤٤٣، ٤٤٤٤- عن عائشة وعبدَ الله بن عباس رضيَ الله عنهم قالا « لما نُزلَ برسولِ الله ﷺ طفقَ يَطرحُ خميصةً له عَلَى وجهِه فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: لعنةُ الله علَى اليهود والنصارَى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مَساجد، يُحذِّرُ ما صَنَعوا » .

الحديث التاسع في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، تقدم شرحه في المساجد من كتاب الصلاة وفي كتاب الجنائز .

٤٤٤٥- عن عائشة قالت « لقد راجعتُ رسولَ الله ﷺ في ذلك، وما حَمَلني عَلَى كثرة مُراجَعَتِه إلاّ أنه لم يَقعْ في قلبي أنْ يُحبَّ الناسُ بعدَهُ رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرَى أنَّه لن يقومَ أحدٌ مَقامَه إلا تَشاءمَ الناسُ به فأردْتُ أن يَعدِلَ ذلك رسولُ الله ﷺ عن أبي بكر».

٤٤٤٦- عن عائشةَ قالت «ماتَ النبيُّ ﷺ وإنه لبين حاقِنَتي وذاقنتي فلا أكرَهُ شدَّةَ الموت لأحدٍ أبداً بعدَ النبيِّ ﷺ ».

الحديث العاشر قولها (فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبيِّ ﷺ) وعند أحمد والترمذي وغيرهما من طريق القاسم عن عائشة قالت «رأيته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعنِّي على سكرات الموت » وفي رواية شقيق عن مسروق عن عائشة قالت «ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبيِّ ﷺ » وسيأتي في الطب(١) ، ويبن في حديث ابن مسعود في الطب أنّ له بسبب ذلك أجرين، ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد « إنا معاشر الأنبياء يضاعَف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر».

٤٤٤٢- عن عائشة زوجَ النبيِّ ﷺ قالت « لما ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ واشتدَّ به وجَعُه استأذَنَ أزواجَه أن يمرَّضَ في بيتي، فأذِنَّ له، فخرجَ وهو بين الرجلَين تَخط رِجْلاه في الأرض، بينَ عبّاسِ بن عبد المطلبِ وبين رجلٍ آخر، قال عُبيد الله فأخبرتُ عبدَ الله بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباسٍ: هل تدري من الرجلُ الآخرُ الذي لم تُسمِّ عائشة؟ قال قلت لا، قال ابن عباسٍ هو: عليّ، وكانت عائشةُ زوج النبي ﷺ تحدِّث أن رسولَ الله ﷺ لما دخلَ بيتي واشتدَّ به وجعهُ قال: هَرِيقوا عليَّ من سبع قِرَب لم تُحْلَلْ أوكيتُهنّ، لعلّي أعهدُ إلى الناس، فأجلسناهُ في مِخضَبٍ لحفصةَ زوج النبي ﷺ، ثمّ طفقْنا نصبُّ عليه

(١) لا يوجد في كتاب الطب بل يوجد في كتاب المرضى باب / ٢ ح ٥٦٤٥ - ٤ / ٢٩٦.

من تلك القِرَب حتى طفقَ يُشيرُ إلينا بيدِه أن قد فَعلتنَّ، قالت: ثم خرجَ إلى الناس فصلّى بهم وخطَبهم » .

قوله (من سبع قرب) قيل الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر، وقد ذكر في أوائل الباب « هذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم » وتمسك به بعض من أنكر نجاسة سؤر الكلب وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعا إنما هو لدفع السمية التي في ريقه وقد ثبت حديث «من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » وللنسائي في قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات وسنده صحيح وفي صحيح مسلم القول لمن به وجع «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات » وفي النسائي «من قال عند مريض لم يحضر أجله: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، سبع مرات» وفي مرسل أبي جعفر عند ابن أبي شيبة أنه ﷺ قال: أين أكون غدا ؟ كررها، فعرفت أزواجه أنه إنما يريد عائشة، فقلن: يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة».

٤٤٤٧- عن الزُّهري قال أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري -وكان كعبُ بن مالكٍ أحدَ الثلاثة الذين تيبَ عليهم- أن عبدَ الله بن عباس أخبرَه «أن عليَّ بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنه خرَجَ من عند رسول الله ﷺ في وجعهِ الذي تُوفِّي فيه، فقال الناسُ: يا أبا الحسن، كيف أصبحَ رسولُ الله ﷺ فقال: أصبحَ بحمدِ الله بارئاً، فأخذ بيده عبَّاسُ بن عبد المطلب فقال له: أنتَ والله بعدَ ثلاثٍ عبدُ العصا، إني واللهِ لأرى رسولَ الله ﷺ سوفَ يُتَوفَّى من وجعهِ هذا، إني لأعرف وجوهَ بني عبدِ المطلب عندَ الموت، اذهبْ بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال عليٌّ : إنا واللهِ لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعنَاها لا يعطيناها الناس بعدَه، وإني والله لا أسألها رسولَ الله ﷺ ».

[الحديث ٤٤٤٧- طرفه في: ٦٢٦٦]

قوله (أنت والله بعد ثلاث عبد العصا) هو كناية عمن يصير تابعا لغيره، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأمورا عليك، وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه .

قوله (هذا الأمر) أي الخلافة .

قوله (لا يعطيناها الناس بعده) أي يحتجون عليهم بمنع رسول الله ﷺ إياهم .

٤٤٤٨- عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه « أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجرِ من يوم الإثنين - وأبو بكر يصلي لهم، لم يَفْجَأهُمْ إلا ورسولُ الله ﷺ قد كشفَ سترَ حجرة عائشة، فنظرَ إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسَّم يضحَكُ ، فنكصَ أبو بكرٍ عَلى عَقِبَيه ليصلَ الصفَّ فرحاً برسول الله ﷺ فأشارَ إليهم بيده رسولُ الله ﷺ أن أتِمُّوا صَلاتَكم ثم دخل

الحجرةَ وأرخى السِّتر» .

٤٤٤٩- عن ذكوانَ مولى عائشةَ «أنّ عائشةَ كانت تقول: إن من نعمِ الله عليَّ أن رسُولَ الله ﷺ تُوفيَّ في بيتي وفي يومي وبينَ سَحْري ونحري، وأنَّ اللهَ جمعَ بينَ رِيقي وريقه عندَ مَوته: دخلَ عليَّ عبدُ الرحمن وبيده السِّواك وأنا مسنِدةٌ رسول الله ﷺ، فرأيته يَنظرُ إليه، وعرفتُ أنّه يحبُّ السِّواك، فقلت: آخُذُهُ لك؟ فأشار برأسِهِ أنْ نعم، فَتَناولتُه فاشتدَّ عليه، وقلتُ أليّنهُ لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم، فليَّنته فأمَرَّهُ، وبينَ يدَيه كوة -أو علبة يشكُّ عمرُ- فيها ماء، فجعلَ يُدخِل يَديْه في الماء فيمسَح بهما وجهَهُ يقول: لا إلهَ إلاَّ الله، إنَّ للموت سكراتٍ، ثمَّ نصبَ يدَه فَجَعلَ يقولُ: اللّهُمَّ في الرَّفيق الأعلى، حتى قُبِضَ ومالت يده».

٤٤٥٠-عن عائشةَ رضي الله عنها « أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يسأل في مرضِه الذي مات فيه يقول: أينَ أنا غداً، أين أنا غداً ؟ يُريدُ يومَ عائشةَ ، فأذِنَ له أزواجُهُ يكونُ حيث شاء، فكان في بيتِ عائشةَ حتى مات عندَها، قالت عائشةُ: فمات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه في بيتي، فقبضهُ الله وإنَّ رأسَه لبينَ نَحْري وسَحري، وخالط رِيقُهُ ريقى، ثم قالت: دخلَ عبدُ الرحمن بن أبي بكر ومعهُ سواكٌ يَستَنُّ به، فنظرَ إليه رسولُ اللهِ ﷺ، فقلت له: أعطِني هذا السواكَ يا عبدَ الرحمن، فأعطانيهِ ، فقضمته ثم مَضغته، فأعطيته رسولَ الله ﷺ فاستنَّ به وهو مستنِدٌ إلى صدري».

٤٤٥١- عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت «تُوفيَّ النبيُّ الله ﷺ في بيتي وفي يومي، وبين سَحْري ونحْري، وكانت إحدانا تُعوِّذُهُ بدعاءٍ إذا مرض، فذهبتُ أعوِّذُهُ فرفعَ رأسَه إلى السماء وقال: في الرَّفيق الأعلى، ومرَّ عبد الرحمن بن أبي بكرٍ وفي يده جَريدةٌ رطبة، فنظرَ إليه النبيُّ ﷺ فظننتُ أنَّ له بها حاجةً فأخذتها فمضغتُ رأسَها ونفضتُها فدفعتُها إليه، فاستنَّ بها كأحسنِ ما كان مُستنًا، ثمَّ ناوَلَنيها، فسقطَتْ يده - أو سقطت من يده - فجمع الله بينَ رِيقي وريقهِ فى آخرِ يومٍ من الدُّنيا وأوّل يوم من الآخرة » .

٤٤٥٢، ٤٤٥٣- عن عائشةَ أخبرَته «أنَّ أبا بكرٍ رضيَ الله عنه أقبل على فرَسٍ من مَسكنه بالسُّنح، حتَّى نزلَ فدخل المسجد فلم يكلم الناسَ حتى دخلَ عَلَى عائشةَ، فتيمَّم رسولَ الله ﷺ وهو مُغشَّى بثوبٍ حِبَرةٍ، فكشفَ عن وَجههِ، ثمَّ أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللهِ لا يجمع الله عليك موتَتَين، أمَّا الموتَةُ التي كُتبَتْ عليك فقد مُتَّها».

٤٤٥٤- عن عبد الله بن عباس «أنَّ أبا بكرٍ خرج وعمرُ يُكلِّم الناسَ، فقال: اجلِس يا عمر، فأبى عمر أن يجلسَ، فأقبلَ الناسُ إليه وتَركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعدُ مَن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد اللهَ فإنَّ الله حيٌ لا

يموت، قال اللهُ {وما محمدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلَت من قبلهِ الرسُل - إلى قوله - الشاكرين} [١٤٤ آل عمران] وقال: والله لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أن الله أنزلَ هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقّاها منه الناسُ كلهم، فما أسمعُ بَشراً من الناس إلا يتلوها، فأخبرَني سعيد بن المسيَّب أن عمرَ قال: والله ما هو إلاّ أن سمعتُ أبا بكر تلاها فَعُقِرْتُ حتى ما تقِلُّني رِجلايَ، وحتى أهويتُ إلى الأرض حين سمعتهُ تلاها، علمت أن النبيَّ ﷺ قد مات».

قوله (وعمر يكلم الناس) أي يقول لهم: ما مات رسول الله ﷺ.

وروى ابن إسحق وعبد الرزاق والطبراني من طريق عكرمة «أن العباس قال لعمر: هل عند أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ في ذلك ؟ قال: لا،قال: فإن رسول الله ﷺ قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة واضحة» وهذه من موافقات العباس للصديق في حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة «أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين، وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رءوسهم، فقال: أيها الرجل إنَّ رسول الله ﷺ قد مات، ألم تسمع الله تعالى يقول {إنك ميت وإنهم ميتون } وقال تعالى {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد } ثم أتى المنبر فصعد فحمد الله وأثنى عليه فذكر خطبته .

قوله (فعُقِرْتُ) أي هلكْت، وفي رواية بفتح العين أي دهشت وتحيرت.

قوله (ما تقلني) أي ما تحملني .

٤٤٥٥، ٤٤٥٦، ٤٤٥٧- عن عائشةَ وابن عبّاس «أن أبا بكر رضيَ الله عنه قبَّل النبيَّ ﷺ بعدَ موته».

[الحديث ٤٤٥٦- طرفه في: ٥٧٠٩]

٤٤٥٨- حدّثنا عليٌّ حدثنا يحيى وزاد « قالت عائشة: لدَدْناه في مرضه، فجعل يُشيرُ إلينا أن لا تلدُّوني فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: ألم أنهَكم أن تَلدُّوني؟ قلنا: كراهية المريضِ للدواء، فقال: لايبقى أحدٌ في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يَشهدكم » .

[الحديث ٤٤٥٨- أطرافه في: ٥٧١٢، ٦٨٨٦، ٦٨٩٧]

قوله (لددناه) أي جعلنا في جانب فمه دواءً بغير اختياره، وهذا هو اللدود، فأما ما يصب في الحلق فيقال له الوجور.

قوله (لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم) قيل: فيه مشروعية القصاص في جميع ما يصاب به الإنسان عمداً ، وفيه نظر، لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك، وإنما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عن ذلك، أما من باشره فظاهر،

وأما من لم يباشره فلكونهم تركوا نهيهم عما نهاهم هو عنه، ويستفاد منه أن التأويل البعيد لا يعذر به صاحبه، وفيه نظر أيضا لأن الذي وقع في معارضة النهي، قال ابن العربي: أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطب عظيم، وتعقب بأنه كان يمكن العفو لأنه كان لا ينتقم لنفسه، والذي يظهر أنه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا، فكان ذلك تأديبا لا قصاصا ولا انتقاما، قيل وإنما كره اللد مع أنه كان يتداوى لأنه تحقق أنه يموت في مرضه، ومن حقق ذلك كره له التداوي، قلت: وفيه نظر، والذي يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقق، وإنما أنكر التداوي لأنه كان غير ملائم لدائه لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها، ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر في سياق الخبر كما ترى، والله أعلم .

٤٤٥٩-عن إبراهيمَ عنِ الأسود قال «ذُكِرَ عند عائشة أن النبيَّ ﷺ أوصى إلى عليّ فقالت: مَن قاله ؟ لقد رأيتُ النبي ﷺ وإني لمسْنِدته إلى صدري، فدَعا بالطَّسْت فانخنَثَ فمات فما شَعَرتُ، فكيفَ أوصى إلى عليٍّ ؟ .

٤٤٦٠- عن طلحةَ قال «سألتُ عبدَ الله بنَ أبي أوفى رضيَ الله عنهما: أوصى النبيُّ ﷺ ؟ فقال: لا، فقلتُ كيفَ كُتبَ عَلَى الناس الوصية أو أُمِروا بها ؟ قال أوصى بكتاب الله».

٤٤٦١-عن عمرِو بن الحارِث قال «ما تَركَ رسول الله ﷺ ديناراً ولا دِرهما ولا عبداً ولا أمةً، إلاّ بغلتَهُ البيضاءَ التي كان يركبُها وسلاحَهُ، وأرضا جعلَها لابن السبيل صدقةً».

٤٤٦٢-عن أنس قال «لما ثقل النبيُّ ﷺ جعلَ يَتغشَّاهُ، فقالت فاطمةُ عليها السلام: واكربَ أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعدَ اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاهُ أجاب ربًا دَعَاهُ، يا أبتاهُ مَنْ جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ مَأوَاهُ، يا أبتاه إلى جبريلَ نَنْعَاهُ، فلمَّا دُفنَ قالت فاطمة عليها السلام: يا أنسُ ، أطابَتْ نفوُسكم أن تُحثوا على رسولِ الله ﷺ الترابَ؟».

قوله (واكرب أباه) وهذا يدل أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها .

وأن المراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت، وكان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر كما تقدم .

قوله (فلما دفن قالت فاطمة[١]: يا أنس الخ) وأشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لانه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرناها على فعله امتثالا لأمره.

ويستفاد من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة عليها السلام، «واكرب أباه» وأنه ليس من النياحة لأنه ﷺ أقرها على ذلك .

---

(١) رواية الباب واليونينية "فاطمة عليها السلام".

٨٤-باب آخرُ ما تكلم به النبيُّ ﷺ

٤٤٦٣-عن عائشةَ قالت « كان النَبيُّ ﷺ يقول وهوَ صحيح: أنه لم يُقبَضْ نبيٌ حتى يرَى مَقعدهُ من الجنَّة، ثم يُخيَّر فلما نَزلَ به ورأسُه على فخذي غُشِيَ عليه، ثم أفاقَ فأشخص بصرَهُ إلى سقف البيت ثم قال: اللهم الرفيقَ الأعلى، فقلت: إذاً لا يَختارُنا، وعرفَت أنه الحديث الذي كان يُحدِّثنا وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمةٍ تكلَّم بها: اللَّهمَّ الرفيقَ الأعلى » .

قوله (باب آخر ما تكلم به النبيُّ ﷺ) ذكر فيه حديث عائشة.

وكأن عائشة أشارت إلى ما أشاعته الرافضة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بالخلافة وأن يوفِّيَ ديونَه .

٨٥- باب وفاةِ النبيِّ ﷺ

٤٤٦٤، ٤٤٦٥-عن عائشة وابن عبَّاس رضيَ الله عنهم «أن النبيَّ ﷺ لَبِث بمكة عشر سنين يُنزَلُ عليه القرآن، وبالمدينةِ عشرا».

[الحديث ٤٤٦٤- طرفه في: ٤٩٧٨]

٤٤٦٦-عن عائشة رضىَ الله عنها « أن رسولَ الله ﷺ تُوفيَّ وهو ابن ثلاثٍ وستين».

قوله (باب وفاة النبيَ ﷺ) أي في أي السنين وقعت؟.

قوله (لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا) هذا يخالف المرويَّ عن عائشة عقبه أنه عاش ثلاثا وستين .

وفي رواية هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس «لبث بمكة ثلاث عشرة وبعث لأربعين ومات وهو ابن ثلاث وستين » وهذا موافق لقول الجمهور .

وقد جمع السهيلي بين القولين المحكيين بوجه آخر، وهو أن من قال مكث ثلاث عشرة عد من أول ما جاءه الملك بالنبوة، ومن قال مكث عشرا أخذ ما بعد فترة الوحي ومجيء الملك بيا أيها المدثر .

٨٦- باب * ٤٤٦٧-عن عائشة رضيَ الله عنها قالت «تُوفيَ النبيُّ ﷺ ودِرعهُ مَرهونةٌ عند يهوديّ بثلاثين، يعني صاعاً من شعير».

٨٧- باب بَعث النبيِّ ﷺ أسامةَ بن زيدٍ رضيَ الله عنهما في مرضه الذي تُوفيَ فيه

٤٤٦٨-عن سالم عن أبيه « استعملَ النبيُّ ﷺ أسامةَ فقالوا فيه، فقال النبيُّ ﷺ: قد بلغَني أنكم قلتم في أسامة، وإنه أحبُّ الناس إليَّ».

٤٤٦٩-عن عبدِ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ بَعثَ بعثاً وأمَّرَ عليهم أسامةَ بن زيدٍ ، فطعن الناس في إمارتهِ، فقام رسول الله ﷺ فقال: إن تَطعنوا في

إمارته فقد كنتم تَطعنونَ في إمارةِ أبيهِ من قبل، وأيم الله إنْ كان لخليقاً للإمارةِ ، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعدَه » .

قوله (باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد[١] في مرضه الذي توفي فيه) إنما أخر المصنف هذه الترجمة لما جاء أنه كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبيِّ ﷺ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش.

فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده، فأخذه أسامة فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار.

فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي، فرد عليه عمر، وأخبر النبيَّ ﷺ فخطب بما ذكر في هذا الحديث، ثم اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: انفذوا بعث أسامة، فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف، فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه، ورجع بالجيش سالما وقد غنموا .

٨٨- باب * ٤٤٧٠- عن أبي الخير عنِ الصُّنابحيِّ أنه قال له: متى هاجرت ؟ قال: خرجنا منَ اليمن مهاجرِين، فقدمْنا الجحفةَ فأقبلَ راكبٌ، فقلتُ له: الخبرَ؟ فقال: دَفَنَّا النبيَّ ﷺ منذُ خمس، قلت: هل سمعت في ليلةِ القَدر شيئا ؟ قال: نعم، أخبرَني بلالٌ مؤذنُ النبيِّ ﷺ أنه في السَّبع في العشر الأواخر».

وقد تقدم الكلام على ليلة القدر في كتاب الصيام[٢].

٨٩- باب كم غَزا النبي ﷺ ؟

٤٤٧١- عن أبي إسحاق قال «سألتُ زيدَ بن أرقم رضي الله عنه: كم غَزَوتَ مع رسولِ الله ﷺ ؟ قال: سبعَ عشرة، قلتُ: كم غزا النبيُّ ﷺ ؟ قال: تسع عشرة».

٤٤٧٢- عن أبي إسحاقَ حدَّثنا البراءُ رضيَ الله عنه قال «غَزَوتُ مع النبيِّ ﷺ خمسَ عشرة».

٤٤٧٣ ـ عن ابن بُرَيدةَ «عن أبيهِ قال: غزا مع رسولِ الله ﷺ ست عشرة غزوة».

(١) رواية الباب واليونينية "أسامة بن زيد رضي الله عنهما"
(٢) كتاب فضل ليلة القدر باب /١ح ٢٠١٤ - ٢ / ٢٠٥